عمر لطفي النجار

المنقذ من الضلال

- دراسة في أصول ومبادئ الظاهرة الصوفية -

مكتبة المبتدأ والخبر

دمشق - قطيفة - هاتف: ٧٥١٧٤٧ - ص.ب: ٥

الطبعة الأولى
١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المنقذ

من الضلال

مقدمة

لقد سمعت الحكيم مرة يحثُ شعبَه للبحث العلمي، ولكم تأثرت حينها بما ظهر عليه من رؤية للمستقبل الأفضل، حتى عادت ذاكرتي إلى حيث كنا في المرحلة الاعدادية لأذكر صديقي أحمد الذي بذّ كل أقرانه في الدراسة، بما لديه من ذكاء وافر، حتى المدرسون، قد تنبؤوا بمستقبله العلمي الزاهر. ولكن حلّ في بلدتنا حينئذ أفاق من أهل التصوف ، اسمه "عبد الجواد"، الذي إن جلست معه، فلا تراه إلا وقد راح يحدثك عن ركوبه للحيوانات المفترسة، أو عن أكله للنيران، أو عن مسكه للعقارب والثعابين، أو عن ضربه للسيخ في شدقيه، أو عما خاطبه الله به، أو عما يدور في خلدك من أسرار. وطارت شهرة الرجل، في بلدتنا، وفي البلدان المجاورة، وصار له الكثير من المريدين والأتباع، من جملتهم ويا للأسف صديقي أحمد الذي زهد فيما سوى الله من قلم ودفتر، وأفرد القصد إليه تعالى بما كلفه الشيخ من رياضات وأوراد وأحزاب، وداوم المسكين عليها كل جهده، لدرجة من الانهاك والارهاق الذي كانت نتيجته زوال عقله، الذي لم يعد إليه إلا بعد سنوات طويلة من العلاج الدؤوب. وهكذا مات وخسر الوطن واحداً من أبنائه الأذكياء.

وبعد هذه الذكرى المحزنة، عدت إلى نفسي، وبوحي من نداء الحكيم قررت أن أبذل وسعي في هذه المشاركة التي دعانا إليها، ولم أجد باستطاعتي، أفضل من تهيئة الأجيال نحو الفكر السليم، إن

استطعت المساهمة في تخليصهم من المنهج الخرافي، بما فيه من التباس الإغراء، وبما فيه من تكريسٍ للجهل والظلام.

وتأملت كثيراً في علاقة التصوف بالدين، حتى أنـي لم أر أبسط من الدين، ولا أعقد من التصوف، فالدين في مآله ليس إلا تكاليف وفضائل يعود نفعها على المجتمع ككل. وطالما نحن وبالنتيجة لا نريد لأبنائنا أن يكونوا آلهة، فلا حاجة لنا بالتصوف. فتسخير الطبيعة بالعلم والعقل هو المطلوب، وهو الأصح، وما سمعت عن أحد أفاد المجتمع بخوارقه لا إن كانت حسية ولا إن كانت معرفية، بل بالعكس، لأن هذه الخوارق لن تكون ولن تزدهر إلا بوجود الجهل، حتى أن أصحابها ما سعوا إليها بالأصل إلا كبرهان على أفضلية الجهلة على أهل العلم، مهما كان نوعهم، وهذا ما يجب أن نرفضه قطعاً.

الدين الاسلامي سهل وبسيط، سواء في عقائده أو شعائره، والكافر زمن الرسول ص لم يكن محتاجاً لأكثر من ربع ساعة للتعرف عليه. فلا أسرار فيه حتى نجعل له كهنة يتفرغون لفض أسراره، وما أيسر نيل رضوان الله والصلة به، فهو القريب منا سبحانه، بل هو أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد، فلا حاجة بنا لسماسرة الوسائط ودجاجلة الأسرار، وبقوله تعالى: "ادعوني استجب لكم" فيه كل الكفاية.

وحتى المنبر لا نجاة له هو الآخر، إذ اصبح خطباء زماننا يظنون المشيخة بكثرة الكلام طولاً وعرضاً، وكأنهم يتسابقون على أعظمهم استخداماً لعضلة لسانه. أما بالنسبة لي شخصياً، فلم أعد أذهب

للجمعة إلا في الثلث الأخير من الخطبة، حفاظاً على الصمت أمام المسموع البعيد عن حقيقة الاسلام وبساطته. وبالأمس صباحاً قصدت المقبرة بقصد قراءة الفاتحة على روح الفقيد "أحمد:، وهناك عند بابها كأنما رجل قد خرج من باطن الأرض، فوقف في طريقي معترضاً وقد تمنطق بسطل ملأه بقطع من الجمر!! فنظرت إليه بدهشتي متعجباً من جرأته، وقد مدَّ يده إلى بجمرة أراد بها خرق القميص الذي أرتديه.

وبعد برهة من وجوم الصمت، نفرت عنه إلى الوراء قائلاً: من أنت، وماذا تريد؟ أحي أنت أم ميت؟

وقهقه عالياً، ثم قذف بالجمرة إلى فمه ليقول بعدها: أنا الميت الحي، أنا الذي لا يموت، أنا الخطيب والمنبر، أنا الشامان والسماع، أنا الظاهر والباطن، أنا الدباغ لمخلاة الشحاتة، أنا هامان العيان، أنا شمس ابراهيم، أنا شهيد الطبل في السماع، أنا الخارم قبره ليرسل مدده، أنا الخوار والسامري، أنا غضنفر الموائد الأغبر، أنا الهاروت والماروت والبخور، أنا فخ الإحسان لأبناء سليمان، أنا هامان العيان، أنا الصياد بصوتي، أنا الأكبر، أنا المؤذن بالقِدم.

وقبل أن يتم خطابه قاطعته قائلاً: حسن، حسن، فأي اسم ترغب أن أناديك به من كل ما ذكرت؟.

قال: بأيها شئت فادعني، فأنا الواحد بسماتي، الكثير بأسمائي وصفاتي، أنا الواحد الكثير، وكل اسمائي عزيزة علي. وإن شئت – ولا بد فادعني "ابراهيم" تيمناً بابراهيم القائل " هذا أكبر "فشموسي دوماً بأيها اقتديت اهتديت. وإن رغبت بالشمس فاخرق الطمس

والخمس، ولتكن مني إشارة عن بليغ العبارة. ثم مدَّ يده إلى القميص تارة أخرى يريد أن يخرقه بجمرة.

وبعد أن منعته قلت له: ربما أنني عرفت ما تقصد، ولكن تعال هنا لنجلس، علّنا نصل إلى الأفضل إن تم النقاش بيننا، فما رأيك؟.

وقبل أن يجيب، نظر إلى الأفق ثم قال: حسن، حسن، فيما بعد، والآن يجب أن أرحل قبل أن تبسط الشمس أشعتها على الأرض. ثم اختفى فجأة، دون وداع، و كأنما شيْ لم يكن.

وتابعت مسيري بعدها فقرأت الفاتحة، ثم عدت أدراجي إلى البيت، وكلي انشغال بما قاله الشيخ ابراهيم. ولما كلمت زوجي بما حدث لي، قالت: لو قرآت آية الكرسي لهرب منك! فقلت: أصلحني الله وإياكِ، ولكن ماذا لو كان من شياطين الانس؟!.

ومرت الأيام ولم أعد أراه إلا بومضات من تجلياته على الخطيب تارة، وعلى وجوه أصحاب الموالد تارة أخرى، حتى أخذتني الحيرة في أمره، فلم أعد واثقاً بالخيط الفاصل بين الشك واليقين، وأخذتني الرعدة من هذه الأحوال، إلى حد سئمت نفسي وما بها من غثيان.

وذات مرة جاءني الشيخ ابراهيم إلى دكاني بعد طول الغياب، فهللت له بكل ما لدي من مخيلة، وقلت في نفسي: الحمد لله أن أتاني، فعند جهينة الخبر اليقين.

وبعد أن جلس أمامي انطلقت أساريره بابتسامة طريفة، ثم قال: ليعلم الله اني مشتاق إليك، ولكني لا أراك ذاهباً إلى المسجد إلا في آخر الخطبة؟! عسى المانع خير!

فقلت وقد ضمرت التجاهل: كيف عرفت هذا؟ ومتى رايتني، فكيف هذا بربك و لم أرك؟!.

ثم قهقه عالياً وقال: لا ، لا ، ألم أقل لك: أنا الخطيب والمنبر، فأنا دائما أتجلى بأرديتي، وأينما كانوا، صحيح أنك لم ترني على المنبر وفي الموالد؟ لا، لا، انك تمزح بالطبع. ثم تابع قائلاً: والآن اجبني، ولو من باب النصيحة لَمْ لَمْ تذهب إلى المسجد منذ بداية الخطبة؟ وأرجوك أن تصارحني.

فقلت وقد فكرت ملياً: على الأقل حتى أحافظ على بساطة المعنى الإسلامي، والخطبة كلها بالأصل وكما تعلم مقام ركعتين، ومن ثم كثيراً ما أسمع بالتخاريف التي لا يجوز السكوت عليها، وأنا لا أحب المشاركة في وزرها.

وأصبح وجه الرجل بعدها مسوداً وهو كظيم، حتى خشيت من عارض قد يحدث له. فقلت مسرعاً: لا عليك، لا عليك إني أمزح معك، لا ، إنها المداعبة، ولا شيء آخر. ثم انطلقت بالحديث إلى جوانب أخرى، ولكنه كفني بحزم ليقول بصوته الذي اعتلته الحشرجة: دعنا الآن من كل شيء، وأقسِمُ إلا نصحتني، وما أنا بالذي يغضب من عيوب نفسه، فهيا أرجوك، فما هي التخاريف التي رأيتها من تجلياتي؟.

فقلت: وهل يعقل أن ينصحك واحد من أمثالي، وأنت على علو كعبك في العلم؟.

قال: هيّا، هيّا، لا تمزح أرجوك، ولم يبخل بالنصيحة إلا الأبتر الذميم، وما أنت كذلك على حد ما أعلم.

فقلت: إن كان ولا بد، فاسمع إذن ما يلي:

١ – أنصحك ألا تنهى الخلق عن الكتب وقرائتها على المنبر تارة أخرى، فليس من الاسلام تكريس الجهل ومحاربة العلم.

٢ – ليس من الدين تطويل الخطاب إلى حد التنفير، ففي الحضور عاجز ومسافر وصغير.

٣ – ليس من الدين تقديس القبور خاصة المخرفين، بل ومن الشرك التوجه إليهم بالدعاء والسؤال والاستغاثة، فمن مات فقد انقطع عمله، وهو الأحوج لأن ندعو له.

٤ – ليس من الدين الغلو في محمد (ص) حتى تكون له حقيقة مسؤولة عن الخلق والايجاد، وعلم ما لم يقرُّه الله له.

٥ – ليس من الدين جعل النفس معياراً للرياضات أو لدروب تقويمها، دون الالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية.

٦ – ليس من الدين امتداد الزهد ليشمل الدنيا بما فيها من حلال وأنبياء، والآخرة بما فيها من ثواب وعقاب.

٧ - ليس من الدين السعي لتغيير طبيعة الانسان إلى الطبيعة الملائكية، إن لم تكن دعوة شيطانية.

٨ - ليس من الدين زعم الوصول لأبعد مما وصل إليه الرسول (ص)، حيث لا جمع في "قاب قوسين أو أدنى" إلا لمن زعم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهذا كله مرفوض اسلامياً.

٩ - ليس من الدين توحيد "لا فاعل إلا الله"، ففيه الجبر والمساواة بين العاصي والمطيع، ولا مكان هنا للبراهين والجدل.

١٠ - ليس من الدين توحيد "لا موجود إلا الله"، ففيه انعدام الفرق بين الخالق والمخلوق، كما فيه انعدام الفرق بين الطاهر والنجس، أو بين القرآن والأوثان.

١١ - ليس من الدين السعي بالرياضات لتحصيل الخوارق سواء كانت حسية أو معرفية.

١٢ - ليس من الدين عزل الفضائل عن دورها الاجتماعي.

١٣ - ليس من الدين مساواة الذكر بالمكاء والتصدية عن طريق الطبل والرقص والغناء كبدائل عن ارتباط الذكر بالعقل.

١٤ - ليس من الدين القول بالصدور عن الفيض دون العدم غير المنسوب لرتبة ما من رتب الوجود.

١٥ – ليس من الدين التأويل بما لا يتلاءم مع كلية الدين.

وبعد أن انهيت كلامي هذا نظرت إليه قائلاً: هذا ما أردت قوله يا شيخ ابراهيم، أو هذا ما أدركته من ومضات تجلياتك على الخطباء.

وبعد أن تنهد الشيخ ابراهيم عميقاً، أغمض عينيه، وانطلق على ما أظن إلى باطنه يسائله، ثم قال والحزم قد بدا عليه: أقول وبالحق اشهد: اني بريء من كل ما ذكرت. ثم راح يدفعني بكلتا يديه وهو يقول: آتني بالمصحف، آتني بالمصحف لأقسم لك على براءتي.

فقلت: هوِّن عليك، هوِّن عليك يا رجل، فالنصيحة لا يجب أن تعني الاتهام، ولا هي بالإلزام، وكل ما أردت قوله: أن كلية التصوف لا يمكن تجزئتها إلا لمن يجهل مباديء وأصول الظاهرة الصوفية، وكل ما أرجوه ألا تكون جاهلاً بذلك.

ثم عاد يقول: آتني بالمصحف، آتني بالقرآن. ولمّا وجدني لم انهض. قال: أنا أحفظ القرآن، ثم وضع يده على صدره وراح يقسم على مساواة براءته ببراءة الذئب من دم يوسف، ولكن لم أتمالك نفسي فقلت: رعاك الله وحماك، فلو وضعت يدك على رأسك دون صدرك، لأن الذاكرة بالدماغ لا بالصدر!!

ثم هبَّ بغضبه واقفاً يريد الانصراف، فأغمضت عينيَّ حزناً لما فعلت، وإذ بي ما زلت أراه!! فقلت مخاطباً نفسي: تباً للمخيلة، وما قد تجيء به من شخوص التهيؤات. ثم أغلقت الدكان ودرجت بعدها إلى البيت براس يدوي كأنما الطبل.

وبعد يومين، ولما ختم المنادي آذان الجمعة بقوله: "يـا أول خلـق الله – من النور كونك الله"، ذهبت إلى المسـجد، ولكـن بـاكراً هـذه المرة، ولهول ما رأيت!! فالشيخ ابراهيم قد تجلى على الخطيب كله منذ أول لحظة، حتى لم أعد أرى الخطيب أبداً، لا بما يعنيه القرآن، ولا بما يعنيه الرسول(ص)، بل ولا أراه إلا محدقاً بي، كأنما يقصد مخاطبتي دون كل الخلق. ثم انطلق مزمجراً كالليث، زاعماً بالوراثة لمساواته مع الرسول ص، وأنه من سوء الأدب رفع الصوت فوق صوت الورثة، وانه من الجهل التفاصح عليهم، لأنهم هم الأعلم بحقائق الأمور ودقائقها. والأدهى أنه ذهب لتقديس قبور أولياء التصوف بحجة الصحابي الذي أجيزت وصيته بعد استشهاده. ثم انطلق مبرهناً على "الحقيقة المحمدية" بحجة "البوصيري" الذي شفاه الرسول ص من الشلل لمديحه القائل: "ومن علومه علم اللوح والقلم".

ثم شرح ذلك تأكيداً لنصاعة هذا البرهان: بأن محمداً (ص) له علم الأرزاق، وعلم ما كان وما يكون، مذ وجد اللوح والقلم وإلى قيام الساعة.

ولما أدرك استغراب الحضور واستهجانهم ما يقول أردف قائلاً: ولكن اعلموا أن هذا ليس بشرك، ولا هذا بحدٍ لعلوم الله التي لا تحد فعلم الله هو الأوسع. ثم اثنى بعدها على الشيخ "عبد الغني النابلسي" بعض أئمة وحدة الوجود إمعاناً في تكذيب ما أقسم على البراءة منه. وهكذا كان رفضه لكل ما طلبه من نصيحة، ليرتج الباب ظاناً النجاة بما لديه من أمراضٍ معدية.

وبعد أن خرجتُ من المسجد، بدأت الأفكار تتلاطم في رأسي: فشأن هذا الرجل غريب عجيب! لا، بل أنا المخطيء، فربما أنه نفر من أسلوبي، أو من جرأتي حسب ظنه، أو من الطغيان الساحق للمواجهة مع النفس ...لا ، بل هو الواصل لبعض حقائق الجمع، العارف ببعض أصول التصوف، وكيف له اتخاذ نصائحي التي كلها لانتزاع التصوف من صدره؟ واين عندها سيذهب بالأربعين سنة من عمره، التي تمثل كل تاريخه وثقافته، لا فمن غير المعقول برأيه أن يعود للوقوف على شفا المنحدر ليبدأ من جديد بعد أن أصبح يرتع بتبجيل الأصحاب وحلاوة الأسرار؟

ولكني ورغم هذا كله، سأبقى المتهِّم لنفسه بالتقصير، وما كتابي هذا إلا المحاولة الأهم لإزالة ما قد يكون في صدره من التباس وشبهات، اللهم فاشهد.

- **ملاحظة منهجية:**

التصوف كما هو معلوم ذو مراتب أو مستويات ثلاثة في الأغلب:

المستوى الأول: ويمثله المريد بكل ما يعنيه الصراع المؤدي للانتقال من الموروث إلى العقائد الجديدة.

المستوى الثاني: ويمثله الشيخ ابراهيم من حيث هو مجتهد لترويج التصوف، ومن حيث هو واصل لبعض العقائد الصوفية لا كلها. ولهذا وبعد الذي قلته عنه لم أعد محتاجاً كلما ذكرته للتنويه إلى وجوده المستعار، فهو من حيث الواقع نكرة، أو قالب مجرد للتعبير عن هذا المستوى لا أكثر ولا اقل.

وعن تمثيل المستوى الثالث: فليس لنا إلا "الواصل"، أو الواصل لكلية العقائد الصوفية، وهذا لم يكن إلا من خلال وثائق الأولياء عبر كتبهم المتداولة بين أيدينا.

«ما كان مـردوداً بظاهر الشرع لا يقبل التأويل أنكرنا نسبته إليهم -أي لأولياء التصوف- **وقلنا بعدم صحة الخبر صيانة لمقاماتهم العلية- وكلهم واحد»**

أبو الهدى الصيادي

– الأعراب والايمان

لقد سمعت منك يا شيخ ابراهيم قصة الذي اتهمك بالرؤيا أنك "يعربي". لمّا تمت بعد قراءتك لقوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم**﴾[1]. لأكثر من ثلاث مرات إحداهن على المنبر. ومن ثم كما قلت بدأتَ باحثاً عن الطريق الذي سينقلك عن ذلك المقام. وحتى الآن لم تأتك البشارة بهذا الانتقال حسب تصريحك لي. وهذا بالطبع يشير إلى تشاؤمك من تلك الرؤيا، فقد اعتبرتها سلفاً أنها صادقة، أو ذات حكم صادق، علماً أن الرؤيا حسب مصدرها ذات أنواع، فإن قلنا بالمصدر الشريف، فالمشير عندها قد اتهمك بنقص الايمان وانعدامه من قلبك. اما إن كنت مؤمناً، فليس المشير حينئذ إلا فلتة من أمنيات النفس قد تمثلت لتفصح عن رغبتها، أو شيطان أراد العبث بك لادراكه قوة إيمانك الذي يكرهه: "بل الانسان على نفسه بصيرة" "وأصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا".

إن مصطلح "الأعراب" لم يرد في القرآن كرديف للنفاق وإلى ما هنالك فقط، فقد ورد الإيمان بعضاً من صفات الأعراب أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿**ومن الأعراب من يؤمن با لله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند ا لله وصلوات الرسول ألا إنها قربات هم سيدخلهم ا لله في رحمته إن ا لله غفور رحيم**﴾[2]

أما من حيث هم مذمومون فقد قال عنهم سبحانه وتعالى:

---

[1]– الحجرات ١٤

[2]– التوبة/٩٩

﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل ا لله على رسوله وا لله عليهم حكيم، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء وا لله سميع عليم﴾[1] ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون. آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا﴾[2] ﴿وآخرون مُرْجون لأمر ا لله إما بعذبهم وإما يتوب عليهم﴾[3] ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[4] والأعراب ﴿يمنون عليك ان اسلموا﴾[5]. ﴿قل أتعلّمون ا لله بدينكم وا لله يعلم ما في السموات وما في الأرض وا لله بكل شيء محيط﴾[6].

فالأعراب إذن قسمان: مؤمنون ومذمومون.

والمذمومون تميزوا بما يلي:

١ – لم يثقوا بصدق الأخبار النبوية، وربما أنهم اشترطوا للأخذ بها إدراك موضوعاتها بأنفسهم.

٢ – منافقون ذوي باطن وظاهر، ويبطنون غير الذي يظهرون.

٣ – لا إلتزام لهم بحدود التشريع الذي فيه بيان الحلال والحرام، ولا يثقون إلا بما تشرعه قلوبهم.

---

[1] - التوبة /٩٧ - ٩٨ .

[2] - التوبة /١٠١-١٠٢

[3] - التوبة /١٠٦

[4] - الفتح/١١

[5] - الحجرات /١٧

[6] - الحجرات /١٦

٤ – إن انفقوا انفقوا لمقاصدهم، وهم في هذا على بُعد من عقلنة الفعل الخلقي بالإيمان.

٥ – هم الزاهدون في الآخرة والبعيدون عن الرجاء والخشية.

٦ – هم الذين عطّلوا أعمال الجوارح بما فيها جهاد الأعداء وإلى ما هنالك بأوهى الحجج.

٧ – هم المحبون للظهور والتكبُّر على الخلق.

٨ – هم الأعداء والخونة للاسلام والمسلمين.

ومنهم من هو بين بين وهم الذين خلطوا الأعمال الصالحة بالسيئة أو بتعبير أدق "الأنا" بالإيمان.

وإني إن شاء الله يا شيخ ابراهيم سأشهد بأنك من أهل الايمان لا من أهل الأنا أو العيان.

- الإيمان والعيان:

الإيمان كما هـو معروف تصديـق بخبر إلهي يصلنـا عـن طريق الرسول أو النبي صلى الله عليه وسلم أما العيان فيقول بالأنا، أنا الـذي يجب أن أعاين أو أدرك موضوع الخبر، حيث لا يقين بالخبر أو الآخـر، ولقد قال أهل التصوف بعد نفيهـم لموازيـن الادراك الحسـي والعقلي: انه لا يقين يؤخذ به سواء تعلق الأمر بمعرفة العـالم أو بمـا وراءه إلا عـن طريق يقين العيان .

ومن ثم جعلوا الإيمان في أدنى درجات سلمهم المعـرفي وخصـوه بالعوام أو المريدين، مقارنة بالكشف والشهود والذوق أو العيان الـذي خصوه بالواصل أو الشيخ أو الولي أو العارف.

إلا أن القرآن يقول العكس، بل ويقرر أنه لا معرفة لنا صحيحـة عن العالم الأعلى أو العالم الالهي إلا عن الخبر النبـوي، كمـا قـرر مـن جهـة أخـرى انـه لا معرفـة بالطبيعـة وتسـخيرها دون العقــل المرتبـط بالحواس، هذا العقل غير الموجود كلياً في التصوف كلـه. وعلـى شـقّي هذه المعادلة كان اجتماع العقل والايمـان في الاسـلام دونمـا تنـاقض او تعارض، مما يُعد بحق ميزة تفرد بها الدين الاسلامي عن بقيـة أصحـاب الايمان على الاطلاق.

أما عن تجربة العقل مع الخبر النبوي فذات شقين:

الأول: تجربة البيئة النبوية حيث أن القرآن الذي يمثل المعجزة الأم قد جاء على نهج بلاغي متميز ودونما تـاريخ لنهجـه قبـل محمـد (ص) مقارنة بالشعر الذي لم يكن على قوالبه وسحره دون آلاف السنين مـن تجربة إيجاده. وهيهات هيهـات للعـرب ايجـاد نهـج آخـر جديـد دونمـا

تاريخ له، بل حتى عجزوا عن الإتيان على مثال القرآن ولو بسورة واحدة.

فمعجزة القرآن تقول من باب الحوار العقلي: بافتراض أن القرآن من الله عزوجل لا من محمدص الذي عرفوه، ومعجزة "غلبت الروم" مثلاً تؤكد هذا الافتراض لتقوده إلى الواقع الحسي .ويقين تجربة الإسراء من جهة أخرى أدى إلى تصديق أخباره ص عن المعراج، فالعقل دوماً ينطلق من اليقين المُدْرَك ليسلّم بما لم يُدْرَك وتجربة "الأمين" هي المبدأ والأساس القياسي في كل التجربة التي بين العقل والخبر أو العقل والايمان.

أما عن الشق الآخر فإنه يعني التجربة المستمرة للعقل مع الأخبار القرآنية التي لها تبرير صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان وعلى عاتق تجربة "المتشابه" من الآيات يكون إحكام البرهان المستمر، وهذا ما نجده مثلاً في قوله تعالى: ﴿**يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذوا إلا بسلطان، فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾[1].

فالأقطار كما هو معروف تشير إلى كروية الأرض التي تم إدراك حقيقتها كواقع ذي رسوخ ملموس، ولكن لا في الصدر الأول للاسلام، وإنما من قبلنا نحن الذين يجب أن نؤمن بوجود "الجن" غير المُدْرَكْ بالمعنى العلمي حتى الآن، كما لم يُدْرَك حتى الأن يقين كروية العالم رغم قول العلم بهذا الاقتراح الذي سيتم إحكامه كواقع مُدْرَكْ في يوم من الأيام.

---

[1]- الرحمن /٣٣

ومن تجربة البرهان-المستمر إن قرأنا القرآن جيداً نستنتج انه من المحال إحكام كل المتشابه القرآني في عصر من العصور، ولا عند هذا العارف أو ذاك، من حيث لا توقف للإحكام المشار إليه برسوخ كلية الإدراك طالما هناك إدراك مستمر ابتداء من عصر النبوة أنتهاء بيوم الفصل والقرار.

وبعد هذا التنويه عن علاقة العقل-بالخبر النبوي يتوجب علينا الآن أن ندرك موقع الايمان من القرآن، لنرى على الأقل حقيقة الفرق بين الايمان والعيان، ولكن إياك يا شيخ ابراهيم وإنكار أن أهل التصوف جعلوا الايمان في الدرك الأسفل مقارنة بالعيان، وارجع إن شئت لأي كتاب من كتب القوم وعندها سترى هذا واضحاً لديهم كل الوضوح. أما عن القرآن فأنت من الحافظين له وها هو نبينا (ص) يقول **"وأمرت أن أكون من المؤمنين"**[1] **ومن المعيب عندها جعل النبوة في الرتبة الأدنى.**

أما عن أولياء ا لله فيقول ا لله عزوجل: ﴿ألا إن أولياء ا لله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين أمنوا وكانوا يتقون﴾[2] فأولياء ا لله هم حصراً المؤمنون الذين يخشون ا لله اتقاءً لغضبه وناره لا أصحاب العيان الزاهدون في الآخرة بما فيها من رجاء وخوف. فالايمان والعلم هما الاساس في المراتب لا العيان وبه كل الدّرجات **﴿يرفع ا لله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وا لله بما تعملون خبير﴾**[3] **﴿والذين آمنوا با لله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند**

---

[1]- المؤمنين /١٠٤

[2]- يونس /٦٣

[3]- المجادلة /١١

ربهم﴾[1] . ولكن احذر يا شيخنا وطالما أنت مروّج من المساواة بين "الشهداء " و "المشاهدة" لأنه لا تساوي بينهما إلا بالإفك أعاذنا الله وإياك من شره.

الإيمان سبب من أسباب تحصيل الإطمئنان النفسي، وسبب من أسباب تكفير الذنوب **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم﴾**[2]. بل إن الشيطان لا سلطان له على المؤمنين لأنه لا يستطيع مهما أوتي من قوة أن يدفعك إلى خطأ جمع "١ + ١ " أبداً **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾**[3] وسلطانه الأعظم بما لديه من تخييل وهواتف وإيحاءات لا بد كائن لمن نكّب نفسه لإدراك ما وراء العالم بقوى وملكات اجتهد برياضاته لإيجادها.

العيان بالحكم والتجربة النبوية مرفوض، ومن سعى إليه فهو مذنب لا بد له من الاستغفار، وها هو موسى عليه السلام **﴿قال ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرَّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾**[4].

فبهذه التجربة التي لا مثيل لها من قبل كما هو ملحوظ، أدرك موسى عليه السلام أنه لا سبيل لمعرفة الله عزوجل إلا بالخبر الالهي لا بالعيان، وبتجربته هذه أدرك يقين الإيمان حتى حقّ له لقب "أول

---

[1]- الحديد /١٩

[2]- محمد /٢

[3]- النحل /٩٩

[4]- الأعراف /١٤٣

المؤمنين" عن تجربة، وبهذه التجربة أيضاً تميز النهج النبوي الإلهي عن منهج العرّاف أو الكاهن الذي له زعم رؤية الله وزعم إدراكه للملأ الأعلى. وبالمقارنة بين يقين التجربة النبوية ومزاعم الذين يرون الله يكون الحكم قطعاً بأن ما يرونه ليس هو إله الأنبياء، وكيف يكون هو نفسه وها هو سبحانه قد زجر قوم موسى عليه السلام لما طالبوه الرؤية أشد الزجر ﴿**فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم**﴾[1]. وبناء عليه فإن من يسعى للعيان الذي قمته معاينة الأخبار النبوية ورؤية الله، ضال في سعيه، شاك في الخبر الالهي، حتى امتد شكه بالفعل للفصل بين الارتباط الشرعي الوحيد الذي له ضم العقل والخبر في تجربة الايمان.

إن رؤية الله عزوجل وفق الناموس الالهي القائل "لن تراني" لن تكون للإنسان إلى في الآخرة لأهل الجنة لا في الدنيا حتى أن لفظة "العاجلة" إضافة لإشارتها للدنيا وحطامها يمكن استخدامها كإشارة للذين استعلجوا رؤية الله في هذه الدار وذلك في قوله تعالى: ﴿**كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة، وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[2]

ولكن ما الذي سيقوله أصحاب العيان الذين زعموا رؤية الله في هذا التحديد القرآني؟ لقد قال أهل التصوف تبريراً لزعمهم رؤية الله بما يلي:

١ - ان موسى غير متمكن، والأبدال أقوى من الجبال ولهذا حقّ لهم أن يروا الله.

---

[1]- النساء /١٥٣

[2]- القيامة /٢٠- ٣٢

٢ – ان موسى رأى الله ولكن على الفناء لما تدكدك جبله أو جسده حسب زعمهم.

٣ – أن رؤية الله ليست مستحيلة وإنما موسى كان مخطئاً بطريقة السؤال، أو لأنه لم يدرك أن الرؤية امتنان وليست بطلب. ولو كانت مستحيلة ما طلبها موسى. ومن امتنَّ الله عليه رآه.

٤ – ان موسى لم يكن على مقام "كنت يده" ، ولو كان نظر موسى نظر الله كما هو عند الأولياء لما عجز عن الرؤية.

٥ – موسى لم يكن يعلم أن الرؤيا والمكالمة لا يجتمعان في بشر واحد.

٦ – إن للسالك الصوفي تحصيل مقام الجنة وهو في دنياه ولهذا فمن حقه رؤية الله في هذه الدنيا.

والناظر في هذه الحجج التي وثقناها في غير هذا الكتاب سيرى أنها تدور على أصلٍ واحد وهو تفضيلهم للولاية على النبوة ولكن من اليقين انهم يرون إلهاً غير إله موسى عليه السلام والكاهن "ابن صياد" مثلاً لما زعم رؤية الله على عرشه فوق الماء، زجره الرسول قائلاً: اخسأ انه الشيطان. أما أهل المقام الأخير من المتصوفة فيرون الله ولكن وفق أصطلاحهم لأنه لا فرق برأيهم بين الله والوجود ولكن ما هكذا بالطبع إله الأديان.

الشيطان والإيمان لا يلتقيان، بل بالعكس **﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾**[١]. وكل من طلب العيان زاهداً في خبر الله أو الإيمان فهو من أولياء الشيطان وهذا قانون الهي " ولن تجد السنة

---

[١]- الأعراف /٢٧

ا لله تبديلاً " . ثم وما الذي يريده أصحاب العيان؟ وها هي القاعدة الاسلامية تقول: إن كان العيان موافقاً للخبر فالمسلم في غنى عنه، وإن كان مخالفاً له فلا بد من رفضه، ففي كلا الحاليين لا حاجة للمسلم به، ولكنها العاجلة، ليقال: عارف، كامل، أو لتؤخذ أنباؤه كمساواة لأنباء النبوة، فهيهات هيهات، لأن الفرق كبير بين اليقين والمزاعم.

معرفة ا لله عزوجل، معرفة ما يريده ا لله من البشر، معرفة الملأ الأعلى، المعرفة الشاملة. كل ذلك غيب لا يحق لأحد أن يزعم اليقين فيما يقوله من أنباء، لا عن طريق القياس العقلي، ولا عن طريق العيان المباشر، ولقد انكر الله عزوجل كل ما هؤلاء من أنباء بل واستهزأ بمناهجهم قائلاً: **﴿أم عندهم خزائن ربك –. أم هم سلم يستمعون فيه –. أم عندهم الغيب فهم يكتبون–. أم لهم إله غير ا لله سبحان ا لله عما يشركون﴾** [1] **﴿أم لكم كتاب في تدرسون﴾** [2] **﴿أم لكم أيمان علينا﴾** [3] **﴿أم هم شركاء﴾** [4]

فأصحاب العيان وأصحاب المناهج الماورائية أو الميتافيزيقية كما يخبرنا ا لله عن سماتهم لا بد لهم أن يزعموا ملك خزائن ا لله إلى حد مساواة علمهم بعلمه سبحانه، ولا بد من قولهم بسلوك سُلّم المقامات المؤدي بهم إلى الاستماع بزعمهم عن ا لله والأخذ عنه، ولا بد أنهم سيقولون بزعم إدراك الغيب كلوح القدر واللوح المحفوظ وإلى ما

---

[1] – الطور

[2] – القلم /٣٧

[3] – القلم /٣٩

[4] – القلم ٤١

هنالك، ولا بد من زعمهم بأن ا لله اصطفاهم عن بقية الخلق وكأنه القسم الذي يطالبون تعالى ببره. ولكن كل ذلك بحكم ا لله شرك.

إن معرفة ما وراء الادراك العقلي والحسي حقيقة لن تكون لأحد إلا للرسل الذين يملي عليهم سبحانه أخباره التي أراد وصولها إلى البشر عن طريقهم **﴿وما كان ا لله ليطلعكم على الغيب ولكن ا لله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا با لله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾**[1].

فالاطلاع على الغيب لن يكون مشاعاً لكل أفاق، ولا طريق لهذه المعرفة إلا عن الرسل، وكل من زعمها بعدهم فهو زاعم للرسالة بعد خاتم الأنبياء وما أكثر التأويلات الصوفية لهذه الآية بقصد التحرر من حد المعرفة بالرسل.

ايه يا شيخ ابراهيم! فأين با لله عليك ستجد الاطمئنان وراحة البال؟ أفي الايمان أم العيان؟ ولا أظنك يعربي لا ثقة له إلا بعيان الفم والنظر. حاشاك، وألف حاشاك، وإني وا لله لأتوسم فيك حلاوة الايمان وأرجو ألا أكون مخطئاً، لأن الأصل يقول: اعرف الحق تعرف أهله، ولا أظلم ممن وزن الحق بالرجال **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا وليتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾**[2]. ومن لم ينكر دعاة السوء في دنياه انكروه في آخرته.

---

[1]- آل عمران /١٧٩

[2]- الفرقان/٢٧ - ٢٩

ولا تكن يا شيخ ابراهيم كمن أخذته العزة في الأثـمُ فمـن كـان مصراً على إدراك المـلأ الأعلى أو علـى رؤيـة ا لله اعترافـاً بوجـوده أو تعرفاً عليه، فلا أفلح بشرطه الذي لم يكن له إلى عن كبر ملك عليه لبه **﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نـرى ربنـا لقد استكبروا في أنفسهم وعتواً عتواً كبيراً﴾**[1].

فاتق ا لله فيما تروِّج، ومهما تكن سـذاجة الـترويج، وكلنـا غـداً لمسؤولين بين يديه **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى ا لله بقلـب سليم﴾** ولا أظن سلامة القلب ستكون لمن ترك سبل الأنبياء بسـبل مـا أنزل ا لله بها من سلطان.

---

[1] - (١) الفرقان/٢١.

– العيان والوراثة

لقد قال الله عزوجل لموسى عليه السلام: "لن تراني" وقال محمد(ص): "نور أنىّ أراه". وليس بعد هذا من ترجيح في انعدام الرؤية لأنه المؤكّد لتطابق الخبر النبوي بالخبر الالهي، أما من أراد العكس فما أكثر الأحاديث الموضوعة والمكذوبة التي تعج بها كتب أهل التصوف، وما أكثر الوقائع التي زعمرها في رؤيتهم الله سبحانه وتعالى.

العيان كما هو معروف لم يكن للنبي (ص)، ولمّا كان العيان لا يتم بالوسائل العادية للإدراك، ولما كانت تلك الملكات غير العادية مشروطة بالرياضات. كان لا بد لأهل التصوف من الربط ما بينها وبين النبوة، حتى اعتبروا اعتكافه (ص) في الغار من جملة رياضاتهم، حتى اعتبروا استغفاره استغفاراً من مقام أدنى لمقام أعلى أصبح فيه، انتهاء بوضع التشريع في المقام الأدنى مقارنة بالوصول أو المعرفة.

ولما كان العيان مشروطاً بالرياضات فلا بد لزاعمه من نبذ ارتباط الاصطفاء بالنبوة – هذا شرط – وإلا فلا وراثة لسابقة نبوية، وبهذا النفي تكون الوراثة تعني وراثة دروبه (ص) التي بها كان تحصيله للمعارف أو الرسالة والنبوة مع التأكيد على انعدام اهتمام الأولياء بمهام الرسالة. إلا أن هذا العارف الذي سيجعل من نفسه وارثاً لاكتساب النبوة مرفوض اسلاميا، وها هو سبحانه وتعالى يقول: **﴿ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾**[1].

---

[1] – الاحزاب /٤٠

فليس محمد أبا أحد حتى يورثه الرسالة والنبوة لأنها ليست مما يؤّرث، فهي اصطفاء لاكسب واعلم هذا يا شيخ ابراهيم واحذر من العيان الذي لا بد له من زعم استمرار النبوة على الأقل لايجاد الصلة ما بين التصوف والاسلام، فاحذر العيان يرحمك الله حذرك من الشيطان الذي لا مكان له مع الإيمان، أو مع الإيمان بأن محمداً خاتم الأنبياء والرسل.

أما أنت أيها المريد فإن وجدت الاضطراب من ثقل هذه الأقوال فتريث قليلاً إلى حين الوصول للنظر في قضية الولاية والنبوة من هذا الكتاب، عندها سيكون لك الحكم الصحيح إن شاء الله.

صحيح أن الرسول (ص) هو القائل: "العلماء ورثة الأنبياء" لكن انتبه أيها المريد فالوارث كما يقول الرسول ص هو العالم لا العارف، وشتان بين العالم كما تحدده الشريعة وبين العارف حسب المصطلح الصوفي. بل وما أكثر تسخيف أهل التصوف بعلماء الحديث والتفسير والفقه أو بعلماء الرسوم على حد تعبيرهم ولكن هل من ورثة غير هؤلاء؟

أما عن احتجاجك يا شيخ ابراهيم بقصة الرجل مع عثمان رضي الله عن لتبرير العيان ومشتقاته فاعلم أن الرجل قد استنكر وهو يقول: "أوحي بعد رسول الله؟" فقال عثمان: لا ، ولكنها الفراسة لقوله (ص): "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"، أو بنور شريعته وأحكامه، فمن وجه الرجل قرأ عثمان ما ينم فيه عن زنا النظر، الذي لا بد من ارتسامه على معالم الانسان. ومن هذا الباب قوله (ص): "الأرواح جنود مجندة فما تآلف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف". وأين هذا كله من رياضات القوم أو من قول الجنيد: "العارف من

عرف سرك وأنت ساكت"، أو من قول الصوفي "حدثني قلبي عن ربي كذا وكذا"، وأين هذا من زعم العارف لمعرفة عالم الملكوت والجبروت بكل ما فيهما من خفايا وأسرار؟، أم أن هذا كله لا معنى له من استمرار الوحي الذي انكره عثمان رضي الله عنه؟! أم أن عثمان كان ذا رياضات حتى كانت له – إن صح التعبير – تلك الملكة؟ ومن ثم فالمسألة كما رويت تخص المؤمن، فكيف يُصادَر عليها لتخدم العيان الذي لا علاقة له بالإيمان؟!.

ولكن ما الحيلة؟ فهل للصوفي إن دخلت إلى أعماقه من تفكير وعمل؟ إلا في كيف سيجعل دروبه ذات تبرير اسلامي؟ حتى ولو بخيط العنكبوت، حتى ولو ببطش النصوص ، حتى ولو على حساب النبوة، حتى ولو على حساب عقله. فدائماً وفي كل شؤونه لا تراه إلا مع هذا الوسواس!!

-الرياضات وملكات العيان:

التصوف إن بحثت عنه يا شيخ ابراهيم، سواء كان هندياً أو يونانياً أو فارسياً أو اسلامياً إن صح التعبير. فلن تراه إلا ساعياً لغرضين: أولاهما تحصيل الخوارق. وثانيهما: تحصيل المعرفة الشاملة. ودروب تحصيل هذين الغرضين هي نفسها مهما اختلفت وجوه الظاهرة الصوفية، إنها الرياضات. ومن أجل تبرير الرياضات استنطق أهل التصوف حديثاً نسبوه إلى رسول الله (ص) يقولون فيه: "من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم" وكذلك نسبوا إليه (ص) قولهم: "موتوا قبل أن تُموتوا" وقولهم "من عرف نفسه عرف ربه".

الرياضات بالأصل تعتمد على ثنائية الروح والجسد وهذا معروف منذ القدم وقياساً على ظاهرة النوم التي يكون فيها الإدراك للروح دون البدن الذي أصبح كأنه على الموت أو الفناء، قالوا بلزومه إماتة الادراك الحسي بشتى الرياضات لتتحرر الروح لإدراك الله أو لتتحد معه أو تعود إليه كعودة الفرع إلى الأصل، أو لتنطلق إلى عالم الملائكة وقد أصبحت على شبه بهم. تلك هي مهمة الرياضات سواء تزعمها الخلوتيون بقيادة الغزالي، أو أصحاب التأملات العقلية بقيادة الشاذلي، ولكنه حقيقة لا فرق بين الطريقتين وسيّان إن قلت بصعود الروح إلى الملأ الأعلى، أو قلت بهبوط الملأ الأعلى وفي كليهما ستبقى المشابهة هي القاسم المشترك وأقصد مشابهة الروح أو مشابهة الصوفي ككل مع الكائنات العليا بغض النظر عن التحديد. ولا فرق حينئذ إلا كالفرق بين الحلول والاتحاد.

الغزالي يقول: عليك أيها السالك أن "تهذب نفسك حتى تصير ملكاً روحانياً"[١]. فعالم "الملكوت - لا يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة"[٢]. والسالك عندها "جدير بأن يسمى ملكاً وربانياً"[٣].

ولكن تعالى أيها المريد لنرى تلك الدروب التي يتم بواسطتها نقل الانسان إلى الطبيعة الملائكية، لنرى إن كانت مشروعة ومقبولة أم لا؟ إنها بافراد القصد إلى الله - هكذا يقولون - وهذا لن يكون كما يقول الغزالي إلا "**بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم - ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير لا يكتب حديثاً ولا غيره**"[٤] فهذه هي إذن سنة هؤلاء الورثة الذين قالوا بالزهد في كل ما سوى الله تقويماً لنفوسهم أو تحريراً لأرواحهم. وها هو ايضاً الشيخ بشر الحافي يقول أيضاً: "**من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدّث ولا يشهد ولا يؤم قوماً". فقال له رجل: يا أبا نصر: ما تقوله لله تعالى إذا لقيته يوم القيامة وقال لك: لم لا تحدّث الناس؟ فقال بشر رضي الله عنه" أقول: يا رب قد أمرتني بمخالفة نفسي وإن نفسي كانت تشتهي الحديث والرياسة فخالفتها ولم أعطها سؤالها**". وبنفس الحجة ترك بعضهم التكاليف اعتباراً من الصلاة حتى الحج والجهاد وهذا ما سوف نراه فيما بعد.

---

[١]- ص٩٧ سر العالمين.

[٢]- ص ٣٠١ ج٤ - احياء علوم الدين.

[٣]- ص٢٠ ميزان العمل

[٤]- ص١٩ ج٣ إحياء علوم الدين.

ولكن إن كانت نتائج هذه الرياضات من وجهة النظر الاسلامية صحيحة، فهل سيكون القرآن والأحاديث، والعمل بهما من القواطع او العراقيل؟ وكيف تكون النفس لا الدين واصوله هي المعيار المعتمد في تقييم صحة أو عدم صحة تلك الرياضات؟ ولهذا فليس من الغريب أن نرى الغزالي في إحيائه وقد أتانا بسبع حجج على أفضلية الذكر بالدف والغناء على القرآن في حلقات أذكارهم، وما بالك إن كان السماع لا معنى له في الفكر الصوفي إلا بما يعينيه الوجد المؤدي لتحصيل الواردات الالهية، وهل حقاً واردات إلهية، تلك التي يستحيل جمعها مع القرآن؟!

النفس، أو مقاومة النفس، إسلامياً، ليس هو المعيار، إنه القرآن والسنة، فليس هناك أفضل مما وصفاه لتقويمها، وليس من الصواب الخروج عن الشرع مهما تكن الحجة إلا لمن أدرك هلاك نفسه "غير باغ ولا عاد"، أما إن كان هذا الهلاك مساوياً لإهلاك النفس بقصد الفتح والكشف وهذا ما قالوه عندها فلا لقاء بين الشريعتين، ومحال أن يقر الاسلام مثلاً بصواب السارق والزاني والعازف عن الزواج والهاجر لأولاده،، والتارك للمجتمع ولعقله بحجة انه ما فعل ذلك إلا قهراً لنفسه التي أصبحت تحجبه وهو على هذه العلاقات عن الكشف والفتح وإلى ما هنالك، ومحال أن يقبل الاسلام رياضات الإذلال والمهانة للمؤمنين الذين كرمهم الله وأعزهم بالإيمان والاسلام.

الفضائل الاسلامية كلها بما فيها التكاليف ذات أغراض خلقية اجتماعية، فليس للصلاة مثلاً من معنى إن لم تمنع مقيمها عن الفحشاء والمنكر، إن لم تحثّه على المعروف والإحسان، إن لم تدفعه لمساعدة الآخرين بكل ما تعنيه الصلات الاجتماعية. بينما في التصوف ومن

مقولتي "الزهد فيما سوى الله" و "إفراد القصد إلى الله ستؤدي إلى العكس والخلوة مثلاً من حيث هي قمة الرياضات لا تعني إلا الهروب من كل العلاقات الاجتماعية، حتى من كل الصلوات الجماعية، ولهذا فالتصوف في منهجه التربوي بعيد كل البعد عما تعنيه التربية الخلقية لأنه لا أخلاق دون الآخر أو دون وجود العلاقات الاجتماعية.

الفعل الخلقي بطبيعته مشروط بالآخر، أو بالتعامل معه، والرسول (ص) يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" بل ويقسم على ذلك بقوله: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه". فأين الجار في السياحة والخلوة، وأين الآخر في اتخاذهم قول ابراهيم عليه السلام " كلهم عدو لي إلا رب العالمين" شعاراً في هجرهم المجتمع والخَلقْ وهم المسلمون!!.

إن معالجة النفس تحت مصطلح "التخريب" لا علاقة له بشيء، لا بالمجتمع ولا بالأخلاق، وما غرضه سوى تعطيل الادراك الحسي أو خرق مألوفه سواء من يحث وجوب إعدام الاحساس بوجود العالم الخارجي، أو من حيث سحق البواعث الداخلية، وما أكثر الدروب التي سُلكت لهذا الغرض، وما أكثر الدروب التي استوردها أهل التصوف من الهند والفرس ابتداء من عد الأنفاس والتركيز أو التأمل انتهاء بما يعينه الجوع والسهر والعزلة، ولو كان للمريدين اطلاع على رياضات سحرة الهندوس مثلاً لأدركوا طبيعة الطريق الذي يسلكونه والذي لا علاقة لرياضاته بهذا الدين أو ذاك إلا من حيث الأردية التبريرية والألوان.

ففي رياضات اليوغا أو أذكارهم مثلاً يتم ترديد لفظة "أوم" التي تعني الإله ذا الثلاثة أقانيم أو شِعب مع التركيز عليها من حيث هي

فكرة حتى درجة الفناء أو زوال الوعي وبعدها سيكون لهم الكشف والفتح وغلى ما هنالك. أما اسلامياً فقد اتخذ أهل التصوف لفظة "ا لله" أو "هو" بدلاً من "لا إله إلا ا لله" لا لشيء على الحقيقة وإنما لأن التركيز غير متوفر في الكلمات المتعددة، وعملياً من حيث طبيعة الرياضات الصوفية لا فرق للتركيز بين أن تكون الفكرة لفظة "ا لله" أو "أوم" أو "ليلي" أو "هبل" ، والمهم هو الوصول إلى الفناء وهو المعني بتعطيل البواعث الداخلية والاحساس الخارجي للادراك الحسي، وحتى عد الأنفاس وفق نمط معين وبتعداد مخصوص يؤدي أيضاً إلى نفس النتيجة، ونفس النتيجة يمكن الوصول إليها عن طريق التحديق بشيء ما كرأس دبوس أو رأس الأنف أو اللاشيء وما أكثر تلك الدروب ودون حاجة إلى أي شيء آخر، مما يزعمه أهل التصوف.

أما بالنسبة للرياضات الجسدية عند الخلوتية فكل دروبهم قديمة قدم التاريخ فالجوع والسهر وقهر النفس والسماع بما فيه من طبل وقوال ورقص نراه موجوداً عند البدائيين، عند الشامان والكاهن والعرّاف، وكل الفرق أن البدائيين كانت حسب زعمهم تأتيهم الآلهة عند الفناء، بينما في التصوف الاسلامي إن صح التعبير تأتيهم الملائكة أو ا لله والحقيقة انه لا هيمنة للأرواح بمصطلح الوسطاء الروحيين أو الجن بالمصطلح الاسلامي إن لم يكن الفناء المؤدي لطرد العقل الحارس لهذا الجسد بما يتمتع به من ادراك حسي وتلك هي أسرار مسألة الرياضات. فلا تستغرب يا شيخ ابراهيم، ولا تنكر بأحوالك، فهذا الحديث الذي فيه البحث عن الجذور ليس لك واشياخك يعرفون هذا جيداً وإن أردت الفائدة ولا بد فانظر في شؤون الوسطاء الروحيين ورياضات الهندوس عندها ستعرف الأردية الاسلامية التي غلفت بها

رياضات أولياء التصوف وهذا بالطبع مما لا يرضونه لك، وكل الكفاية برأيهم حتى الآن أن تظل معتقداً بتوحيد الأفعال، وإن طال بك العمـر فسوف تدرك أصول اللعبة ولكن يوم لا ينفع الندم.

تعطيل الادراك إذن هو الهدف من الرياضات سواء كانت عقليـة أو جسدية وحتماً بقصـد تحصيـل الفنـاء أو الوجـد المؤدي للفنـاء مـن حيث اعتباره كعتبة التمـاس مـا بـين الانسـان والكائنـات الأخـرى أو العالم الآخر بكل ما تعينه الكلمـة مـن معنـى، والتربيـة الصوفيـة بكـل دروبها وفنونها ومهما اختلفت الطرق وتعددت الأساليب لا قصد لهـا إلا الوصول إلى الفناء المساوي للموت أو للحلم بتعبير أدق.

إن البحث في طبيعة الرياضات الصوفية وثائقياً بحث طويـل وقـد أعطيناه حقه في غير هذا الكتاب، وكل الذي أقصد إليه هنا: إن التربية الاسـلامية تسـعى لايجـاد إنسـان اجتمـاعي تتجلى فضائلـه الدينيـة في علاقته مع الاخـر، بينمـا التربيـة الصوفيـة ليسـت إلا السـعي لتخريـب الإدراك أو العقـل الـذي أمرنـا الله بإعمالـه لتسـخير الطبيعـة وتحصيـل تجربة الإيمان ولهذا فسوف يبقى الفـرق بـين التربيـة الإسـلامية والتربيـة الصوفية هو نفسه الفرق بين الإيمـان والعيـان، وإنـه لفـرق لـو تعلمـون عظيم.

أما إن نفيت ذلك الفرق يا شيخ ابراهيم لتقـول: هـا نحـن نربـي المريدين على الصلاة والصوم، وعلى كل الفضائل الاسلامية، ولم أر في التصوف شيئاً كـالذي تقولـه، وكـل مـا في الأمـر أن التصـوف طريـق لاصلاح النفس بقصد الوصول إلى تحصيل رضى الله والقـرب منـه. فهـا أنا مثلاً أقيم الصلاة بأوقاتها، وقد أديت فريضة الحـج، وهـا هـو فـلان

وفلان دائماً موجودون في المساجد، فهل سمعت منا يوما ما على المنبر أو في المحافل ما يؤدي إلى تعطيل الدين وزعم النبوة وإلى ما هنالك؟

قولك هذا يا شيخ ابراهيم صحيح إلا أن العبرة بالمباديء فهل من تكاليف وجزاء مع الجبر إلا إن كانت إقامتها نفاقاً بين فتحتي الظاهر والباطن؟ وليس ذنبي أنك لم تكن من الواصلين إلى كلية التصوف ومبادئه حتى الآن، ولكن من الأكيد قد تعرَّفت إلى مقاصد الذين زعموا الوصول على الأقل من خلال كتبهم ، ولا أراك من خلال ما عرفته عنك إلا من العالمين المتوغلين في شؤون التصوف "بل الانسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره".

واعلم يا شيخ ابراهيم بأن كتابي هذا ليس للإتهام معاذ الله، وإنما للنصح لطالما أستطيع أداؤه، وليعلم الله انه لولا حبي لك ما فكرت في ذلك، ولولا إيماني بوجوب النصيحة في المجتمع المسلم لما فكرت بتلك الفكرة فاعذرني أيها المبجل بما تجرأت عليه، وقد أكون مخطئاً ورجائي عندها إن أستطعت أن تكون ناصحاً لا حاقداً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اعلم يا شيخ ابراهيم أن ما قلته من حجة هو الذي جعل التصوف باقياً حتى الآن رغم صراعه مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين، رغم عدم وجوده في الصدر الأول للإسلام. فالتصوف إن فكرت فيه ملياً ستراه وقد أعد منهجاً لكل احتمالات الصراع مع البيئة الاسلامية، وخطورته بالتحديد نابعة من الجهل بمنهجه هذا، حتى إني على سبيل المثال قد استغربت كثيراً من ضعف بضاعتك في الحديث النبوي، وتلك بالطبع واحدة من عناصر ذلك المنهج، مقارنة بالكم

الهائل الذي تحفظه عن تخريفات أولياء التصوف. أما عن العناصر كاملة واعني عناصر منهج الصراع الصوفي فسوف أبسطها بين يديك وهي:

١ - القول بتعميم التمايز بين الظاهر والباطن سواء على مستوى الوجود أو النصوص والعقيدة أو السلوك والأعمال.

٢ - القول بالمراتب، والناس عندها: عوام، خواص، خواص الخواص. والعوام يمثلون الظاهر ولهم الالتزام بشريعة الظاهرة من صلاة وصيام وإلى ما هنالك. أما الخواص فهم السالكون أو الذين استجابوا للترويض من قبل الشيخ كمنطلق يؤدي بهم إلى إدراك الأسرار أو العقائد الباطنية، ومن وصل إلى ذلك فهو الواصل إلى الحقيقة أو الحق، وهو عندئذ من خواص الخواص، وهو الواقف على الباطن وما الظاهر بالنسبة إليه إلا للاستدراج أو التقية وهذا ما سوف نراه من وثائقهم عما قريب. مع ملاحظة أن الغرابيل أو المراتب قد تكون أكثر من ثلاثة وهذا بالطبع تبعاً لدرجة الحرص على الأسرار.

٣ - قولهم بالتقية التي لها كل الارتباط بفكرة الظاهر والباطن، وبها لن ترى الصوفي - ولا أقصد المريد بالطبع - إلا ظاهراً بما يرضي الناس أما في باطنه أو حقيقته فهو شيء آخر ولو لاحظت يا شيخ ابراهيم مدى اهتمام المشايخ بهذه العقيدة التي شددوا على وجوبها في كل الأحوال لأدركت خطورة النفق ذا الفتحتين الذي لم يبارحوه قط عبر وجودهم التاريخي كله.

٤ - منعهم المريدين وحجرهم عن التعرف إلى الآراءالأخرى، حتى نهوهم عن قراءة الكتب، كما نهوهم عن التعامل مع أصحاب الفقه والحديث والتفسير، كما نهوهم أيضاً عن مجالسة كل من تكلم باسلام أو بقضايا اسلامية قد تتعارض مع أصول التصوف، ومن أجل

هذا أخذوا عليهم المواثيق واثقلوهم بأغلظ الأيمان. وصدّق المساكين بأن هذا دين، كما صدقوا بجواز هكذا يمين وصبر جميل وا لله المستعان.

٥ - زعمهم بأن الشيخ مقدس حتى ساووه بالرسول (ص) بحيث لا يجوز للمريد الاعتراض على شيخه مهما يكن سلوكه وعقيدته واقواله وهكذا أصبح الدين طاعة رجل أو شيخ، كما لا يجوز للمريد أخذ العلم إلى عن الشيخ سواء تعلق بالقرآن أو بالسنة حتى استنطقوا رسول ا لله (ص) حديثاً يقولون فيه: "من لا شيخ له فشيخه الشيطان" أو من لا شيخ صوفي له تحديداً فشيخه الشيطان سواء كان محدثاً أو مفسراً.

٦ - اعتمادهم للتأويل مطية في وصلهم ما يعتقدون به مع القرآن أو الدين إلى حد أصبح الاسلام منسوخاً كله بالباطن كله.

٧ - اخفاؤهم لما يعتقدونه، خاصةً التوحيد، وجعله من جملة الأسرار التي لا يباح الكلام فيها إلا في أضيق الحدود وبالتحديد بين الواصلين أو المشايخ لا بين المريدين الذين ما زالوا على الفرق بين الخالق والمخلوق، أو على توحيد لا إله إلا ا لله.

٨ - اعتمادهم على فكرة المدسوس فيما ثبت في كتبهم من خروج على الاسلام لاتهام أعدائهم بالدس عليهم، وإن دعوتهم لاستخراج المدسوس وتعيينه وهم العارفون الذين لا تخفى عليهم خافية في السماء والأرض، أو إن دعوتهم إلى لعنة من وضع تلك العقائد فلا تراهم فاعلون، بل بالعكس، فلو نظرت إلى كلية المباديء الصوفية ربطاً بالنتائج فإنك لن ترى تلك العقائد إلا من صميم ذلك الإرتباط، فمن قال مثلاً بتوحيد الجبر توحيد لا فاعل إلا ا لله بالتأكيد وبالنتيجة

سيقول بتساوي أبي بكر وأبي جهل، سيقول حتماً بانعدام الفرق بين ابليس والرسل، وهذا ما تقوله كتب القوم، فأين هو اللس؟

٩ - اعتمادهم الخوارق والكرامات برهاناً على صدق عقائدهم وإغراءً لاستدراج المريدين لطرقهم.

١٠- اعتمادهم الغناء واللهو بما ابتدعوه من سماع وموالد وبما فيه من رقص ودف للترويج والافصاح عن عقائدهم واستدراجاً للمريدين الذين سيرون أنفسهم بما يملكونه من مواهب فنية تلائم هذا المقام وكأنما أصبحوا من رجال المجتمع البارزين بمجرد مشاركتهم بأمثال هذه المظاهر المصاحبة لهذا الوقور أو ذلك الشيخ وهكذا يسقط الفأر في المصيدة.

١١ - تقديم كتبهم على أنها لدنية المصدر أو أنها عن أوامر إلهية أو نبوية، وهذه قاعدة عامة ستجدها في كل كتاب من كتبهم، ولا غرض لهذه الحيلة إلا انتزاع النقد من القارئ تعطيلاً لعقله وما لديه من أحكام شرعية.

هذه هي يا شيخ ابراهيم أمهات المنهج الصوفي في الصراع ولولاها ولولا السذّج والجهلة ما كان للتصوف حياة حتى الآن، وبالنظر إلى طبيعة هذه العناصر سنرى انه من الصعب تصديق الصوفي من خلال ما يُظهره للناس، أو من خلال ما يزكي به نفسه وأقرانه لأنه من المحال إدراك باطنه وهو الذي لا حقيقة برأيه إلا في الباطن، بل ومن المحال أيضاً التعرف متى استخدامه للتقية وهو الذي جعلها من الدين. إلا انه لا عقاب على النفاق إلاّ من الله عزوجل وإلى الله تفويض أمر أصحابه، وما أمرنا الله ورسوله نحن المسلمين إلا بحسن الظن بكل ما ظهر لعل أبناء المنافقين أن يكونوا خيراً منهم، أما من ثُبتَ انه من أهل

التصوف وباعترافه فهذا يكفي لأن تحوم الشبهات حول أعماله وعقائده وفي هذا يكون الخزي عقاباً له في دنياه، ولكن لا للمريد بالطبع، واني على ثقة بأن المريد على براءة ولكنه مسؤول عند ربه عن الأسباب التي جعلته غير قانع بالاسلام وبساطته حتى تسمى بالصوفي بدلاً عن المسلم.

وتعقيباً على الذي ذكرناه من عناصر منهج الصراع الصوفي سأكتفي الآن بالبحث الوثائقي في نقطتين هما: التقية من جهة، والمدسوس والتأويل من جهة أخرى نظراً لأهميتها الخاصة.

١ – المدسوس والتأويل:

الكتب الصوفية دائماً، ومهما تكن تفاهتها وتفاهة أصحابها، ومهما يكن خروجها عن الدين، فهي محفوظة برأي أصحابها على الاستقامة، وما أكثر المنامات التي تروى لهذا الغرض، وما أكثر الواردات الآمرة للصوفي بتأليف كتبه، وهكذا أصبح التصوف وطلبه فرض عين على المسلم شأنه في ذلك شأن الصلاة والصيام وإلى ما هنالك، ولقد قال الغزالي عن التصوف "انه فرض عين – وقال الشاذلي: من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر"[1] ولكن ما الذي سيقوله أهل التصوف للقاريء كبائرهم في كتبهم؟ سيقولون: "**إن ما نراه في كتب الصوفية من الأمور التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة وأحكامها هي: إما أن تكون مدسوسة عليهم –. وإما أن يكون كلاماً قابلاً للتأويل**"[2]

---

[1]- ص٧ ح١ ايقاظ الهمم. ص ٣٥ حقائق عن التصوف.

[2]- ص ٥١٦ حقائق عن التصوف

فالتعارض مع الشريعة برأيهم إذن إما تعارُضْ مع الظاهر، وفي الحقيقة أو الباطن لا تعارض، وإما أن التعارض الموجود في كتبهم مدسوس عليهم من أعدائهم. وإما أن التعارض يقبل التأويل، وبالتأويل يمكن رفعه!.

الشيخ أبو ظاهر المزني الشاذلي يقول: "**إن جميع ما في كتب الشيخ محي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه لأنه رجل كامل باجماع المحققين – من أهل التصوف – والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لأن الشارع – أو الله – أمنه على شريعته**".[1]

فكل ما في كتب ابن عربي إذن من خروج عن الاسلام ابتداء من عقيدته في وحدة الوجود انتهاء بعقيدته بوحدة العقائد مروراً بعقيدته بتوحيد الأفعال كل ذلك وما ترتب عليه فهو مدسوس عليه من أعدائه. وكيف له الخروج عن ظاهر الشرع وهو المؤتمن على حفظه؟!

أما "الرواس" فيقول صراحة عن الأفكار والألفاظ التي فيها الخروج عن الأدب والشرع وهو الولي: "**فليس لنا إلا التأويل لهذه الألفاظ أدباً مع القوم**"[2] . فالأدب إذن ولضمان سمعتهم الحسنة يدفعه لتأويل أقوال أولياء التصوف التي فيها المعارضة للإسلام. إلى أن التأويل اسلامياً غير جائز إلا للنصوص المعصومة بمصدرها ولهذا قال أهل التصوف بعصمة أوليائهم. وهذا ما سوف نراه فيما بعد.

---

[1]- ص٣ ج١ ليواقيت والجواهر.

[2]- ص ١١٤ قلادة الجواهر.

والشيخ ابو الهدى الصيادي في قلادته يقول موضحاً طبيعة المنهج الصوفي في تعامله مع النصوص والأقوال الصوفية الخارجة عن الاسلام: **"فما كان من اصطلاحاتهم وشطحاتهم وكلماتهم لا يتجاوز حد الشرع ظاهراً سلمنا لهم فيه وأذعناه. وما كان مجهولاً تركناه على حاله لله تعالى، وما كان مردوداً بظاهر الشرع لا يقبل التأويل انكرنا نسبته إليهم وقلنا بعدم صحة الخبر صيانة لمقاماتهم العلية واعتقاداً بأنهم يدورون مع الحق حيث دار -. فلذلك نتأدب معهم بتأويل كلماتهم وننكر صحة نسبة ما لم يؤول من الكلام المعزو إليهم-. وكلهم واحد"**[1] ولهذا أيضاً أمر مريديه قائلاً: **"وإن نأى التأويل فأحكم بوضعه وإسناده إليهم عن غير أصل، وهم مبرؤون ومحفوظون، وكلهم على هدى".**[2]

فمشايخ التصوف كلهم إذن من حيث المبدأ معصومون أو محفوظون، ولا مناص من هذه العقيدة لبراءتهم، ولا معارضة لهم بعدها للشرع أو لظاهره. أما إن كانت تلك المعارضة ملموسة وواضحة فلا بد من تأويلها لرفع الخلاف. أما في حال عجز التأويل عن هذه المهمة، فلا بد عندها من إنكار نسبتها إلى القائل بها ولا أفضل من فكرة المدسوس لهذا الغرض، وكل ما هو مخالف عندها للقرآن والاسلام من أقوال الأولياء في كتبهم فهو مدسوس عليهم من أعدائهم.

وهكذا يتضح إذن أن منهج القوم في تبرئة أوليائهم يعتمد على ثلاثة أكاذيب:

الأولى: الاعتقاد بعصمتهم

---

[1]- ص ١٣٧ نفسه.

[2]- ص ٢٢٢ أشرف الوسائل

الثانية: اتهام أعدائهم بما هو لهم.

الثالثة: التأويل المخادع الذي له التظاهر بالتلاؤم بين الشرع وخروجهم عنه.

واعلم أيها المريد: انه حيثما استخدم الصوفي التأويل عندها تكون المعارضة للاسلام وأصوله حتماً، وحيثما قال بالمدسوس تكون المعارضة التي عجز التأويل عن تجاوزها. واحذر أن تتهم عقلك فيما تدرك، واعلم ان ما يقولونه هو حقائقهم، واحذر من تأويلاتهم لأنه لا غرض لها بالأصل إلا استلاب ما لديك من عقل وأحكام، فاعرف الحق تعرف أهله، والعكس هو الخطأ وكل قول يؤخذ فيه ويُردُّ إلا قول الرسول الذي تكفّل الله بعصمته.

أما أنت يا شيخ ابراهيم فكل ما أرجوه ألا تنسى ما تعنيه فكرة المدسوس عند أربابها وأنت تروِّج للقوم لتبرأهم وها قد علمت بما يعنيه وجودها في منهج الصراع الذي يتواصون على اتباعه.

٢- التقية بين الظاهر والباطن:

إن للتصوف أسراراً لا يقولون بها لكل أحد، وإن بحثت عنها فسوف تجدها في نهاية المطاف هي نفسها عقائد الواصلين المتمثلة بتوحيدهم الثلاثي الأركان والغزالي يقول: "لا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش".[١] والشيخ علي ولده يقول: **"فلا تظهر لقومك إلا ما تعرف منهم قبوله منك"**[٢] وعلى الشيخ أن يكون "فطناً لما يبرز منه، فلا يعطي كل جليس إلا ما يقبله استعداده في كل

---

[١]- ص ٩٧ جـ١ إحياء علوم الدين.

[٢]- ص ٩٢ جـ٢ الطبقات الكبرى.

زمان"[1]. ولقد قيل للشيخ أحمد الرفاعي ذات مرة: "**ماذا قال ربك؟ فقال رضي الله عنه: قال ربي جل جلاله:**

دارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في أرضهم"[2]

وقال آخر: "**ما عُبد الله بأحسن من التقية**".[3] حتى العمل بالفقه وتدريسه يستخدمه أهل التصوف ترساً لاستدراج المريدين وإخفاءً لحقيقة عقائدهم. فمن المعلوم مثلاً كما يقول الشعراني أن المسلمين قد "**شهدوا على الجنيد رضي الله عنه بالكفر مراراً حتى تستر بالفقه واختفى مع علمه ومعرفته**"[4]. عن الناس.

فالصوفي الآخذ بعقائد الباطن دائماً يظهر غير الذي يبطن وإلا ما وجد مريداً قط من البيئة الاسلامية و "الكامل - كما يقول الشيخ داود الكبير - من يستر باطنه بظاهره"[5]. وليس غريباً أن تراه مقيماً للتكاليف وهو في باطنه لا يؤمن بوجوبها. والشيخ الأكبر ابن عربي يقول: "فكيف لو أن الأمر يبدو بلا ستر يكون له استنادي

لقام بنا الشقاء"[6]

وبالفعل لولا استنادهم للستر أو التقية لقضي الأمر فيهم منذ زمن بعيد.

---

[1]- ص ٥٨ جـ٢ الأنوار القدسية.

[2]- ص١٩٨ قلادة الجواهر.

[3]- ص٩٧ أضواء على مسلك التوحيد.

[4]- ص ١٦١ جـ١ الطبقات الكبرى.

[5]- ص ١٩٩ جـ١ نفسه.

[6]- ص١٨٩ جـ١ ب ٤٥ الفتوحات المكية.

أما إن حدثوك باسرار عقائدهم ثم أذعتها أو انكرتها فلا بد عندها من عقابك وها هو شاعرهم يقول:

"من ساررروه فأبدى كلما ستروا ولم يراعي اتصالاً كان غشاشاً

من لم يصن سر مولاه وسيده لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وعاقبوه على ما كان من زلل وابدلوه مكان الانس ايحاشا"[1]

وابن عجيبة يقول: "فمن أفشاه كان خائناً واستحق الطرد والعقوبة".[2]

فالأنس الصوفي إذن بما فيه من نعومة الملمس ولين العريكة والمعشر كل ذلك كأنس الصياد الذي يستدرج فريسته للفخ. ولكن هلاّ علمت أيها المريد "أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك" والحق أولى أن تخشاه ولن يفيدك أنسهم يوم لا ينفع الندم.

أما الطريف في مسألة الأسرار التي أوجبوا كتمانها بالباطن والتقية انهم ينسبونها إلى الإمام علي بن أبي طالب وابي هريرة وحذيفة اليمان رضي الله عنهم أجمعين وكأنما كانوا في باطنهم على عقائد تخالف كل ما للاسلام من عقائد معروفة أو كأنهم على عقائد أهل التصوف التي لها ابطال الربوبية والنبوة والرسالة.

[1]- ص ١٠-١١ اضواء على مسلك التوحيد.

[2]- ص ١١١ حـ١ إيقاظ الهمم.

الشيخ المريد:

المريد حسب فكرة المراتب من العوام الذين يعبدون الله على الفرق، والصوفي لا يكون شيخاً حتى يعتقد بتوحيد الأفعال والعقائد والوجود ولا شيء غير هذا كأمهات لأهل الباطن، وإنه لفرق شاسع بين الشيخ والمريد، إنه على حد تعبير ابن عربي وعبد الكريم الجيلاني كالفرق بين الانسان والحيوان.

ولكن ما هي تلك السبل التي سيستخدمها القوم لترويض مريديهم؟ وكل ما أرجوه ألا تكون سبلهم ذات طغيان يقهر العقل أو ذات استبداد يقهر الانسان في كرامته وعقيدته.

يقول السهروردي وابن عجيبة وهما علمان من أعلام التصوف: "**روي عن ابي يزيد أنه قال: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان**"[1]. ثم أصبحت مقولة أبي يزيد هذه حديثاً شريفاً نسبوه إلى الرسول (ص)، وهكذا أصبح المسلم مخيراً بين الشيطان والشيخ الصوفي دون غيره من أئمة الفقه والتفسير والحديث وإلى ما هنالك من علماء الرسوم أو الظاهر على حد تعبير أهل التصوف تحقيراً لهم. ولقد صدَّق السذج بأن هذا حديث عن رسول الله (ص)، وكيف لا وها هي طبول التصوف تقرع الآذان به على المنابر، منابر رسول الله!!. والغزالي يقول: "من مات بغير شيخ مات ميتة جاهلية"[2]. وهو إلى الكفر أقرب ولم لا طالما التصوف حسب رأيه فرض عين على المسلم! فالشيخ الصوفي كأنه "الفيوز" أو "المحولة" للاستفادة من مولد الكهرباء، وإلا فسوف يحترق المريد إن اتجه إلى الله بنفسه، أليس

---

[1]- ص ٧٨ عوارف المعارف. ص ١٤٧ حـ١ الفتوحات الأهية.

[2]- ص ٨٧ سر العالمين.

كذلك يا شيخ ابراهيم؟!. هذا عيب ومن قال لكم ان الاسلام يطالب الخلق بالوصول إلى الله جل جلاله ليروه أو يكلموه حتى يكونوا على الصواب؟ لا، فالمسلم في غنىً بمحمد (ص) عن كل الدروب التي لها هذه المزاعم المنكرة.

وإذا جاء المريد لاستلام دينه من الشيخ عندها ستوضع العهود والمواثيق، فلا بد أولاً من ارتدائه للرقعة التي تعني الولاء لهذه الطريقة أو تلك، ولا بد من يمين الولاء على الطاعة في المنشط والمكره الذي سيعني عدم اعتراض المريد على شيخه مهما بدر عنه من منكرات وأقوال يستشم منها معارضه الاسلام، ولتوثيق هذا الولاء سيفتح المريد فمه ليبزق الشيخ فيه أو في جرة ملئت بالماء ليشرب منها، وما ذلك بالفعل إلا تيمناً بعرب الجاهلية الذين كانوا يجرحون ايديهم ليخلطوا دماءهم كناية للوفاء بالقسم الذي ارتبط بوحدة الدم أو العزم والمصير.

الشيخ الصوفي كالرسول، ولا فرق في تعامل كليها مع مريديه أو صحابته. والخرقة لها إزاحة الحجب عن عيني المريد تماماً كما أزاح قميص يوسف الغشاوة عن عيني أبيه عليهما السلام، ولم لا وها هو الشيخ أبو المواهب الشاذلي زعم انه لبسها من رسول الله نفسه، أما الشيخ أبو بكر البطائحي فقد زعم أنه لبسها عن أبي بكر رضي الله عنه، أما الشيخ احمد الرفاعي وطالما هو شيعي فقد زعم انه لبسها عن الرسول (ص) عن طريق الإمام علي رضي الله عنه ومن أجل أن يكون هذا السند متصلاً بالإمام علي لأن الشيخ احمد الرفاعي لم يعاصره جعل الرواس من الحسن البصري صلة الوصل بينهما رغم إنكار أغلب المؤرخين إلى لقاء الحسن البصري بالإمام علي، وتخلصاً من ذلك كله استقرت الطريقة الرفاعية أخيراً على ربط خرقتها بالإمام الشيعي علي

الرضا. حتى أن بعض أصحاب الطرق زعموا اتخاذ المرقعة ولبسها عن جبريل عليه السلام، وآخرون زعموا أخذها عن الخضر، وما أكثر الترهات في هذا الموضوع الذي يستحيل جمعه مع طبيعة الدين الاسلامي الذي حذرنا على الأقل من لبس الشهرة مهما يكن نوعه كما حذّرنا أيضاً من كل ما هو اسفين في وحدة المجتمع المسلم.

الشيخ الصوفي كالرسول (ص)، إنه الوارث له فهما سيان، بل انه في الطاعة كالإله، وكما قال الله عزوجل عن الوالدين: ",إن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما" كذلك يقول مشايخ التصوف: لا طاعة للمريد واجبة إلا طاعة الشيخ أو أباه الروحي الذي بالمقارنة أفضل من أبويه في الجسم لأنه السبب في ولادته الروحية الباقية، بينما أبواه هما سبب ولادته الفانية فأين البقاء من الفناء وهكذا أصبحت "حرمة المشايخ كما يقول الغزالي - اعظم من حرمة الوالدين." وهذه الفكرة بالفعل أصل منهجي مقوصدهم منه خلع ا"لأبناء من الانصياع لنصيحة الآباء وإلا فلا مريد.

أما بالنسبة للإسلام فالطاعة قطعاً مقرونة بالله عزوجل حيث "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ومن زعم الطاعة له دون هذا المعيار فقد زعم الألوهية ولكن كما يقول المروجون: ما هكذا أولياء التصوف لأنهم برأيهم هم المهتدون "فبهداهم اقتده" وهمن أهل الإنابة " واتبع سبيل من أناب إلي"، وهمن الصادقون "وكونوا مع الصادقين"، وهم النجوم لهداية المريدين "وبالنجم هم يتهدون" ، وهم العلماء "فهم الوارثون". إلا أن قاعدة "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ستبقى هي الأصل، وبالإسلام عندها يجب وزن هؤلاء إن زعموا تلك

المقامات لا أن نزن الاسلام بهم وهـذا مـا سـوف نـراه بعدئـذ بشـكل أوضح.

إن الطقوس الصوفية في علاقة الشيخ بالمريد ذات شقين: منها ما يتعلق بالآداب الظاهرة، ومنها ما يتعلق بالآداب الباطنية. وعن الأول مثلاً قولهم بوجوب سكينة المريد ووقاره إن جلس بـين يـدي الشـيخ، حيـث لا ضحـك ولا كـلام، إلا الاستعداد الدائـم للخدمـة بـالأموال والجوارح لأن خدمة "**الرجال سبب الوصال**".[1]

أما الآداب الباطنة فمنها اعتقاد المريد بكمال شـيخه، وحفـظ حرمته حاضراً وغائبـاً، ومـن ثـم عـدم الاعـتراض عليـه لا بـالعقل ولا بالشرع، كما لا يجوز الانتقال عنه إلى شيخ صـوفي آخـر لأنـه عندهـا كالمرأة بين الرجلين، أما إن انتقل عنه إلى أهل الفقه والحديـث وإلى مـا هنالك، فهو عندها بحكم المرتد.

والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول لوجوب عدم الاعتراض:

"وكن عنده كالميت عند مغسِّل   يقبله ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره   عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلّم له فيما تراه ولو يكن   على غير مشروع فثم مخادع
وفي قصة الخضر الكريم كفاية   بقتل غلام والكليم يدافع"[2]

ومن تمعن في هـذه الأبيـات سـيراها ولا قصـد لهـا إلا تعطيـل قاعدة "لا طاعة لمخلوق في معصيـة الخـالق". فسـلوك الشـيخ وعقـائده محاطة بالأسرار، حتى وإن خـالفت الشـرع فهـي صحيحـة، فمـا علـى المريد إلا الطاعة والتسليم، وإلا فهو الفراق كالفراق الذي حـدث بـين

[1]- ص١٠٤ حـ١ إيقاظ الهمم.

[2]- ص ٦٨ حقائق عن التصوف.

موسى والخضر عليهما السلام وبذلك تكون الاشارة إلى اختلاف شريعة الشيخ عن شريعة المريد الذي ما زال يزن شيخه بأحكام الشريعة الاسلامية التي هو عليها.

ولترويض المريد من أجل نقله لشريعة الشيخ، سيفتعل الشيخ ويفعل الكثير الكثير مما فيه الاشارة لمعارضة الشريعة الاسلامية، وشيئاً فشيئاً، وفي كل مرة يأمر مريده بالصمت والسكوت والتسليم، وما يزال المريد على هذه الرضاعة حتى يطمئن الشيخ إلى موافقته التامة لكل ما لديه من عقائد، عندها يكون الفطام ليصبح المريد شيخاً مأذوناً له باستخدام هذا المنهج في ترويض المريدين الجدد.

فعلى المريد ألا يفعل شيئاً إلى بأمر فلا "**اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر**"[١]. إلا بأمر، بل ولا صلاة بما فيها النوافل إلى بأمر الشيخ"[٢] "وإن كنت في خدمة الشيخ – كما يقول ابن عربي – فلا تصم ولا تتحرك في شيء إلا بإذنه"[٣].وعلى المريد موافقة الشيخ وعدم الاعتراض عليه " في جميع الأحوال"[٤]. **وعليه "أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبيّنة منه"[٥]. حتى "وإن علم خطأه"[٦] حتى ولو "لطخه شيخه بذنب"[٧].**

---

[١]- ص ١٨١ حـ١ الطبقات الكبرى.

[٢]- ص ١٤٣ حـ٢ الابريز.

[٣]- ص٥٠١ ب ٥٦٠ الفتوحات المكية.

[٤]- ص ١٦١ الفتح الرباني.

[٥]- ص ١٣٠ حـ٢ الأبريز.

[٦]- ص ١٧٢ أيها الولد

[٧]- ص ١٢٨ ح٢ الفنية

وعليه أن "يتأول للشيخ في الشرع"[1] إن خرقه، بل وعليه أن يتهم نفسه. وما أكثر أمثال هذه القواعد التي لا همَّ لها إلا انتزاع عقول المريدين وأحكامهم عن الشيخ، وإلا فلا ترويض.

أما المعترض على شيخه فمعاقب، ولن يكون له فتح ولا كشف ولا خوارق و "**من قال لاستاذه لَم لْم يفلح أبداً**"[2]. "وكم من رجل - أي شيخ أخذ كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه ثم قلبه في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً، وهو ما شرب إلا عسلاً"[3] فقد آخذ الصوفي إذن كأس خمر بيده ثم قلبه الهه في فيه عسلاً إكراماً له بالطبع إلا أن الرسول لعن حامل الخمر وجاره إن رضي به، فما بالك بمن حمل كؤوسه وجلس على موائده؟ ولكن لا إعتراض فإن الله قادر على كل شيء!! لا، لا ، بل ان الشيخ على شريعة أخرى نسبها إلى الله، وغير خافٍ أن هذا المنطق الذي اعتمد الأسرار والقدرة الالهية لا غرض له في جوهره إلا ترويض المريد وللترويض قد يستخدم الشيخ المنكرات بحجة إنقاذ نفسه من وطأة الواردات الإلهية أو الملائكية المهلكة"[4] "كإظهار العورة والكلام بالمجون وتناول المسكرات وإلى ما هنالك"[5] "فالصوفي يستخدم المنكرات للفصل بين حالين"[6] وهو معذور في ذلك، أو يستخدمها كما يقول الشيخ عبد الغني النابلسي لمعرفة الجديرين بالأرار من مريديه"[7].

---

[1]- ص ١٦٤ حـ٢

[2]- ص ١٥٠ الرسالة القشيرية.

[3]- ص١٣٠ حـ٢ الأبريز.

[4]- ص١٠٨ حـ٢ الأبريز.

[5]- ص١٠٩ نفسه.

[6]- ص١٦٤ حـ٢ الفنية

[7]- ص ٢٣١ التصوف بين الأصافة والاقتباس

إن من لم يعترض من المريدين على معاصي شيخه، فهو المأهَّل للأسرار، أسـرار الشريعة الأخرى، وحتماً بعد انتزاع كل أحكام الشريعة من ذهن المريد، وهذا هو الترويض، وتلك كل الغاية، وبعدها ستنثال الخوارق جارية بين يديه، ولكن لا عن أحوال شريفة بالطبع. أما في أيامنا هذه حيث لم يعد هناك من تكايا وزوايا تجمع الشيخ بمريديه على الدوام فقد أصبحت قراءة الكتب الصوفية على المريدين في المساجد والاجتماعات الخاصة بما فيها من شبهات وشكوك وتخاريف الوسيلة الأهم لنقل المريدين إلى العقائد الصوفية وبالطبع فهي الأخرى طريقة فعالة، لأن القارئ أو الشيخ سيزرع في مريديه من خلال شروحاته لتلك الكتب كل مبادىء العقائد المستورة رويداً رويداً حتى يكون لهم أخيراً الباطن وما حوى، وحسبننا الله ونعم الوكيل" ومن يهده الله فلا مضل له"

ولكن كيف لنا التوفيق بين "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وما بين وجوب طاعة الشيخ الذي خرق الشرع؟ هذا غير ممكن، إلا إن قلنا بنسخ شريعة محمد ص، ولا أظن أن فكرة اتخاذ الأوامر التشريعية من الله مباشرة إلى وهي السعي لهذه الغاية والمقولة المعيارية عندها ستقول: ولا طاعة إلا لله وحده " وكل ما سواه على حد تعبير عبد القادر الجيلاني صنم، ولتمام هذه المقولة التي تحمل طبيعة النسخ ميزوا الطاعة إلى طاعة وسائط وإلى طاعة الله من حيث لا عصيان إلا للوسائط كالرسل والملائكة وإلى ما هنالك لا إلى الله لأنه لا قدرة لأحد على ذلك. فإن أمر الله الصوفي مثلاً بشرب الخمر فلا بد شارب، ولا عصيان عندها إلا للرسول لكن إن صحت المقارنة أو التمييز بين طاعته ص وطاعة الله.

الواصل أو الولي من وصل إلى اتخاذ الأوامر والنواهي مـن ا لله مباشرة لا من أحد سواه، ويقـول الشيخ عبـد القـادر الجيلانـي: هـذه الأطعمة لا تعرف إلا بمعرفة الحق عزوجل ومعرفته إنما تكون في القلب لا في الدفاتر، منه تكون، لا من خلقه"[1]. فالتشريع أو الحـلال والحـرام حسب رايه لا يعرف إلا مـن ا لله عزوجـل عـن طريـق القلـب لا عـن طريق الرسل وآثارهم أو أخبارهم، وها هو شاعرهم يقول:

يا صاحبي أنت تأمرني وتنـهانـي   والوجد أصدق نهاءٍ وأمَّار
فإن أطعك واعصى الوجد رحت عمٍ   عن اليقين إلى أوهام أخبـار

ومن هذا الباب قولهم: "حدثني قلبي عن ربي آمراً بفعل كذا وكذا وترك كذا وكذا" وعلى هذا الباب قولهم بسقوط المعصية عن العـارف للقدر القارئ لوحه وعلى هذا الباب أيضـاً تـدور كـل شـؤون الفنـاء الذي قمته تبادل الأدوار بين ا لله والـولي الصـوفي قياساً علـى حديـث "صرت يده"، ومن هذا البـاب قولهـم بتحصيـل مقـام الجنـة الـذي فيـه "افعل ما شئت فقد غفرت لك" ومن هذا الباب قولهم بسجود القلـب من حيث إن سجد فلا معصية بعدها وما أكثر أمثـال هـذه التخـاريف التي كلها سعي للتحلـل مـن شريعة الحـلال والحـرام، والحقيقـة أنـه لا حلال ولا حرام بتوحيد لا فاعل إلا ا لله و لا فرق بين الخمـر والعسـل بتوحيد لا موجود إلا ا لله وتلك هي أسرار المسألة مهما كان لهم اللف والدوران، حتى انهم لم يقولوا باتخاذ الأوامر من ا لله إلا ليستقيموا مـع قوله تعالى"ما ننسخ" التي تعني بصريح العبارة انه لا نسخ إلا لله ومنـه،

[1]- ص ١٨٥ الفتح الرباني.

عندها سيقولون: نحن لم ننسخ وإنما الله هو الذي نسخ وهو الآمـر لنـا بكذا وكذا، والمعترض على الصوفي عندها كأنه المعترض على ربه!!.

- **الشيخ والاستغاثة:**

ومن جملة وسائل ترويض المريد، ليكون له الوصول إلى حقيقة العقائد ما يسمى بطقوس "الفناء في الشيخ" أو "الرابطة" حسب الطريقة النقشبندية، وهذا الفناء يعد كمرحلة تجريبية للوصول إلى 'الفناء في الله، ومن معانيه الاخلاص للشيخ والتضحية في سبيله بكل غال ورخيص، مع إفراد القصد إليه، والزهد فيما سواه ولا فرق في ذلك بين طلب العلم أو التصور الذي معناه تصور النظر إلى وجه الشيخ بشكل دائم وعلى كل الأحوال حتى ولو كان المريد على بطن زوجه[1] حتى ولو كان على ذكره لربه "لكي يحصل على ثمرات كامله غير منقوصه" بل إن الرفاعيون يقولون: إنه "لا يفتح باب الفتوح لمريد في السلوك إلا بعد ثبوت الفناء في الشيخ"[2]

الفناء في الشيخ إضافة إلى أنه الأنموذج للرياضات المجردة عن التلوينات الدينية، يقصد منه اتحاد المريد بالشيخ، بشعوره وفكره وقلبه، حتى ليصبحا وكأنهما كيان واحد، وبالنتيجة، ومن استمرار هذا التصور ستتولد لدى المريد ملكة التخاطر مع شيخه، وهذا شأن معروف في دوائر الوسطاء الروحيين، كما هو معروف في رياضات الهندوس، بل إن شفافية العشق أو العشاق كما هو ملموس تؤدي هي الأخرى إلى هذا التخاطر الذي يدركه كل من كان على عشق ملك عليه لبه.

إن قضية التخاطر هذه سيتفنن المشايخ في استغلالها ، فبها سيتم ترسيخ قدسية الشيخ ، وبها سيتم ترسيخ عقيدة الإستغاثة بالأولياء، وبها سيتم الوصول إلى توحيد الوجود والأفعال، وبها سيتم ابتزاز

---

[1] -ص٧٣ -٧٤ الكبريت الأحمر

[2] -ص ٢٩٢ قلادة الجواهر

المريد ماديا ومعنويا إلى أقصى حد ممكن، وبها سيتم ارتباط المريد بالأمل الأوسع لتحصيل المزيد من الخوارق.

الفناء في الشيخ تجربة مبدئية مادية على شيئية الشيخ عن طريق التركيز أو إدامة تصور الرؤية، وبعدها ينطلق المريد إلى التركيز على "ا لله" أو "اللاشئ" حسبما تعنيه "اليوجا" وبذلك يكون الوصول إلى عبادة الإحسان التي لا محل فيها لأعمال الجوارح التي حسب المتريضين تشتت تركيز الرؤية أو الذهن أو التصور، والحجة عندها لابد قائلة: فكما حصل التخاطر ولا ركوع أو سجود بين الشيخ والمريد، كذلك سيحدث هذا التخاطر بين ا لله والسالك دونما حاجة لإعمال الجوارح وهو فهمهم لمعنى " اعبد ا لله كأنك تراه" . ومن كان له هذا المعنى، فهو أهل للباطن، ومن بقي على ظاهره سيظن أن الرؤية المطلوبة في حديث الإحسان تعني تذكر أوامر ا لله ونواهيه في السر والعلن. حتى أن خطباء الموالد يروجون لطرقهم الصوفية وما عرفوا مع الأسف ما يعنيه " الإحسان" في باطن هذه الطرق. فيا أيها الخطيب يا سمير الأتراح والأفراح والموالد! خذها مني نصيحة: فأنّى وجدت الظاهر مأخوذاً في التصوف فابحث عن باطنه، ولا تنسى هذا لا في دروسهم ولا في كتبهم، وإن لم تدرك الباطن فاعلم أنك مقهور بغلظة بطنك، وإن بقيت هكذا فلا فتوح ولا كشف لك، هذا من جهتهم، ومن جهتي أتمنى ألا يحدث لك هذا! لأن ا لله كما أرى قد أكرمك بدوام الطاعة فحافظ على هذه الكرامة، ولا تستبدل الأدنى بالذي هو خير حتى ولو منوك بإدخال الجمل في سم الخياط.

الشيخ الصوفي مقدس، والشيخ عدي بن مسافر مثلاً يقول: " لا تنتفع بشيخك إلا إن كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد"[1]. والمشايخ

[1]-ص ١٣٧ جـ١ الطبقات الكبرى.

كما يقول السهروردي " أولئك كلامهم كلام الأنبياء"[1] والعارف الصوفي " با لله ينطق وبا لله يسكت"[2] " فالشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي[3] . و " صحبة من يوصل إلى ا لله فما هي - برأي ابن عجيبة - إلا صحبة ا لله إذا ما ثمَّ سواه"[4] " **ففي رضاه - أي الشيخ- رضى الباري وطاعته**"[5] " وليس مريداً - كما يقول ذو النون المصري - من لم يكن أطوع لاستاذه من ربه" و " المشايخ عند المريدين كالقبلة، والنظر إلى وجه الشيخ عبادة - . ومن البلاء أمان "[6] " والنظر إلى العارف با لله إنما هو نظر إلى ا لله"[7] وإجمالاً فالشيخ الصوفي نائب ا لله في أرضه، وموضع نظره، بما لله من مشيئة وإرادة، فما شاءه الشيخ يكون، ومن استغاث به أغاثه، وإن أردت الاستغاثة بالشيخ الذي هو فعال لما يريد كما يقول الدسوقي : " صفٍّ سرك وأطبق عين حسك وافتح عين قلبك فانك ترى شيخك في جميع أمورك وتطلب منه حاجتك" [8].

ومن مدح المشايخ " فقد مدح ا لله- . ومن ذمهم فقد ذم ا لله" [9] بل ويقولون: " التصديق بطريقتنا ولاية " [10] فا لله والولي " لا ينفك أحدهما عن الآخر " وإن خدمت المشايخ " خدمتك الملائكة

---

[1]-ص ٧٣ عوارف المعارف.

[2]-ص ٧٦ نفسه.

[3]-ص١٩٩ نفسه.

[4]-ص ١٧ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[5]-ص ٢٣ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[6]-ص ١٧٧ قلادة الجواهر.

[7]-ص ١٧ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[8]-ص ١٧٧ جـ١ الطبقات الكبرى.

[9]-ص ٣٥ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[10]-ص ٥٨ نفسه.

واستغفرت لك "[1] وبالخدمة تكون حيازة " أقصى مقام الإحسان"[2] لأن " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" وما " كاف" التشبيه عندها إلا كل الاشارة إلى الشيخ ومن نظر إليه كمن نظر إلى الله وتلك هي بعض ثمار الفناء في الشيخ . فهلا أدركت أيها المريد ما يعنيه فخ الإحسان؟

ومن باب الملاحظة نسأل: هل لاحظت أيها القارىء كيف تحولت مقولة " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" إلى مقولة " لا طاعة إلا لنائب الله ومثاله" ؟ وبهذه المقولة الأخيرة يكون التساوي بين الله والشيخ، وعندها " لا طاعة إلا للشيخ" كبديل عن " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ، عندها بالفعل لا يجوز للمريد، بل ولا لأحد أن يعترض على الشيخ الصوفي لا إن زنى ولا إن سرق. ولكن بشرط انعدام العقل والدين،.

إيجاد التخاطر بين الشيخ والمريد هو كل الغاية من فكرة الفناء في الشيخ، فجد الشعراني مثلاً " كان إذا ناداه مريده أجابه من مسيرة سنة وأكثر"[3] وكل المشايخ لهم هذا الشأن، وكلهم يلبون استغاثة مريديهم إن طلبوا منهم العون عند المآزق، فالشيخ مثلا ينجي المريد من الأمطار المهلكة، ويحمي قبيلة مريده من النيران، وعندما وقع ابن المبارك في مأزق ذات مرة ، يقول : " فجعلت أصيح: يا سيدي مولاي عبد العزيز"[4] . فأجاب دعاءه، وأغاثه حتى -كانت نجاته، وما أكثر " القباقيب" التي يضرب بها المشايخ أعداء مريديهم، فالشيخ شمس الدين الحنفي، هذا الذي لم يقم للتكاليف وزناً ضرب بفردة قبقابه من العراق

---

[1]-ص ١٧٠ قلادة الجواهر.

[2]-ص ٨٢ جـ٢ الفتوحات الإلهية .

[3]-ص ٢١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص ٨٧ جـ١ الابريز.

إلى مصر لصاً أراد ذبح مريده الذي استغاث به[1] ولما استغاثت أبنة أحد مريدي الشيخ مدين الأشموني وهي بالغرب ضرب المعتدي عليها بقبقابه وهو في الشرق حتى أصابته بدقة لا احتمال معها للخطأ[2] وهذه الأعمال ليست قاصرة على الشيخ الحي فقط، لا، بل إن أعماله وهو ميت قد تكون هي الأعظم " وكل شيخ كما يقول الرفاعي - لا يراعي تلميذه في القرب والبعد في حال حياته وبعد مماته فليس هو عندنا برجل"[3] " ولو مات ومرت عليه آلاف السنين"[4] فالمريد إذا تعلق بشيخه - كما يقول عبد القادر عيسى- وطلب منه المدد لا يكون قد أشرك بالله تعالى"[5]. إلا أن ابن المبارك لما سأل الدباغ عن شرك الاستغاثة أجابه: صحيح أن هذا شرك ولكن " أهل الديوان من أولياء الله فعلوا ذلك عمداً"[6]. " فكان من المصلحة ما فعل أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين"[7].

فهلا أدركت يا شيخ إبراهيم المغزى من مصطلح الترويض، والمغزى الذي تحمله فكرة الفناء في الشيخ، والمغزى من عقيدة التوجه للأولياء بالدعاء والاستغاثة من دون الله، إنها المصلحة، إنها الحيلة التي بها المحافظة على المريدين من جهة، والمحافظة على كونهم من أسباب الرزق من جهة أخرى، لا للدين، ولا لمصلحة الدين.. إلا أنه ما من مسلم إلا ويعرف بأن الاستغاثة والدعاء نوع من أنواع العبادة، والشرك كل الشرك في التوجه بهما إلى غير الله جل جلاله بغض النظر إن كان المستغاث به أو صاحب المدد المزعوم قائلاً بالمساواة مع الله أم

---

[1]-ص ٩٥ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٩٥ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[3]-ص ٩٤ قلادة الجواهر .

[4]-ص ٥٨ جـ٢ الابريز

[5]-ص ٥٣٨ حقائق عنن التصوف.

[6]-ص ٤٥ جـ١ الابريز.

[7]- ص ٤٥١ نفسه.

لم يقل. فجاهد نفسك يرحمك الله للتخلص من المخلاة التي ظننتها الأبريز حتى وسمتها برسمك، لعل الله يهديك لحلاوة الإيمان الذي به راحة البال من وساوس التخاريف وألاعيب الشيطان.

- تقديس الأسلاف وعبادة القبور:

إن تقديس القبور في التصوف لا يفهم من الناحية التاريخية إلا إن تعرّف الانسان على موارد الرزق عند أهل التوكل، أهل الله، أهل التصوف. وهذه الموارد هي:

١ - " الفتوح" : وهي التي تؤتى للصوفي القابع في خلوته من قبل المحسنين، ولا فرق في ذلك بين الأموال والطعام والثياب.

٢ - " التسول" : ويأتي بعد اليأس من الفتوح، ولهم معه قصص وطقوس طريفة.

٣ - أجور خدماتهم التي يسدونها للمرضى وأصحاب المصائب، سواء بالتعرف إلى الضالة والولد المفقود وإلى ما هنالك من كتابة للحجب والتمائم وأشياء أخرى كثيرة.

٤ - الهيمنة على مصارف الزكاة، حتى حصروا كل تلك المصارف بهم دونٍ غيرهم من الخلق، والغزالي وابن عربي أجادا وأفاضا جداً في هذا التأويل.

٥ - " الموالد" و " مجالس السماع" المأجورة، أو بما فيها من عطايا وهبات. وما أكثر المناسبات التي شجعوا الخلق عليها لإقامة الموالد ابتداء من عودة المسافر إنتهاء بقدوم الحاج مروراً بالختان والمولود وغير ذلك كثير، كل ذلك بحجة حب الرسول حتى ظن السذج والبلهاء أن هذاٍ من الدين. وبهذه المجالس يروِّجون عقائدهم الخاصة، وكثيراً ما يستخدمون فيها الخوارق إبهاتاً للعقول للاقرار بصدق طرقهم.

٦ - " النذور" ومن أجله ربطوا رضا الله سبحانه وتعالى برضى أولياء التصوف ومشيئتهم.
٧ - أجور قراءة القرآن على الموتى، وأجور قيامهم بمراسيم الدفن.
٨ - " القبور" بما فيها من هبات ونذور.
٩ - المريدين: " أنت ومالك لأبيك" لأبيك الروحي.
١٠- بيع قصور الجنة لمن يدفع الثمن!
١١ - عطايا الملوك والأمراء، بقصد تنزيه السلطان والترويج له، أو لقاء خدماتهم التي غالباً ما تكون سرية.

إن هذه البنود التي ليست كلها موجودة اليوم يعرفها كل من قرأ كتب القوم التاريخية، ولهذا فلا داعي لاثباتها من قبلنا لوضوحها وضوح الشمس، ولأني تكلمت عنها في غير هذا الكتاب بما فيه الكفاية، بل ولا داعي لانكارها من قبلهم، طالما وهو الأهم نحن قاصدون إلى المبادىء الأساسية لعقائدهم.، ولكن لا بد أيها المريد، قد لاحظت خلو هذه الموارد رغم غزارتها من العمل المقرون بالأسباب، الذي هو من وجهة النظر الاسلامية نوع من أنواع العبادة. ولا بد يا شيخ ابراهيم أنك أدركت ما يعنيه التوكل الناتج عن توحيد لا فاعل إلا الله، وبهذا التوحيد سر المسألة في قضية الموارد الاقتصادية للتصوف، فإن كان الله هو الفاعل، فدع الفعل للفاعل، وليخلق فينا أفعاله كيفما شاء، فكل النواصي بيديه وليقلبنا ذات اليمين وذات الشمال، ومن زعم الأسباب أو اتخذها فقد أشرك، وهكذا يكون فهم مواردهم التي ارتبطت بالتوكل النافي للأسباب أو العمل. وما أكثر القصص التي حاكها أهل التصوف لتبرير هذه العقيدة أو لترويض المريد ليأخذ بهذه المقالة، ابتداء من قصة أبو حمزة الخراساني الذي نجاه الله بالتلف من التلف لما ترك الأسباب، انتهاء بمجاورة الوحوش على التوكل مروراً بالامتناع عن الدواء، تأكيداً باتخاذ السياحات بلا زاد ولا رفيق " فمن وقف مع الأسباب - كما يقول الشيخ علي الخواص

البرلسي – أشرك مع الحق"[1] سبحانه وتعالى. والغزالي يروي لشاعرهم أنه قال:

" جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين"[2]

وبهذه الأصول من التوحيد تم إسقاط التدبير الذي من جملة معانيه اتخاذ الحرف كمهن لاكتساب الرزق، وها هو بشر الحافي مثلاً قد كسر مغزله ليقصد التوكل أو التسول، والشيخ محمد بن قسوم رمى بالمقص في البئر وترك مهنة الخياطة حتى استقام له توحيد " لا فاعل إلا اله" " وقبيح بالمريد – كما يقول القشيري – أن يكون أسير حرفة" [3]لأن الحرفة سبب وهو شرك، والحلاج يقول:" إذا رأيت المريد يشتغل بالكسب فليس يجيء منه شيء"[4] والغزالي يقول: " علامة فنائك عنك وعن هواك ترك التكسب"[5] فترك التكسب أو الأسباب إذن من علامات الواصلين إلى التوحيد المجلل بافراد القصد والزهد فيما سوى الله.

ولكنهم لما أدركوا ضرورة المريد كمورد للرزق وانسجاماً مع فكرة المراتب قالوا على لسان الشيخ عبد القادر الجيلاني:" الكسب بداية والتوكل نهاية"[6]، وهكذا تكون فكرة المراتب المرتبطة بالترويض قادرة على نقل المريد عملياً من اعتقاداته المألوفة للعقيدة الجديدة التي

---

[1] ص ١٦٣ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] ص ٢٧٣ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[3] ص ١٨٤ الرسالة القشيرية.

[4] ص ٩٣ نفسه.

[5] ص ٢٤ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[6] ص ٢٧٧ الفتح الرباني.

فيها يقين التوحيد. وعلى المريد كنصيحة مني ألا ينسى أبداً المعادلتين التاليتين: المراتب = الترويض، المريد = الحيوان. وكل اشكالات السفر الصوفي واعباءه مهما قلت أو كثرت لا خروج لها عن هاتين المعادلتين.

التوكل والأسباب لا يلتقيان، هذا أصل من أصول التوحيد الصوفي، ولا يخدعنك يا شيخ ابراهيم كل تلك التحشيات المبنية على قالب أن محمداً ص اكتسب ولكن ليعلمِّ العوام أو الجهلة أو العجزة من الناس لا أخذاً بالأسباب كفريضة وسنة مطلوبة ، وما أكثر استخدام أهل التصوف لهذا القالب، أما إن كنت عالماً بغرض هذا القالب فالأمر عندها أدهى وأمر لأنك عندها ستتهم محمداً بنفاق الظاهر والباطن، وهذا مالا أرضاه لك بالطبع.

الدعاء إسلامياً مخ العبادة، ولقد قال تعالى:" ادعوني استجب لكم" . ولكن ما موقعه وهو سبب في عقيدة الجبر؟ هنا ستدخل فكرة المراتب، فالرسول دعا ربه وسأله ولكن كما يقول ابن عجيبة " تشريعاً للضفعاء"[1] لا للتعميم، وبعدها سيكون الترويض، ومن رتبة خواص الخواص يفتخر الشيخ عبد الله بن مبارك قائلاً: " ما دعوت منذ خمسين سنة، ولا أريد أن يدعو لي أحد"[2]، والشيخ فاتح التكروري يقول: " الفقير - أو الصوفي - بحال البكر، فإذا سأل - أو دعا الله_ زالت بكارته" فالدعاء حسب المعنى الترويضي من علامات المحجوبين وتركه من علامات أهل القرب الواصلين للتوحيد والمعرفة وابن عربي يقول:

---

[1] ص ٥٩ ايقاظ الهمم.

[2] ص ١٢١ الرسالة القشيرية.

" إن الدعاء حجاب من لا يشهد   هذا هو الحق الذي لا يُجحد"[1]

فلا دعاء لأهل المشاهدة لأنه قرين الفرق، وانّى الفرق و " ليس بين الحق والعالم بون يعقل أصلاً"[2] فلا دعاء لأنه يعني النقص وابن عطاء يقول: " وإنما ينبه من يجوز عليه الاهمال"[3]، ولما طلب يعقوب من الرفاعي أن يدعو لشفاء مريض يتألم قال له: " أي يعقوب لا تعلمني الغلط"[4] وهكذا أصبح الصوفي أعلم من الله في شؤونه وكيف هذا له إن كان الله هو القائل: ((ادعوني استجب لكم))، هذا عجيب.

لا دعاء إذن ولا أسباب، والكل جبر، هذا ما أدى إليه العيان، وعلى هذا استقر أصحاب الكشف والشهود والفتح حتى اعتبروا ترك الأسباب والدعاء من علامات الواصلين إلى التوحيد الحق، فمن عرف القدر وقرأ لوحه، أو من آمن بتوحيد لا فاعل إلا الله، فلا فعل له ولن يسأل أو يدعو، ومن عرف انه لا فرق بين الخالق والمخلوق كأقصى الغايات وهو المعبر عنه بالجمع أو وحدة الوجود، فكيف سيدعو الله عندها والدعاء فرق ونداء!.

وبعد الذي قلناه فلنعد إلى قضية القبور في التصوف لنرى ارتباطها بالرزق إن تقديس القبور لدى القوم يعتمد على ثلاثة أصول رئيسية هي:

١ - أن موت الصوفي ليس كموت غيره.

---

[1] ص ١٧٧ جـ٤ ف ٥٣٣ الفتوحات المكية.

[2] ص ١٨٣ جـ١ ف ٢٤ نفسه.

[3] ص ٦٧ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[4] ص ٨٢ قلادة الجواهر.

٢ – إن كرامات الصوفي مستمرة حتى وهو في قبره.

٣ – ايمانهم بأن أولياء التصوف هم الوسائط بين الله والخلق بحكم النيابة والخلافة وإلى ما هنالك.

أما عن الأول والثاني فلهم في تبريرهما شأن عجيب ولهذا تراهم وقد ساووا ما بين " الجهاد" الذي فيه القتال و " المجاهدة" التي تعني الموت أو موت الادراك، ومن ثم يساوون ما بين " الشهادة" بالمعنى الاسلامي و " المشاهدة" بالمعنى الصوفي. ثم بعد ذلك كله يقرأون قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ على أنها تعنيهم. وهكذا يكون الصوفي حياً في قبره فاعلاً بعد موته. وبالبراهين !!

الأولياء لا يموتون، وإنما يرفعون كعيسى، وأجسامهم لا تبلى كمحمد ص، وهم ما زالوا فاعلون في إدارة شؤون العالم والبشر كالخضر والياس عليهما السلام، وموتهم لا يعني زوال الحياة بل هم أحياء يرزقون كالشهداء، فمن مات في دنياه برياضاته، فلا بد أن يحييه الله في موته، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟! فموت الصوفي عند ابن عربي " عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا إلى منزل الآخرة، ما هو عبارة عن إزالة الحياة منه"[1] والشيخ أبو عثمان المغربي يقول: " حاشا الصوفي أن يموت – فالولي يربي مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر"[2].

---

[1] ص ٢٩٠ جـ٤ ف ٥٥٨ الفتوحات المكية.

[2] ص ٧٢ جـ٢ الطبقات الكبرى.

أما عن الخوارق، وعن الموتى الأحياء، فحدّث ولا حرج، فهذا يضحك وهم يغسلونه، وذاك يمسك يد مغسِّله، وآخر يموت واقفاً، وآخر يعرف متى يموت أما الغزالي فيقول: فمنهم من يكون طوافاً في الأرض وكثيراً ما يُرى في الليل[1].

فالمهم إذن لتقديس القبور هو الاعتقاد بحياة أصحابها بعد الموت، ومن ثم الاعتقاد باستمرار خوارقهم لما بعد الحياة.

أما بالنسبة لكونهم وسائط بين الله والخلق، فيقولون: (فكما جاز أن يتوسط حي في قضاء مصلحة من حي مثله كذلك يجوز أن يتوسط الولي لقضاء حوائج الخلق من الله، ولو لا الواسطة لانعدم الموسوط أو "الله" لأنه إن اغلقت باب البيت فلا سبيل للدخول إليه أو التعرف لما فيه وتلك هي بعض معانيهم لمصطلحات "النيابة" و "الخلافة" و "الوراثة" وإلى ما هنالك.

ان عرب الجاهلية، كما هو معروف من الخبر القرآني، ما عبدوا أصنامهم إلا بحجة " ليقربونا إلى الله زلفى" ، إلا بحجة إدراكهم للخوارق التي كانت ترافقها، وارجع أيها القاريء العزيز لسيرة ابن هشام لتدرك ذلك أكثر. أما إن قلت من باب الاحتمال: بأن الشياطين طالما تستطيع الفعل هي التي تبث خوارقها لترويج هكذا عقيدة!! قالوا: أعوذ بالله، فالولي يقرأ القرآن في قبره، أما سمعت بقصة الشيخ موسى بن ماهين الزولي، وقصة الشيخ ثابت بن أسد البناني الذي سمعه الناس وهو يصلي ويقرأ القرآن في قبره، أم لم تسمع بجد الشعراني الذي لم ينقطع سماع القرآن من قبره وهو الميت؟.

---

[1] ص ١٣٥ سر العالمين.

ولكن احذر أيها المريد من المطالبة بالصدق الموضوعي، والأسوأ إن طاردت سير هؤلاء في حياتهم، عندها ستدرك انه لا غرض لهذه المزاعم إلا لتكون البرهان الداحض للشكوك التي كانت تحوم حول عقائدهم وسلوكهم .

قراءة القرآن، إقامة التكاليف، كل ذلك بالمعنى الاسلامي يعني بقاء الحساب لما بعد الموت، وهذا لا وجود له في الاسلام القائل بطي صحيفة الانسان عند موته وها هو الرسول ص يقول: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية" وكل الثلاث كانت له قبل موته، فليس له بعد الموت أن ينفع أحداً أو يضره، بل هو المحتاج لدعاء الأحياء وصدقاتهم.

ملاحظة: إن تقديس القبور لا يستقيم على الحقيقة إلا إن قلنا بانعدام الربط بين الأعمال والثواب والأجر أو العقاب وهذا بالطبع لا وجود له في الإسلام لأنه ما من فعل إلا والانسان محاسب عليه خيراً فخير أو شراً فشر وإذا مات ابن آدم انقطع عمله، وإلا لأرسِل محمد ص لهداية الأموات كما أرسل لهداية الأحياء طالما كلهم ذوي أفعال وأعمال، تخضع للثواب والعقاب.

زيارة قبور أولياء التصوف كالحج!!واسمع ايها المريد ما يقوله شاعر الطريقة الرفاعية يقول:

" بيتان حج العارفون إليهما بيت الرسول وشبله ببطاح
اعني به المولى الرفاعي الذي خلقت أنامله من الأرباح"[1]

[1] ص٤٣٣ قلادة الجواهر

فعلى المسلم تيمماً بالعارفين إذن حجان: حج إلى الكعبة الشريفة، وحج إلى قبر الشيخ أحمد الرفاعي أو الكعبة الأخرى.!!

وهل من الشرع التوسل وطلب المدد من أصحاب القبور؟ يقول أهل التصوف: نعم، والغزالي قال: إنه إن وضعت شعرة الرسول ص في قبر كافر لنجته من العذاب لأن الملائكة سينشغلون بتقديسها عن سؤاله. هذا في كتابه " سر العالمين" أليس كذلك يا شيخ ابراهيم.؟ ولكن كيف له طعن حبل الله الذي فيه الأوامر والنواهي بشعرة الرسول ص وهو القائل لابنته فاطمة رضي الله عنها :" والله لا أغني عنك من الله شيئاً" وقد كان حياً لا ميتاً.

شعرة الرسول ص تنجي من العذاب، والرسول ص يمد من قبره بالشعر للقرعان، وهل أعظم من ذلك برهاناً لوجوب الاستغاثة وطلب المدد من أصحاب القبور وهل هم إلا ورثة الأنبياء أما إن قلت: إن هذا خطأ اتهموك عندها بكره الرسول ص وبانعدام محبته من قلبك ولكن أليس من حب لمحمد ص إلا إن جعلناه شريكاً لله؟!

إن للتوسل الصوفي بقبور الأولياء طقوساً لا بد من مراعاتها وعلى المتوسل أن " يتوجه إلى جهة الشرق نحو البصرة وفلاة أم عبيدة، محل مرقد الغوث الرفاعي قدس سره، ويخطي ثلاث خطوات ويقول: اللهم إني أتوسل إليك..." [1]والدباغ يقول: " من آداب زائر القبور إذا أراد أن يدعو لصاحب قبر - . أن يتوسل إليه بولي ميت"[2]، فليس من الأدب إذن أن تدعو لقريبك الميت إن لم تتوسل إلى الله بولي من أولياء التصوف الموتى، وإلا فأنت قليل أدب وعلى نقص في الدين.

[1] ص٤٣٤ قلادة الجواهر.

[2] ص ١٧ جـ٢ الابريز.

والغزالي يقول: إن زيارة قبور الأولياء فيها قضاء الحوائج وغفران[1] الذنوب أما قبر الشيخ معروف الكرخي فقد خصوه للاستسقاء فهو " مجاب الدعوة يستسقى بقبره"[2] و " يستشفى بقبره" [3] والشيخ " ابن اغمات القيرواني، كان أهل اغمات يستشفون بتراب قبره، وقبر الشيخ قاسم ابو عسيرة كان اختصاصه الشفاء من وجع البطن"[4].

الشيخ أحمد الرفاعي يتكلم في قبره، والغزالي يرسل القصائد من القبر، أما الشيخ ابراهيم الدسوقي الذي ما زال يشرف على تربية مريديه بعد موته قد علم أحدهم ذات مرة دعاء يقول فيه: " بسم الله الخالق الأكبر.. احمى حميثاً اطمر طميثاً" [5] والشيخ الشعراني يقسم اغلظ الايمان بأن البدوي قد خرج من قبره وصنع له الحلاوة احتفاء بزواجه ثم " دعا الأحياء والأموات إليه وقال - أي البدوي - أزل بكارتها هنا. فكان الأمر تلك الليلة"[6]، وآخرون يقسمون بأنهم رأوا يد الشيخ تصافحهم، وأنهم رأوا هذا الولي أو ذاك قد خرج من قبره وفعل كذا وكذا وقال كذا وكذا، أما الشيخ شمس الدين الحنفي فقد أنذر زوجه بهلاك من ستتزوج به بعده إن مات[7].

---

[1] ص ١٢١ المضنون به على غير أهله.

[2] ص ٧٢ جـ١ الطبقات الكبرى.

[3] ص ٩ الرسالة القشيرية.

[4] ص ١٣٣ جـ٢ الابريز.

[5] ص ٣٤١ جـ١ الابريز.

[6] ص ١٨٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

[7] ص ١٠١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

وهناك قبر عند الرفاعيين يعرف " بقبر النذور"[1] ، وقد " شُهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح وبلغ الناذر - ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر" [2]وقبر الرفاعي كما يقول المريد العامل بـ " المهنة الهندسية"[3]:أن من " من خصائصه، أن التوسل به إلى ا لله تعالى مجرب، تحققته بنفسي " [4]" ومقامه تشد إليه الرحال"[5]

الرفاعيون لا يرون استمرار خوارق الموتى إلا لأوليائهم دون كل أولياء الطرق الأخرى قائلين: لقد " كان الأولياء، يتصرفون بها - أي الخوارق - في حال حياتهم خاصة، فإذا ماتوا انفصلت عنهم إلا السيد احمد الرفاعي الكبير، فإن كراماته معه حياً ميتاً، لا تنفصل عنه"[6] وبالطبع لم يكن زعمهم هذا إلا للهيمنة على موارد الرزق التي تزاحمهم عليها الطرق الأخرى، وإلا فكيف ذلك وقد روى سري السقطي أن شيخه " قال له يوماً إذا كانت لك حاجة إلى ا لله فأقسم علي به" [7]والشاذلي يقول لمريديه: إذا عرضت لكم إلى ا لله حاجة فتوسلوا إليه بالامام ابي حامد الغزالي ،[8] وها هو الشيخ شمس الدين الحنفي يقول

---

[1]ص ٤٣٧ قلادة الجواهر

[2]ص ٤٣٨ نفسه.

[3]ص ١٤ جـ١ الابريز.

[4]ص ١٢ نفسه.

[5]ص ١١ نفسه .

[6]ص ٤٣٩ قلادة الجواهر.

[7]ص٩ الرسالة القشيرية.

[8]ص ٢٩٢ مدخل إلى التصوف الإسلامي.

وهو على فراش الموت: " من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضها له"[1]، إلا أن ا لله عزوجل يقـول: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾،[2] وقد حكم تعالى على التوسل بسواه انه من الشرك في قوله: " أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض آإله مع ا لله قليلاً ما تذكرون﴾[3]

وانظر إلى هذه الآية يا شيخ ابراهيم وتمعن بها جيداً، ولاحظ كيف أنها جاءت بمصطلح " الخلافة" بمعرض اتهام من يدعو غير ا لله بالشرك تماماً كمن يزعم وجود إله آخر، وهذا معناه إن قلنا بجواز الدعاء بأصحاب القبور لأنهم نواب ا لله أو خلفاءه - وهذا في التصوف شرط - فنحن عندها متهمون بالشرك والخلافة الحقيقية للأنسان عندها لم تكن إلا بتسخير الطبيعة عن طريق العقل لا بالخوارق، لأنه لا وجود لخلافة ا لله في إرادته ومشيئته إلا بزعم الشرك، ولهذه الدقيقة الهامة تسمى الراشدون بخلفاء الرسول ص، لا خلفاء ا لله جل جلاله ولا أظنك إلا عارفاً بهذا يرحمك ا لله.

وعلى كل حال فلنستمع إلى الرفاعيين في فهمهم لهذه الآية وأمثالها يقولون: " وأما قوله ﴿ فلا تدعو مع ا لله أحداً﴾ وقوله تعالى ﴿إن الذين تدعون من دون ا لله عباداً أمثالكم﴾ ونحو ذلك من الآيات القرآنية فالخطاب للكفار والمشركين"[4] أي أن أهل التصوف بزعمهم

---

[1] ص ٩٦ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] فاطر ١٣.

[3] النحل ٦٢

[4] ص ٢٤٤ قلادة الجواهر.

غير مشمولين بهذا الخطاب، ولهم إذن أن يعتقدوا أن أولياءهم ليسوا كسائر البشر، بل ومن الجائز للصوفي برأيهم أن يدعو مع ا لله أياً شاء من الأولياء، وتأويلهم هذا بالفعل يستحقون عليه أفضل الكرامات ولكن لا من ا لله حتماً،، ولقد أجمع فقهاء الاسلام على تكفير من أجاز الاستغاثة بغير ا لله لأن الاستغاثة نوع من أنواع العبادة، والعبادة لا تجوز إلا لله وحده، أما التوسل فهو حرام قطعاً.

ولكن ما رأيك أيها المريد لو استشرنا العقل في علاقته مع الإيمان في قضية تقديس قبور أهل التصوف والتوسل بأصحابها، فهل لي ولك التعرف إلى مصير أصحابها إن كانوا إلى الجنة أو إلى النار،؟ وكيف لنا حينئذ الرضى باحتمال تقديس من يمقته ا لله عزوجل،؟ وها هم الصحابة وكل الصدر الأول للاسلام لا نراهم قدّسوا قبراً لأحد بمن فيهم قبور الصحابة المبشرين بالجنة فاتق ا لله أيها المريد.

ومن جهة أخرى: كيف يكون التوسل بالقبور عند أهل التصوف وقد رأينا الصوفي لا يمل ولا يكل من المطالبة بوجوب الزهد فيما سوى ا لله على الاطلاق، ابتداء من الدنيا انتهاء بالآخرة، بل ولا تراه إلا وقد نفى وجوب الدعا ء وسؤال ا لله تارة بحجة الاخلاص، وتارة بحصول الكشف وتارة أخرى بالجمع. وإذا بهذا المتسول بالمقابل لا يمل ولا يكل من أمر مريديه والخلق بالتوجه والحج إلى قبره الذي هو بالطبع من جملة ما سوى ا لله بقصد الاستغاثة والدعاء والتوسل والشفاء وإلى ما لاحد له. إنها النذور، إنها لقمة العيش، إنها الموارد الاقتصادية.

ايه يا شيخ ابراهيم! فإلى متى وأنت محجوب عن الاسلام بالخرافة؟ وها هو العمر يرحل يوماً فيوم. فما الذي ستلقاه عند ربك،

وها أنت كلما مات مبروك هنا أو هناك جعلته من الأولياء، وضربت حوله البخور والحديد، وشجعت السذج للحج إليه. ايه يا شيخ ابراهيم! فالله وحده هو الأعلم بما ستحمله من وزر يتراكم فوق ظهرك حتى يوم الدين، فاتق الله في نفسك وآخرتك واعلم: وانت الأعلم مني بقوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به﴾، فلا تغضب وما أنا بالمتهم، معاذ الله، وكل ما أرجوه أن ندرك معاً أن الله شديد الحساب، حتى مع الذين يظنون انهم يحسنون صنعاً، طالما بامكانهم معرفة الأحسن إن أهملوه، فدعك من الأعراب، واحرص على الايمان وعض عليه بالنواجذ، يرحمك الله.

-التصوف والسنة:

الصوفي من خلال فكرة المراتب، ومن خلال فكرة الباطن والظاهر، يدعو الخلق للاستمساك بالسنة، وإن بحثت عما تعنيه السنة عند الواصلين لا عند المريدين قطعاً فسوف تراها ليست ما صحّ عن الرسول (ص) من أقوال وأفعال، وإنما هي ذات معنى ومدلول خاص، ويتجلى هذا واضحاً في عدم اكتراث أولياء التصوف للتمييز بين الصحيح من الموضوع في الأحاديث، كما يتجلى في اعتبارهم لجمع الأحاديث بدعة من أسوأ البدع. والغزالي مثلاً يقول: إن هذه البدعة حدثت " بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة - . "حيث" كان الأولون يكرهون كَتْب الأحاديث وتصنيف الكتب".[1]

تصنيف الكتب بدعة، علم الأحاديث بدعة منكرة. ولهذا نرى الشيخ بشر الحافي يسأل الله أن يزيل من قلبه ما تعلمه من أحاديث رسول الله ص، لأنها حسب رأيه ليست من " سلاح الآخرة، ولا من عدد الموت" المؤدي للكشف والفتح، حتى انه حسب رواية الغزالي قد " دفن سبعة عشر قمطر من كتب الأحاديث -. ثم قال: إن "حدثنا" باب من أبواب الدنيا".[2] التي يجب على السالك التخلص منها. ولقد قالت رابعة العدوية لسفيان الثوري: نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا، قال: وفيما ذا رغبت؟ قالت : في الحديث"[3] وقال الشيخ ابو سليمان الداراني: " من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل

[1] ص ٧٩ جـ١ إحياء علوم الدين .

[2] ص ٢٣٧ جـ٢ نفسه.

[3] ص ٧٣ جـ١ الطبقات الكبرى.

بالسفر فقد ركن إلى الدنيا"[1]، و " قال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتديء أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج، وقال: أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه"[2].

والشيخ أبو بكر الوارق حسب رواية القشيري يقول: " آفة الطريق ثلاثة أشياء: التزويج وكتبة الحديث والأسفار. وقيل له: لم تركت كتابة الحديث؟ فقال: منعتني عنه الارادة"[3]. يقصد الإرادة الالهية. ونفس الشيء تقريباً قاله ابو نصر الدقاق[4] ومن أجل التخلص من القواطع، تخلص الشيخ احمد بن المبارك من كل ما لديه من كتب الحديث والفقه[5] أما الشيخ ابو العباس احمد بن مسروق فقد زجرته الملائكة وهو الصوفي لاتخاذه علم الأحاديث [6] والشيخ ابو الحسن النجراني تخلص من كتب الحديث التي " كانت نحو حملين" لنفس الغاية [7]. والمحجوب في الطريق الصوفي حسبما يقول الغزالي هو الذي " لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر أن يسمع في كل قدم نصاً في كتاب الله أو سنة رسوله "[8] أما الفضيل بن عياض فأبى إلا

---

[1]-ص ٢٣٧ جـ٢ إحياء علوم الدين

[2]-ص ٢٣٩ جـ٤ نفسه.

[3]-ص ٩٣ الرسالة القشيرية.

[4]-ص ٨٩ جـ١ الطبقات الكبرى.

[5]-ص٨٢ جـ١ الابريز.

[6]-ص ٩٤ جـ١ الطبقات الكبرى.

[7]-ص ٩٧ نفسه.

[8]-ص ٤ جـ٤ إحياء علوم الدين.

أن يستخدم القرآن لضرب السنة قائلاً: " من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث"[1].

ولكن هل لأمثال هذه النصوص من نهاية؟ لا، فلا أكثر منها لمن تتبع حقيقة القوم، وكلها وأمثالها تسعى بمقولتي " الزهد فيما سوى الله" وفي " إفراد القصد إليه تعالى" لنزع السنة أو الأحاديث كحكم يحمله المريد أو كميزان يزن به شيخه، حيث لا تحلي بالمعارف الجديدة أو العقائد الجديدة قبل التخلي عن العقائد القديمة، وتلك هي قاعدة الترويض بكل ما تحمله من أبعاد.

- ملاحظة:

كثيرون هم المنادون، رغم اختلاف النوايا، حتى في أيامنا هذه بضرورة عدم الأخذ بالأحاديث النبوية، من حيث أن فيها الموضوع والضعيف وإلى ما هنالك، أو من حيث أن الأحاديث أو السنة ذات ارتباط تاريخي انتهى أجله بالنسبة لنا نحن أهل القرن العشرين.

ولكن ما هو المقصود من هذه الدعوة؟ وما هي صلتها بالدين؟

أقول: إن القرآن ليس فيه كل شيء، ولا فيه كل التفاصيل، والرسول ص يقول: " أوتيت القرآن ومثله معه" ، والسلوك النبوي عندها هو التفسير النموذجي عن طريق الإلهام الالهي لعلاقة الانسان بالقرآن، وطالما الدين عقيدة فهو بهذا غير خاضع لتطورات التاريخ بما فيه من علم وعادات أو بدع وإلى ما هنالك، فليس للصلاة مثلاً أن يتطور معناها وأداءها بتطور العلم والعادات، وقل هذا في كل الشعائر

---

[1] ص ٦٨ جـ١ الطبقات الكبرى.

والعقائد، والكذب منذ وجد الانسان هو الكذب، والصدق هو الصدق.

القرآن قال بإقامة الصلاة كأمر ولكن دون الكيف، وما كان لنا الكيف إلا عن النموذج، وبهذا خرجت عن التقدير الشخصي وأُحكم شأنها، ولم يعد هناك من مجال للصلوات المقرونة بأهواء هذا وذاك، ولولا السنة مثلاً لكانت عبادة التأمل-التي يمارسها الصوفي صحيحة لأنه لا تحديد في القرآن، ومن هنا نلاحظ حرص أهل التصوف لابعاد الأحاديث أو السنة النبوية عن الحكم فيما هو صواب أو خطأ. والزهد كمثل آخر، لم يرد في القرآن إلا في آية واحدة في قصة يوسف ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ ومعناها بالطبع لا علاقة له بأي نهج خلقي، وكيف عندها سنتعرف إلى صدق أو كذب الطرح الصوفي لمقولة " الزهد بكل ما سوى الله" ؟ ليس لنا بالدرجة الأولى إلا استقراء التفسير النبوي كسلوك معياري مع ما يعنيه الزهد، فإن كانت متفقة معه فأهلاً وسهلاً، وإن اختلفت فالطم بها وجه أصحابها ولا ندامة ، وإلا فلا دين. ولو كان القرآن رسالة في الفيزياء والكيمياء وإلى ما هنالك، لكان من الواجب على كل ذي عقل ألا يلتزم باي تفسير نموذجي مهما كان ذلك المفسِّر حتى لو كان الرسول نفسه. ولكن هو نفسه (ص) القائل: " أنتم أعلم بشؤون دنياكم" .

أما من حيث أن الأحاديث أو السنة سبب من أسباب الشقاق الطائفي والمذهبي، أو وهي تعزز هذا الشقاق، طالما لكل مذهب وطائفة أحاديثه واصوله التي تخصه.

أقول: هذا صحيح، ولن يكون لنا تجاوزه ونحن مصرون على كلية الاسلام إلا بشيئين:

١ - إيجاد نظرة ذات أفق للمستقبل الاسلامي.

٢ - رسم كلية الدائرة الاسلامية من المباديء الأولى للإسلام، بحيث يمكن اعتمادها كأقطار لتلك الدائرة وليس هذا إن صدقت النوايا وصحت الجهود بالشيء الذي يعجز عنه علماء المسلمين بكل أطرافهم سواء كانوا ساسة أو رجال دين. ولا أرى عندها أي تعارض بين السنة أو الأحاديث مهما اختلف أصحابها مع طبيعة الاسلام طالما الهدف هو كلية الغرض المرتبط بالفضائل والمستقبل.

نعود لموضوعنا. فلا بد إذن من أجل الترويض من فصل المريد عن أهل العلم، سواء كانوا فقهاء أو محدثين أو مفسرين، بل وعليه أن يهجر الكتابة والقراءة باطلاق، بل وأن ينسى كل ما في ذهنه من أحاديث نبوية وأحكام اسلامية لأن التصوف مشروط بالجهل، ولا بد للمريد أن يكون جاهلاً بكل شيء، حتى يكون مهيأً لاستقبال المعارف الدينية والواردات الالهية لأنه لا تحلي قبل التخلي " ولن تجد لسنة الله تبديلا" . فسبحان الله!!.

ولكن كيف يكون هذا والصوفي يدعو جاداً وبحرارة إلى اتباع السنة؟ هذا بلسان الظاهر، وهنا لا بد من الدخول إلى ما يعنيه حقيقة أو في باطنه بالسنة التي يجب اتباعها حسب رأيه. انها حسب رأيه الأحاديث التي تأتيه عن طريق الكشف لا الموروثة ميتاً عن ميت أو عن رسول ميت كتلك الموجودة مثلاً في الصحيح بخاري ومسلم وغيرهما. أو هي اتباع رياضاته ص التي سلكها حتى كان له اكتساب النبوة.!!

معرفة السنة النبوية كما يقول أهل التصوف موقوفة على الشيخ الصوفي، لا من الاصحاحات، ومن ليس له شيخ فشيخه الشيطان وقد كان أبا يزيد البسطامي يقول: " لا تطعمونا القديد-." يعني لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد"[1]، أو بما كان لكم عن الكشف وقد خاطب علماء الحديث مرة فقال: انتم تأخذون علمكم ميتاً عن ميت ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت. ولما جاء الخضر عليه السلام إلى أحد المتصوفة حسب رواية القشيري ليرشده الاستماع إلى الحديث النبوي عن المحدِّث عبد الرازق بن همام فقال له الصوفي:" إنه يروي عن ميت! - أي عن الرسول- وأنا لست بغائب عن الله عزوجل. - فقال الخضر- : إن كنت كما تقول فمن أنا؟ فرفع رأسه رضي الله عنه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر"[2] فخجل الخضر من جهله طبعاً، فولى بعيداً ليقول: " الآن علمت أن لله عباداً لم أعرفهم" . وهكذا انتصرت الكرامة لصالح الصوفي الذي قرر التخلي عن السنة النبوية. وابن عربي يقول: " فالمحدثون أنزل الدرجات"[3]، ولا أظنه قصد بقوله هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما قصد أصحاب الحديث رضي الله عنهم.

فالصوفي من حيث أصول منهجه المعرفي، له الوصول إلى المشرِّع الذي أعطى الرسالة لمحمد (ص)، كما له الوصول إلى النبي (ص) نفسه، بل وإلى حقيقته. وعلومه أو معارفه الكشفية التي لا جهل أمامها

---

[1] ص ١٧ جـ١ ف٣ اليواقيت والجواهر.

[2] ص ١٦٦ الرسالة القشيرية.

[3] ص ٧٧ جـ١ ف ٧٣ الفتوحات المكية.

على الاطلاق، فيها كل الغنى عن الوسائط، فيها كل الغنى عن اصحاحات الأحاديث، فيها كل اليقين مقارنة بالظنون.

هذه المحاور مجتمعة فيها كل المنطلق لاستخفاف الصوفي بالسنة النبوية، وإن أردت يا شيخ ابراهيم تكذيب هذه الروايات وأمثالها الشيء الكثير بحجة الوضع والدس التي بان فسادها فعليك إن كنت تعقل نفي هذه المحاور عن طبيعة المنهج الصوفي في العرفان! ولكن أنى لك هذا ولغيرك، فهيهات هيهات، وإلا فلا تصوف!!

الصوفي يأخذ أحاديثه عن الرسول (ص) مباشرة، بواسطة الرؤيا أو المنامات، أو عن رؤيتة في اليقظه، والولي المفتوح عليه كما يقول الدباغ " هو الذي لا يغيب عنه النبي (ص) طرفة عين، ولا يخرج عن مشاهدة الحق لحظة، وحينئذ فهو العارف بمراد النبي (ص) وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها"[1] فلكل شيء حقيقة وباطن بما فيها التكاليف بما فيها من أوامر ونواهي، ولن تؤخذ الحقيقة حسب أهل التصوف إلا من الله ورسوله مباشرة. واين المحدثون عندها من هذا المنهج واين أحكام الفقهاء والمفسرين من هكذا أحكام معصومة،؟ وابن عربي يقول: ان المتصوفة " يرونه ص في كشفهم فيصحح لهم الأخبار ما ضُعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت بالنقل"[2]، فالكشف هو المعيار والحكم على صحة الأحاديث النبوية التي في الاصحاحات أو عدم صحتها وهكذا يكون التحرر الصوفي من كل ما للسنة من معايير وأحكام. والصوفي في سماعه للحديث عن رسول الله بكشفياته مساوٍ للصحابة " فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من

[1] ص ٩٧ جـ٢ الابريز.

[2] ص ٢٨ جـ٤ ف٤١٩ الفتوحات المكية.

فم رسول الله ص علماً لا شك فيه بخلاف التابع - فهؤلاء هم أنبياء الأولياء".

فأين أنبياء الولاية إذن من التابعين أو من الذين جمعوا الأحاديث دون إدراكهم للرسول ص؟ إلا أن أصحاب هذا المقام الذين لهم نبوة الولاية كما يقول ابن عربي " عليهم الكتم لمقامهم ولا يردون على علماء الرسوم فيما يثبت عندهم"[1]. فتلك هي شريعة الباطن والظاهر، وتلك هي شريعة التقية عند أولياء الله.

واعلم كما يقول ابن عربي الذي اجتمعت في رأسه كل أصول الظاهرة الصوفية: ان الصوفي " لا يسمى صاحباً ولو رآه ص في كل منام، حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً يخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها"[2] عند المحدثين وأصحاب الاصحاحات. وها هو الدباغ أيضاً يقول لسائله عن المراد من بعض الأحاديث فيقول: " سألت النبي ص عن مراده بهذا الحديث، فأجابني -." [3]بكذا وكذا. إلا أن رؤية اليقظة ليست كما يقول الخبر النبوي بمشموله في قوله ص " من رآني فقد رآني" .

فالكشف إذن هو المعيار الصوفي في بيان صحة الأحاديث من سقمها، ولا مصدر حقيقي لها إلا عن طريقه، وبهذه المعاني شدد أهل التصوف على اتباع السنة التي تختلف بمعناها هذا عما اعتمده المسلمون في أصولهم من معنى، وليس غريباً عندها إن وجدت في " إحياء علوم الدين الصوفي" وحده ما يربو على ستمائة حديث ما بين ضعيف

[1]ص١٥١ جـ١ ف١٤ نفسه.

[2]ص ٥٠ جـ٣ ف٣١٣ نفسه.

[3]ص ١٣٠ جـ١ الابريز.

ومكذوب ومالا أصل له بموازين أهل السنة وكلها بموازين أهل الكشف معتمدة وصحيحة، ولا أظن أن أحداً قد دسَّها على الغزالي في كتابه. وها هو مثلاً المحدِّث الشهير محمد بن يوسف القطان ايضا قد اتهم معاصره الصوفي " ابو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات والمولود ٣٢٥هـ بوضع الأحاديث قائلاً: " وكان يضع للصوفية الأحاديث"[١] أي انه حسب المصطلح الصوفي كان يأتي بأحاديثه عن طريق الكشف ولا غبار عليه برأي أهل التصوف.

ومضاهأة للأحاديث القدسية يزعم الصوفي أيضاً الكثير من هذه الأحاديث التي يكلمنا بها على لسان ربه وها هو مثلاً الشيخ ابراهيم بن أدهم يقول: " فرأيت في النوم انه أوقفني – أي الله – بين يديه وقال: – ."[٢]. كذا وكذا. وسري السقطي يروي على الجنيد حديثاً قدسياً عن ربه فيقول: " رأيت كأني وقفت بين يديه فقال لي:– ."[٣] إنه لم يبق مع الله إلا أهل التصوف الذين هم عبادي حقاً. وآخر يقول: " فسمعت هاتفاً – من الله – يقول: من لم يصلح للدنيا وللاخرة يصلح لنا"[٤] أما ابن عربي في فتوحاته فيعترف "بأنه ألهم أحاديث قدسية وضعها في كتاب بمكة سنة ٥٩٩ هـ ضمنه أربعين حديثاً قدسية ليست مسندة إلى رسول الله (ص)"[٥] والحقيقة أن كل شؤون الصوفي هي قدسية عن ربه ولا فرق في ذلك بين طعامه وشرابه وكلامه واعتقاده.

١–ص ٤٥ طبقات الصوفية تصدير .

٢–ص ٣٢٣ إحياء علوم الدين.

٣–ص ١٥٤ جـ١ ايقاظ الهمم.

٤–ص٢٥٣ جـ٢ ايقاظ الهمم.

٥–ص ٢٢ – ٢٣ الروحية عند محيي الدين ابن عربي.

فهل علمت أيها المريد بالذي يعنيه أهل التصوف في قولهم علمنا منوط بالكتاب والسنة وإلى ما هنالك من أمثال هذه العبارات التي يدبجون بها أوائل كتبهم على الاطلاق؟ فاحذر، وعن عقلك لا تغفل، وما أنت عندها بالذي سيخدع بشراكهم. وسأضرب لك مثلاً عن بعض الأحاديث التي اعتمدها أهل التصوف عن طريق الكشف لتبيان كيف يتعاملون مع الأحاديث الموضوعة. فحديث " زريب بن برثملا" الذي خرج من بطن الجبل على زي الصوفية كما يروي ابن عربي قد حكم المحدثون وفق معاييرهم بأنه من الأحاديث المكذوبة، أما ابن عربي فيقول: " هذا الحديث، وإن تكلّم في طريقه فهو صحيح عند امثالنا كشفاً - . وهذا عندنا ذوق محقق- . ومن تلك الطريق - أي الكشف - نصحح الأحاديث النبوية ونردها أيضاً إذا أُعلمنا أنها واهية-. فأهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله ص"[1]. بل وبهذه الطريقة يقول: لقد " رخص رسول الله ص في الهيمان للمحرم، وإن كان هذا الحديث لا يصح عند أهل الحديث، هو صحيح عند أهل الكشف"[2] .

وإن احتججت على الصوفي بالبدعة والخروج عما تقوله السنة فلا تراه إلا قائلاً: يا هذا " فاعلم انه ليس كل شيء اطلع الله عليه رسول الله ص يلزمه الاعلام به"[3] فنحن الأعلم بشؤونه الباطنية التي لم يقلها لأهل الظاهر، ولا سوانا من وارث لحقيقته، وها نحن نراه دوما دونما انقطاع يقظة وفي المنام ، فمن أجل الحكمة أعطى أهل الظاهر ما

[1] ص٢٢٤ جـ١ ف٣٦ الفتوحات المكية.

[2] ص٧٤٤ جـ١ ف ٧٢ الفتوحات المكية.

[3] ص ٨٤ لطائف المنن.

يلائمهم، أما باطنه فنحن أهله، وهكذا أصبح الرسـول ص علـى نفـاق الظاهر والباطن!!

أما حديث " من عرف نفسه عرف ربـه" . فهـو كمـا يقـول " الحافظ السيوطي" ،" إن هذا الحديث ليس بصحيح".[1]" وقد سئل عنـه النووي في فتاويه، فقال: ليس بثابت ، وقـال الزركشـي في الأحـاديث المشتهرة: ذكره ابن سمعان: انه من كللام يحيى بـن معـاذ"[2]، وكذلـك حكم بوضعه ابن تيمية وابن القيم الجوزية وغيرهما كثير.

ولكـن هـل للصـوفي ألا يـأخذ بهـذا القـول سـواء صـح انتسـابه للرسول أم لم يصح؟بالطبع لا. لأن فيه تقرير أهم مبدأ للمنهج العرفاني في التصوف واعني به " التشابه" ، فالنفس أو الروح إن لم تصبـح علـى شبه بالملأ الأعلى، أو إن لم يعتقد بأنها بضعٌ من ا لله فلا إمكانيـة لـردم الهوة الفاصلة ما بين ا لله والانسان، ولهذا فمن المحال على الصـوفي نفـيٍ هذا الحديث عن الأحاديث الصحيحة وكيف هـذا وابـن عربـي مثـلا يقول مبيناً قضية التشابه بقوله: " فمن عرف نفسه عرف ربه فإنه على صورته خلقه بل هو عين هويته وحقيقته"[3]

أما من كان له بعض الإدراك للمأثور الفلسفي، فسوف يـدرك مصدر هذا الحديث المزعوم، انه الحكمة القائلـة:"اعـرف نفسـك" الـتي نقشها فلاسفة اليونان على معبد "دلفي" والصوفي "ابن سبعين" اعترف بهذا المصدر حيث يقول:((وهـذا هـو المفهـوم مـن قـول الحكيـم "مـن

---

[1] ص ٦٠ المضنون به على غير أهله ((هامش)) ص ٢١ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة.

[2] ص ١٦٨ جـ١ نظرية المعرفة الاشراقية.

[3] ص١٢٥ جـ١ الفتوحات المكية.

عرف نفسه عرف ربه"))[1] يقصد سقراط. أما الشيعة فهم أول من استخدم هذا القول في البيئة الاسلامية ونسبوه "إلى علي، ختن الرسول"[2] وعليه بنوا نظريتهم في العرفان.

فحديث "من عرف نفسه عرف ربه" حديث موضوع حسب معايير أهل الحديث. ولكن كيف سيصبح صحيحاً عند أهل التصوف؟ بالكشف، وها هو الشعراني على سبيل المثال يقول: "فانظر يا أخي كثرة حرص النبي ص على أمته، كيف اختصر الطريق إلى معرفة ا لله تعالى بقوله في الحديث الثابت كشفاً "من عرف نفسه عرف ربه"[3]

فالحديث إذن قد ثبت صحة انتسابه للرسول ص عن طريق الكشف، ولا طريق لصحته غير ذلك.فهلا أدركت حقيقة الكشف والعيان أيها المريد؟ فاحذر أن يخدعوك بقوله ص :"من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي"، فهذا الحديث صحيح، ولكن رؤيته ص غير مقرونة بالتشريع أو للتشريع قطعاً، فرسالته ص قد انتهت بموته، وهو القائل لما كان حياً: "لقد أكملت لكم دينكم" بل وزودنا بمعيار رؤيته حيث قال: "أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا" وأي صدق هذا سيكون بين لساني الظاهر والباطن، وهل لأحد اختبار أحد بما يزعمه من منامات.

ايه يا شيخ ابراهيم! ما أعظم الذي فعله سلفنا الصالح أصحاب الاصحاحات، لما جمعوا أحاديث رسول ا لله ص وفق شروط المنهج

---

[1] ص١٢٧ يد العارف.

[2] ص ٢٢ التصوف الاسلامي بين الدي والفلسفة.

[3] ض٤٤ جـ١ م٣ اليواقيت والجواهر.

العقلي لصحة الخبر، حتى أصبح ما فعلوه منهجاً يحتذى به في دراسة التاريخ والوثائق في أيامنا هذه، وليرحمهم الله، فقد استطاعوا بمنهجهم العقلي حصر كل المغرضين على إلزام وجوب أخذهم بالخرافة لأنه ليس بسواها سيكون الصراع مع العقل وتلك سنة الله فمن اتخذ العقل منهجاً فلا بد له من الزام عدوه بالخرافة، ومن عادى الإيمان فلا بد له من زعم الكشف والعيان "وإن هذا الدين لمتين ما حاججه أحد إلا غلبه". صدق الرسول العظيم.

وأخيراً ومن باب إيجاز التنويه سنشير إلى معنيين آخرين للسنة اعتمدهما أصحاب التصوف.

الأول: يتمثل في الشيخ أبو بكر الكتاني حيث "سئل عن السنة - فقال: هي الزهد في الدنيا وسخامة النفس، ونصيحة الخلق"[1]، أي أنها ليست المأثور النبوي وهكذا ترتد السنة إن كان يقصد المأثور إلى التقديرات الشخصية وفق معيارية تقويم النفس بما يلائمها من رياضات، حتى وإن كانت وسائل الرياضات على خلاف مع الأحكام الشرعية، وهذا ما تكلمنا عنه من قبل.

الثاني: إن السنة هي متابعة الرسول ص برياضاته التي سلكها حتى كانت له بزعمهم النبوة، أو حتى وصل للأخذ عن الله عزوجل. وهذا ما سوف نراه عند الحديث عن الولاية والنبوة فيما بعد.

وختاماً نقول: أعلم أيها المريد أنه حيثما وجدت الصوفي فلا أثقل على صدره من الاحتجاج عليه بالأحاديث النبوية، وأنّى وجدته

[1] ص١١٠ جـ١ الطبقات الكبرى.

متكلماً فلا تراه مستأنساً قط بأحاديث رسول الله ص، وتلك من أهم علاماته على الاطلاق، وإن جاء ببعضها فلا تراه إلا وقد انعدم لديه التمييز ما بين الصحيح والمكذوب، ولا فرق في ذلك إن كان على المنبر او في الموالد والمحافل.

- **الإسلام والحقيقة المحمدية:**

من المعلوم أن المريد الصوفي بما هو مفروض عليه من منهج صارم لا يقرأ إن قرأ إلا كتب التصوف، وهو سعيد بجهله لما عند الاخرين، وما أعظم فخره إن أخذ تلك الكتب على أنها ذات مصدر لدني إلهي، عندها سيكون الإعجاب بأولياء العظمة بلا حدود، الذين هم عمداً ولهذا الغرض بالذات كتموا كل ما يشير إلى مصادر أفكارهم. ولو تعرّف المسكين لما قاله الفلاسفة من قبل، ولما قاله أصحاب المناهج الفنوصية القديمة لاستطاع بالفعل إدراك دور أولياء التصوف الذي اقتصر على إضفاء الأردية الاسلامية على كل ما استوردوه، حتى دفعوا الناس للإيمان بأن مقولاتهم المستوردة اسلامية المنشأ دينية المنبت.

من المعلوم انه بعد أن أنكر (أفلوطين) فكرة الخلق من العدم، التي تحيل الإله برأيه للنقص المعني بخضوعه للمرجح المقرون بارتباط الخلق بزمن دون زمن قال: بأن "العقل الكلي" أو "الأول" هو أول فيوضات الذات الالهية، وعنه فاض أو صدر كل الوجود، وبذلك كان اتصال الوجود دونما وجود للعدم الفاصل بين الله والمادة أو العالم.

وأرباب المسيحية تأثروا أيضاً بهذه النظرية التي هيمنت على الفكر العصري حينها حتى جعلوا من عيسى عليه السلام مساوياً للعقل الأول، وبالطبع بعد استبدالهم للعقل كمصطلح يوناني بمصطلح "الكلمة" أو "الإبن" وبذلك أصبح الوجود هو الكلمة التي تجسدت، وبذلك أصبح عيسى مسؤولا عن الأرزاق والإيجاد والحفظ، ولولاه لانعدم الوجود. ولقد انبهم الله عزوجل لتقليدهم الذين كفروا لاتخاذهم هذه العقيدة عنهم قائلاً: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[1].

فعقيدة الفيض التي أزالت الفرق بين الخالق والمخلوق بما سموه العقل الأول أو الكلمة أو الابن كلها إفك وبهتان ومزاعمها لن تتعدى الافتراض الخاطيء، ومن أين للإنسان إدراك الأزل حتى يعرف الخلق والصدور على حد تعبيرهم إن كان الله سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض﴾[2]. وفي قوله هذا سبحانه كل الشمول لأهل الأقيسة أو العقل ولأهل المشاهدة والعيان المزعوم.

والحق: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[3]

ومن الحقيقة أيضاً انه لا نقص في خلق الوجود بزمن دون زمن إلا إن جعلناه مجبراً ولكنه هو الفعال لما يريد ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾[4] فللخلق بداية وأجل مسمى[5] ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى".وأنه سبحانه مفارق للعالم لا هو حال فيه، ولا متحد معه، ولا اتصال وجودي بينه وبين العالم كاتصال الشخص بظله، أو الغصن بالشجرة، وإلا فلا نداء حيث لا نداء مع الجمع إلا إن كان ينادي على نفسه، وكيف هذا وها هو الله عزوجل يقول: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض آتيا طوعاً أو كرهاً

---

[1] التوبة ٣٠

[2] الكهف ٥١.

[3] يس ٨٢.

[4] يونس ٣٤.

[5] الأحقاف ٣.

قالتا آتينا طائعين﴾[1]، فلو كان ا لله جل جلاله والوجود سيان أو على جمع كما تقول نظرية الفيض أو وحدة الوجود لما كان هناك خطاب من ا لله وجواب من الوجود حيث لا خطاب إلا بالمباينة ووجود الفرق.

فنظرية الفيض التي ستؤدي إلى وحدة الوجود أو إلى قِدم المادة إضافة لله، ستؤدي حتماً إلى انتزاع الإرادة عن ا لله سبحانه وتعالى، وهذا هو المميز الفاصل ما بين وحدة الوجود عند أصحابها، وما بين الاسلام في كليته على الأقل من حيث مفهوم الرسالة على الإجمال وإلا فلا رسالة ولا مرسل إليه، ولا جبريل، ولا نبوة، لأنه هو الكل ومن العبث عندها أن يأمر ا لله نفسه وينهاها برسالاته وبهذا كنتيجة فلاأقيسة ولا تأويل لصالح وحدة الوجود إلا للخروج عما تعنيه النبوة والرسالة.

لقد أخذ اليهود إذن مصطلح "العقل الأول" وساووه بالعزير، والنصارى ساووه بالمسيح وهو موجود عند الفرس بمصطلح "الانسان الأول" وعند المزدكية بمصطلح "الكيومرث"، وعند المانوية بمصطلح "الانسان القديم"، وهو نفسه" الانسان الكامل" عند اخوان الصفا، أو"المبدع الأول" عند الشيعة، أما أهل التصوف فسموه "الحقيقة المحمدية" وهو "الحكيم المتأله" عند شهاب الدين السهروردي، و"المحقق" عند ابن سبعين، أو "الحقيقة" عند عبد الكريم الجيلي، و "المطاع" عند الغزالي، و"الحق المخلوق به" عند ابن برجان . وإلى آخر ما هنالك من هذه الطائفة.

---

[1] -فصلت ١١

الشيعة هم أول القائلين بالحقيقة المحمدية في البيئة الاسلامية، "فالحاج "معصوم علي يروي أن النبي ص قال: "أول ما خلق ا لله نوري، وأول ما خلق ا لله روحي"[1]، ثم قالوا: "بأن ا لله خلق محمداً ثم فوض إليه تدبير العالم"[2].

والمتصوفة بدورهم لم يتوانوا عن الآخذ بكل الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل منها على قدم محمد ص أو أزليته مثل قوله: أنا أول الناس في الخلق، وقوله: أول ما خلق ا لله نوري، وقوله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وغير ذلك كثير[3].

أما حديث القبضة المروي عن جابر الذي قال: "سألت رسول ا لله ص عن أول شيء خلقه ا لله؟ فقال: نور نبيك يا جابر. خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق"[4]، يقول الشيخ الصوفي ابن عجيبة: إن هذا الحديث "وإن كان ضعيفاً- . فعن جعفر الصادق قال: أول ما خلق ا لله نور محمد ص قبل كل شيء[5]"أما المحدثون، ومن منطلق كلية الاسلام، ووفق معاييرهم في صحة الأحاديث فيقولون: إن حديث "أول ما خلق ا لله نور نبيك يا جابر. حديث موضوع"[6].

والحقيقة أن الدخول للاحتكام لفكرة الصحيح من الموضوع في الأحاديث بالنسبة للصوفي لا تعنيه إطلاقاً فسواء عن طريق الكشف

---

[1] ص ٥٧ - ٥٨ الصلة بين التصوف والتشيع.

[2] ص ٣٧١ نفسه.

[3] ص ٣١٩ جـ٢ فصوص الحكم.

[4] ص ٢١٦ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[5] ص ٢١٧ نفسه.

[6] ص ٧٧ التصوف بين الحق والخلق.

أو المنامات فلا تراه إلا آخذاً بما يريد طالما فيه الضرورة لكلية الظاهرة الصوفية.

لقد قال الشيخ ذو النون المصري: "أصل الخلق نور محمد" والشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي يقول: لقد أكرم الله آدم عليه السلام "بظهور صورته بسمة محمد ص، وذلك أن رأس آدم عليه السلام ميم "أي الميم من اسم محمد، ويديه حاء، وسرته ميم، ورجليه دال، وكذا كان يكتب في الخط القديم"[1] وهذا معناه أن آدم هو أول مظاهر أو تجليات الحقيقة المحمدية في الوجود المادي بالنسبة للأنبياء أو الرسل ، أما الشيخ سهل التستري فقد أخذ الاعتقاد بأن محمداً أصل الوجود عن الخضر الذي أخبره أن نور محمد منه "خلقت جميع الأشياء"[2] والحلاج يقول في ألوهية محمد وجودياً ومعرفياً: "النور المحمدي مصدر الخلق جميعاً، فمنه صدرت الموجودات، ومن نوره ظهرت أنوار النبوات...ولولاه لما كان شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا أنهار"[3]، و "العلوم كلها قطرة من بحره، والأزمان كلها ساعة من دهره".[4] فمحمد ص في حقيقته، هو الخالق، وهو مصدر العلم والعرفان، وما الأنبياء إلا من تجلياته التي آخرها محمد بن عبد الله البشري. وما الأولياء دائماً إلا من تجلياته، دونما انقطاع حتى قيام الساعة. والرفاعي يقول في حق الحقيقة المحمدية: لقد "سطر الاسم المحمدي على صحائف الأكوان من أم زيق الأزل إليه حاشية الأبد". وهذا معناه أن الاسم المحمدي والأكوان أزليان غير حادثين "فإنه ص

---

[1] ص ٨٠ – ٨١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] ص ٢٩٧ من التراث الصوفي.

[3] ص ٢١٧ الحلاج شهيد التصوف الاسلامي.

[4] ص ٣٠٥ دراسات في التصوف الاسلامي.

خلقت أنواره قبل آدم فهو سابق عليه في الوجود"[1]، والدباغ يقول: "إن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ص، ثم خلق منه القلم والحجب السبعين، ملائكتها، ثم خلق اللوح ثم... العرش والأرواح والجنة والبرزخ"[2] كل ذلك مكون من نور محمد ص[3]. بل ويقول الدباغ أيضاً: بأن "سيدنا جبريل - إنما خلق من نور النبي ص، فهو وجميع الملائكة بعض نوره ص، وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ص"، وإن شئت المزيد من هذه الكفريات، فارجع يا شيخ ابراهيم إلى الصفحة ١٩٣ جـ٢ وما بعدها في الابريز، ولا أظنك بالطبع إلا وقد أدركت ذلك كله، وكيف لا؟!.

فليس من أجل محمد ص - أيها المريد- ولا إكراماً له كان خلق الوجود من العدم، كما يعتقد أهل الجماعة، وإنما من روح محمد أو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية الأزلية، كان صنع الوجود فيضاً بلا عدم، وإنه لفرق بين أهل السنة وأهل التصوف لو تعلمون عظيم إنه الفرق بين الفيض والخلق من العدم.

الشيخ عبد الغني النابلسي يقول عن نوره ص: "خلق منه كل شيء"[4] "هو المخلوق من نوره كل شيء"[5]، فـ"الحقيقة المحمدية هي النور المادي الذي خلق الله منه كل شيء"[6]، وهي مصدر العرفان " فإذا وصلت إلى الحقيقة وصلت إلى الحق تعالى، فلا تحتاج أحداً

---

[1] ص ٣٠٦ قلادة الجواهر.

[2] ص ١٨٩ جـ٢ الأبريز.

[3] ص ٢٠٨ جـ٢ نفسه.

[4] ص ٩٢ شروح رسالة الشيخ أرسلان.

[5] ص ٩١ الصوفية في شعر ابن الفارض.

[6] ص١٨٥ نفسه.

يعلمك حينئذ"[1] ولكن لا بد لك من شيخ ليس بشيطان. ولما اعتبر النابلسي نفسه من الواصلين إلى الفناء فيها، أو إلى مقام النيابة المساوي ما بينه وبين الحقيقة المحمدية نراه يقول وهو على هذا الجمع:

"أنا كل الوجود والكائنات   أنا كل الأرواح كل الذوات
ليس كل الوجود إلا اسامي   والمسمى بكل ذلك ذاتي"[2].

والبوصيري يقرر هو الاخر أن نور محمد ص أو الحقيقة المحمدية هي المصدر لوجود الدنيا والآخرة، والمصدر لكل العلوم والمعجزات، وما الرسل والأنبياء حسب رأيه إلا من تجلياتها، أي أن الحقيقة المحمدية هي التي ظهرت بقوالب الأنبياء والرسل عبر الزمان وفي ذلك كله يقول:

"وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم
فإن من وجودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم"

وللبرهان على صدق العقائد التي تحتويها قصيدة البوصيري "البردة" ربطوها ببرهان الكرامات وقالوا أن محمداً ص شفى صاحبها من الشلل لرضاه بما تقوله من خروج على الإسلام، بل وجعلوها من الوسائل التي تصلح لشفاء المرضى، ويا ليتها بالفعل تصلح لشفاء الذين لا يعقلون معنى قوله: "من وجودك" بالمعنى الوجودي الذي لا علاقة له بالمدح، أو الذين زعموا بأن علم اللوح والقلم بعض من علوم محمد ص التي لا حدَّ لها . ولو كان بها الشفاء بالفعل لشفت صاحبها من

---

[1] ص ٩٣ شروح رسالة الشيخ أرسلان.

[2] ص ١٧٥ - ١٧٦ نفسه.

أوهامـه وظنونـه، ولكنـه منطق الخرافة، حيـث لا منطـق للخرافـة إلا بالخوارق واستغلال ما تعنيه الكرامة.

أما الشيخ عبد الكريم الجيلاني، فقد قال له "العقـل الأول" أو الحقيقة المحمدية لما اجتمع به"أنـا الولـد الـذي أبـوه ابنـه والخمـر الـذي كرمه دنه"[١]، ثم يقول شيخنا هذا : لقد "خلق الله تعـالى العـالم جميعه من نور محمد ص"[٢]ومحمـد في حقيقتـه "هـو المنزه عـن الدخـول تحـت حيطة "كن" فلا يجوز أن يقال فيه انه مخلوق"[٣]، وهو المصـدر "لجبريل وأصلاً لجميع العالم"[٤] "خلق الله منه جميـع العـالم"[٥]ومنـه خلقـت الجنـة والناروكذلك "خُلق ابليس واتباعه – من نفـس محمـد ص وكـان اسمـه عزازيل"[٦] وجميع الملائكة مخلوقون منه مثل اسرافيل وجبريل-. وهـؤلاء هـم العالون"[٧]، ولقد "خُلق الله من ظهوره الحنطة"[٨].

"وتطيعه الأملاك من فوق السماء   واللوح ينفذ ما قضاه بنانه"[٩]

وهو ص المتجلي في كل ذي علم وعقيدة علـى الاطـلاق، اعتبـاراً م · الأنبياء انتهاء بالأولياء وعلماء الذرة والسحر وإلى ما هنالك. فاء' ، له في تجلياته "تنوع في ملابس ويظهر في كنائس-. ولـه في كـل زمـان اسم ما يليق بلباسه –. فقـد اجتمعـت بـه ص وهـو في صـورة شيخي

---

[١] ص ١١ جـ٢ ف ٢١ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[٢] ص ١٦ جـ٢ ف ٥٢ نفسه.

[٣] ص٨ جـ٢ ف ٥٠ نفسه.

[٤] ص ١٨ جـ٢ ف٥٣ نفسه.

[٥] ص ٢٣ جـ٢ ف٥٥ نفسه.

[٦] ص ٣٨ جـ٢ ف٥٩ نفسه.

[٧] ص١٠ جـ٢ ف٥١ نفسه.

[٨] ص ٢١٠ جـ٢ ف ٥٤ نفسه.

[٩] ص٤٥ جـ٢ ف ٦٠ نفسه.

الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي، ولست أعلم انه النبي ص وكنت اعلم انه الشيخ"[1] أي أن محمداً ص ظهر بصورة شيخه حتى أصبح شيخه ومحمد شيء واحد، وبهذه المساواة برر قولة الشبلي لما طلب من مريده أن يشهد له بأنه رسول من لدن ا لله "[2]

فالحقيقة المحمدية إذن تظهر أو تتجلى أو ترتدي صورة كل ذي عقيدة، بلا فرق بين نصارى ويهود واسلام وأوثان فمحمد هو آدم وموسى وعيسى وفرعون، وهو الجبرتي والشبلي وإلى ما هنالك، فالعالم كله مخلوق من نوره، إنه الجنة والنار، إنه عزرائيل وابليس وأبو جهل، بل وهو كل ولي على الاطلاق لا فرق في ذلك بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. !!أما ابن عربي فيعترف بأن الحقيقة المحمدية هي نفسها العقل الفعال أو الأول الذي قال به فلاسفة الفيض قائلاً: "الحقيقة المحمدية عندنا – هو العقل الأول عند غيرنا"[3]

وفي سبيل دفاع ابن عربي عن ألوهية محمد ص المعنية بقدمه قال: "لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس بإله"[4]، وبلسان الكشف يقول بأن محمداً هو الكامل فهو"أكمل موجود في هذا النوع الانساني، ولهذا بديء به الأمر وختم"[5]، وللمساواة بين ا لله والكامل يقول: "الإنسان الكامل..هو للحق بمنزلة ظل الشخص من الشخص"[6]، ولهذا

---

[1] ص ٤٥ جـ٢ ف ٦٠ نفسه.

[2] – ص ٤٦ جـ٢ ف ٦٠ نفسه.

[3] ص ٩٤ جـ١ فـ٣ الفتوحات المكية.

[4] ص ٤٤ جـ١ نفسه.

[5] ص ٢١٤ جـ١ فصوص الحكم.

[6] ص ٣٤٠ جـ٣ فـ٣٧١ الفتوحات المكية.

"فهو الأول والآخر والظاهر والباطن"[١]،لأن ا لله وظله أو صورته سواء، "فليس صورة الحق إلا عين هذا الانسان"، أو نوابه من أولياء التصوف "ولظهور الانسان الكامل بالصورة الالهية كان شقاً لها" [٢]أو الشق من التوأم ومن حيث أن ابن عربي وأمثاله هم الورثة لكمال محمد ص ونوابه نراه يقول: "فالأمر بيننا وبينه على السواء مع الفرقان الموجود المحقق بأنه الخالق ونحن المخلوقون"[٣] وهكذا نرى أن الجانب الالهي المزعوم للأولياء يعود بالأصالة حسب رأيهم إلى "النيابة" و "الخلافة" وإلى ما هنالك من أسماء لا وجود لها في الواقع.

الحقيقة المحمدية أو العقل الأول، هي أول فيض للذات الالهية، واعلم كما يقول ابن عربي أن "بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية، ولا أين يحصرها لعدم التحيز"[٤]، فمحمد هو مادة الخلق والوجود، وهو القديم الأزلي، هذا ما يقوله الكشف المحقق "فنحن - كما يقول ابن عربي - ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يلقي ا لله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه"[٥]، فلا تسل بعدها إذن عما يقوله القرآن وينفيه ، ولا عما يصح أولا يصح من الأحاديث النبوية، لأن ا لله هو الأهم، وهو سبحانه الذي أخبر أهل التصوف عن حقيقة محمد ص التي لم يكن ربما محمد نفسه يعرفها!!.

---

[١] ص ١٩٠ جـ٣ ف ٣٤٦ نفسه.

[٢] ص ١١١ جـ٣ ف٣٤٦ نفسه.

[٣] ص ٢٦٧ جـ٣ ف٣٥٨ نفسه.

[٤] ص ١١٨ جـ١ ف٦ نفسه.

[٥] ص ١٣٦ جـ١ ف١٠ نفسه.

٦ – إنها لتبرير زعمهم بمعرفة الغيب هذا الغيب الذي لا يعلمه محمد البشري حسبما يقوله القرآن.

٧ – إنها لتبرير استمرار النبوة بعد محمد ص بمصطلح أولياء النبوة.

٨ – إنها لجعل النبوة بين ظاهر وباطن، فمحمد في ظاهره وفيما أتاه من رسالة لأهل الظاهر، وهو في حقيقته لأهل الباطن أصحاب الحقيقة.

٩ – إنها لتجاوز معيارية السنة وما ورد عن الرسول ص في الصحاح، ومن كان على صلة بحقيقته ص فهو في غنى عما جمع عنه بعد موته، وهل يستوي الآخذون عن الميت بالآخذين عن الحي.

أما من أراد إنكار عقيدة الحقيقة المحمدية وهو صوفي فعليه في البدء إنكار كل أغراضها المذكورة آنفاً. ولكن عندها لا تصوف، وعندها سيجد كل أولياء التصوف غاضبين عليه بكل ما لديهم من لعنة. وليختر عندها بين لعنة أهل التصوف وبين لعنة الله لأنه لا بد من واحدة منهما.

واسمع أيها المريد لما يقوله الله عزوجل بشأن محمد ص: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾ [١] ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ [٢].

---

[١] الأحقاف ٩.

[٢] الأنبياء ٧.

فالرسول ص ككل الرسل، وكلهم رجال، فليس هو ممدُّهم بما قالوه من رسالات وعلم، بل إنه يجهل بما سوف يأتيه من وحي، وكل مهمته إنذار الخلق بما آتاه من الوحي الالهي . وكل الأنبياء على هذا الشأن.دونما تمييز وبأي حق إذن جعلوا محمد ص مصدر الوجود؟ هذا غير جائز إلا في شريعة الشرك، فهل أدركوه خالقاً حتى تشابهت الأمور بين خلق ا لله وخلقه فسبحان القائل:﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل ا لله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾[1] وبقول ا لله هذا يتضح إذن كذب عيان أهل الكشف الذين زعموا الألوهية لمحمد ص مع الواحد القهار جل جلاله.

محمد ص بشر لا فرق في ذلك بينه وبين كل الخلق ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[2] ﴿وهو الذي أرسل في الأميين رسولاً منهم﴾[3] . فبالوحي تميز عمن سواه لا بطبيعته الالهية، بل ولا علم له بالغيب ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[4]، بل ولا يعلم الساعة يا شيخ ابراهيم وها هو سبحانه وتعالى يقول: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند ا لله﴾[5] ومن زعم علم الغيب فقد زعم النبوة والرسالة، ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[6]، بل وعجز ص عن الكثير من الأمور، واحتج لعجزه

---

[1] الرعد ١٦ .

[2] الكهف ١١٠.

[3] الجمعة ٢ .

[4] الأعراف ١٨٨ .

[5] الاعراف ١٨٧.

[6] الجن ٢٦ - ٢٧.

بالبشرية التي هو عليها ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط علينا السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي با لله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا﴾[1].

ولو تأملنا جيداً فيما طلبه المشركون من محمد ص، لوجدناهم وكأنما يطالبون بالولي الصوفي وما لديه من مزاعم، فهذه الأمور التي طلبوها هي من أهون الأشياء على الورثة الذين لا مستحيل ولا جهل أمام قدراتهم الالهية الخارقة. ولكن كيف لم يكن محمد (ص) وارثاً للأنبياء القدامى حتى أصبحت كرامات أولياء التصوف أعظم من معجزاته؟ هذا عجيب!

سنة الكافرين انهم يرفضون الرسالة الالهية من بشر مثلهم ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرين هذا شيء عجيب﴾[2] ودائماً يقولون للرسل: لا نصدقكم ﴿إن انتم إلا بشر مثلنا﴾[3] والرسل دائماً يجيبون: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن ا لله يمن على من يشاء من عباده﴾[4] ودائماً يجب نصح المريد والسالك الصوفي بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا ا لله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون﴾[5]، وما خيانة الأعراب حقيقة إلا بتركهم

---

[1] -الإسراء ٩٠-٩٤.

[2] -ق ٢.

[3] -ابراهيم ١٠.

[4] -ابراهيم ١١.

[5] -الأنفال ٢٧.

للإيمان وما ضل أهل التصوف وخانوا الله ورسوله إلا بالعيان الذي جعلوه المصدر الأرجح في بناء عقائدهم.

وفي الختام لا بد كما أرى من تذكير المريد بما أمرنا به الرسول ص حيث يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله". فليس حب الرسول بحكم العقل والإيمان مبرراً للغلو فيه، لأن من كذّب له أو عليه فليتبوأ مقعده من النار، بل ولا أتفه من الصوفي الذي يتهم المُنكر لكفريات الاعتقاد بالحقيقة المحمدية بالبعد عن حب رسول الله وكأنه لا حب لمحمد ص إن لم نجعله شريكاً لله جل جلاله.

ايه يا شيخ ابراهيم! فهل الحقيقة المحمدية بما فيها من نتائج وأغراض مدسوسة على التصوف؟ فإن قلت نعم فعليك إنكارها وإنكار كل ما تعلق بها، وإن قلت لا، فإني انصحك عندها بقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾[1] ، لعلك إن شاء الله تذكّر أو تخشى. ولا تكن كالذي "أضله الله على علم". أو كمن "اتخذ إلهه هواه".

[1] الجن ١٨.

- القرآن والتصوف:

إفراد القصد إلى الله، أو الزهد فيما سواه تعالى، أصل لا بد منه لكل من سلك طريق التصوف، فالزهد في القرآن من الشؤون العادية عند القوم، والغزالي يقول صراحة: إنه "في الوقت الذي صدقت فيه رغبتي لسلوك هذا الطريق -. شاورت متبوعاً "أي شيخاً" من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني! وقال: السبيل "إلى الله" أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية-. ثم تخلو بنفسك في زاوية "خلوة" -. مقبلاً بذكرك على الله تعالى" [1]، فحسب شيخه اذن ليس في قراءة القرآن ذكر، ولا في تلاوته قربى إلى الله، وإنما فيه كل الانشغال بالدنيا التي على الصوفي الزهد فيها، وابن عجيبة يقول: "إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فاقطع عنك مادة الأوراق، فما دمت متكلاً على كنز غيرك لا تحفر على كنزك أبداً" [2] والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر يقول: "ينبغي للسالك الصادق في سلوكه أن يجعل كتابه قلبه" [3] وعندها اين القائل حدثني قلبي عن ربي كذا وكذا من القائل قال الله في كتابه كذا وكذا؟ إنه كالفرق بين اللحم الطري والقديد، ومن كان قلبه آخذاً عن الله مباشرة فلا بد له أن يهجر قرآن الوسائط ليقول مع ابن الفارض:

"أنا النور المبين — أنا الحق اليقين
أنا القرآن أتلى — أنا الحبل المتين" [4]

---

[1] ص ٢٦ - ٢٧ ميزان العمل.

[2] ص ٦٢ جـ١ إيقاظ الهمم.

[3] ص١٦٢ جـ١ الطبقات الكبرى.

[4] ص٣٧٥ الصوفية في شعر ابن الفارض.

بل ان الشيخ شعبان الذي "كان من أهل التصريف "أو الكرامات" -. كان يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن انها من القرآن لشبهها بالآيات من الفواصل"[1]. فما يأتيه لقلبه إذن يشبه القرآن، إلى حد انعدام التمييز بينهما! سبحان الله.

أما الشيخ عبد القادر الجيلاني فقد قال بالتمييز بكل وضوح وجلاء بين القرآن وكتاب القلب، وها هو يخاطب المسلمين قائلاً "ما عندكم من خبر، ادخلوا كتابي حتى اعلمكم شيئاً لا تجدونه عندكم -. كن عاقلاً ما أنت على شيء"[2] .وما أنتم بالعاجزين من الوصول إلى مقاماتي "اسألوه من حيث القدرة لامن حيث الحكمة"[3]. أو التشريع، فإن الله قادر على ارسال كتبه لأوليائه، تماماً كما أرسلها لأنبيائه أتحدٌّ من قدرته يا قليل اليقين؟ "لا تقف مع ذلك المكتوب فإن الذي كتبه هو القادر على محوه، الذي بناه هو القادر على نقضه"[4]. فسبحان القادر !! فهلا أدركت ايها المريد فساد اعتماد أهل التصوف على برهان القدرة؟

---

[1]-ص ١٨٥ جـ١٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٢٣٤ الفتح الرباني.

[3]-ص ٢١٤ نفسه.

[4]-ص ٢٢٤ نفسه.

– الشعر والذكر:

السماع الصوفي بما حواه من رقص ودف وأشعار وغلمان، انه لذكر ا لله سبحانه وتعالى، وهو الوسيلة لاستجلاب "الوجد" المؤدي لاكتساب أو هبوط الواردات الالهية.

ولهذه المهمة الجلل انتصر أهل التصوف للشعر على القرآن لأنه برأيهم الأصلح لأحوالهم الشريفة ! والجنيد مثلاً "قيل له: فما بالهم "أي المتصوفة" إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يطرب؟! في الدنيا القرآن حق نزل من عند حق لا يليق بصفات الخلق، عند كل حرف منه على الخلق واجب لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله عزوجل به، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم"[1].

فقضية السماع والذكر الصوفي إذن قضية طرب وغناء، ولكن لو كان رأيه هذا عن أبي نواس مثلاً ما كان لأحد أن يعترض عليه إلا بابتسامة تسخف قائلها، أما وأن القرآن لا يصلح للذكر لأنه ذو مصدر الهي لا يلائم البشر الذين يكرهون مالم يصنعوه فتلك وا لله من المصائب. فالقرآن برأيه لا يناسب البشر ولا يناسب نزول الواردات الألهية، والشعر هو الأفضل لهذا الشأن الشريف! والقرآن كعلاقة مع السماء لا يصلح للطرب المؤدي للوجد إلا إن نزعنا عنه كل ما فيه من الأوامر والنواهي، أو إن فصلناه عن العمل، ولهذا فهو المطرب يوم الآخرة حيث لا عمل هناك، وحيث يكون ا لله هو القوال. وسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

---

[1]–ص ٨٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

ولقد قيل للشيخ ابراهيم الخواص " قيل له : ما بال الانسان "الصوفي" يتواجد عند سماع الأشعار، ولا يتواجد عند سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القرآن صدعة، لا يمكن أحداً أن يتحرك فيها لشدة غلبتها، وشدة الأشعار ترويح للنفس فتتحرك فيه"[1].

فالقرآن بالفعل يدفع قارئه لتأمل مصيره، ففيه تذكير بما جنت يداه، وفيه الخوف على المستقبل الذي يطالبنا بالنجاة، وهل للطرب أن يسعى للغم والحزن والخوف، فحفلات السماع أو حلقات الذكر والموالد وما شابه ليست عند القوم إلا للطرب واللهو والمرح وترويح النفوس، ولهذا اشترطوا على المنشد أن يكون مليح الصوت رشيق القد، ولهذا أيضاً كان اختلاطهم بالنسوان وعشرة المرد الحسان.

فالشيخ أبو يعقوب الرازي "كان رضي الله عنه إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعراً قامت قيامته. ثم يلتفت إلى الحاضرين ويقول: أتلومون أهل الري على قولهم: يوسف بن الحسين زنديق، هم معذورون"[2].

فالرجل إذن ليس ممن تقشعر جلودهم لسماع القرآن، ولا ممن تفيض أعينهم من الدمع، فقد أصبح قلبه كالصخر بل أشد قساوة. ولكنه مع الشعر، فشأنه مختلف، عندها سيأخذه الحال وتتوالى عليه الواردات، ولكنها على ذمة ابن عربي واردات شيطانية.

أما الغزالي، أما حجة الاسلام، صاحب إحياء علوم الدين الصوفي، فقد انتصر للشعر على القرآن من سبعة أوجه:

---

[1]-ص٩٨ جـ١ الطبقات الكبرى.

[2]-ص١٩١ جـ١ نفسه.

-"الوجه الأول: يقول الغزالي أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم، فمن أين يناسب حاله-. الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها؟ وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه - . والأبيات إنما يصنعها الشعراء إعراباً بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف"[1] . وإذا ما أراد الغزالي عندها الرضى على القرآن فلا بد برأيه من انتزاع كل الآيات التي تشير إلى تنظيم الحياة الاجتماعية. أما الشعر الذي هو من صنع بشر أمثالنا فهو المناسب لكل أحوال الصوفي، أكثر من القرآن ذو المصدر الالهي، ناهيك عن أن القرآن غير مفهوم حسب رأيه إلا بالتكلف على عكس الشعر الملائم للطبيعة البشرية.

-"الوجه الثاني: يقول الغزالي إن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الاسماع، وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره، وفي الثالثة يعاد يسقط أثره-.أما "القوال"يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة"[2].

فالقرآن برأي حجة الاسلام مُمِّل، وما أثره إلا لسامعه أول مرة، وإذا ما تكرر سماعه فلا تأثير له على القلوب، أما المغني أو القوال فله القدرة على اتحاف الحضور متى أراد بكل جديد لتحريك قلوبهم شوقاً إلى الله.

ملاحظة: إن هذه الحجج وأمثالها ليست بالفعل إلا لأغراض ترويضية. فبعد الاستخفاف بالقرآن، يكون الطرب، ومع الطرب تأتي

---

[1]-ص ٢٩٨ جـ٢ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٢٩٩ جـ٢ نفسه.

الخوارق والواردات، لتبرهن على وجودها وبغض النظر عن القرآن. وفي هذا أيضاً البرهان الأكيد على أن التصوف منهج لا علاقة له بهذا الدين أو ذاك.

-"الوجه الثالث: يقول الغزالي إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات، ولو زحّف المغني الذي ينشده، أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفرطبعه لعدم المناسبة-. فالوزن إذن يؤثر فلذلك طاب الشعر"[1] دون القرآن الذي يمثل برأيه الشعر الزاحف المؤدي لاضطراب القلب، فالقرآن برأي الغزالي إذن طيب إلا أن الشعر طيب موزون، وهو لهذا أفضل من القرآن.

- "الوجه الرابع: يقول الغزالي إن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطَرْق والاستانات-. وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان، كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم"[2].

فالموسيقى والترتيل كما يقول حجة الاسلام كلاهما لجعل الشعر أو الآيات ذوا أثر على النفوس، إلا أن التنوع متوفر في الآلات الموسيقية المتعددة، وغير متوفر في الترتيل الذي لا وجود لشيء سواه في قراءة القرآن، ومن باب أن التنوع أفضل فالغناء أفضل من القرآن.

-"الوجه الخامس: يقول الغزالي إن الألحان الموزونة تُعضّد وتُؤكّد بإيقاعات وأصوات أُخر موزونة خارج الحلق كالضرب

[1]-ص ٢٩٩ - ٣٠٠ نفسه.

[2]-ص ٣٠٠ نفسه.

بالقضيب والدف وغيره-. وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن-. بل ينبغي أن يوقّر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق-. ولا في الجنابة - "ولهذا" فيعدل إلى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة-. فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن"[1].

فالرجل هنا يتباكى لصيانة القرآن، ولكن بعد أن جعل الغناء قيّماً عليه، بينما الواجب وزن الغناء به أو بأحكامه لا العكس. وأي ذكر لله في الطرقات والشوارع المقرون برأيه بانعدام الوقار، وأي ذكر لمن لم يسارع للغسل من جنابته، وأي واردات تلك التي ستكون لغير الطاهر.

- "الوجه السادس: يقول الغزالي إن المغني قد يغني ببيت لا يوافق خال السامع، فيكرهه وينهاه عنه-. وكذلك في القرآن -. لا يُؤمن أن لا يوافق المقروء الحال، وتكرهه النفس، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله، من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه-. وهذا ما ينقدح في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن"[2].

الصوفي إذن في مجالس الذكر كما يقول حجة الاسلام قد يكره سماع بعض الآيات انسجاماً مع أحواله غير الشيطانية طبعاً، وعندها سيكون في حرج إن نهى القاريء عن التلاوة أو شتمه، أما مع الغناء، فلا حرج، ولذلك انصرف مشايخ التصوف إليه أو إلى حريتهم وفضلوه على القرآن. ومن لا شيخ صوفي له فشيخه الشيطان!!؟.

- "الوجه السابع: يقول الغزالي:"القرآن" كما يقول السراج كلام الله وصفة من صفاته، وهو حق لا تطيقه البشرية، لأنه غير

---

[1] ص ٣٠٠ نفسه.

[2] ص ٣٠٠ نفسه.

مخلوق، فلا تطيقه الصفات المخلوقة-. "أما" الألحان الطيبة "فهي" مناسبة للطبع. لمشاكلة المخلوق المخلوق، فانبساطنا "بالغناء" أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صنعته وكلامه، الذي منه بدأ وعليه يعود. انتهى"[1].

فكلام الله إذن لا يناسب المخلوق، فكلامه تعالى منه وإليه يعود، والقرآن من صفاته سبحانه، ولا كذلك صفة الانسان، ولهذا فلا استئناس ولا انبساط للمخلوق إلا بكلام من مخلوق مثله. وهكذا كان انبساط مشايخ التصوف وأولياؤهم مع الغناء دون انبساطهم بكلام الله. ولقد أحسن الغزالي صنعاً حيث لم يذهب للبرهنة على بشرية القرآن ليلائم الخلق أو البشر، أو ربما أُخذ بالحياء، أو ليمنَّ على الشكاك، وقد هداهم لبعض المفاتيح التي قد يحتاجون إليها.

ومن كل ما مرَّ معنا ندرك أن مجالس الذكر أو السماع أو الطرب، تلك المقرونة بالوجد المؤدي للخوارق والمعارف اللدنية. كلها لمن تأمَّل جيداً ذات أهداف ترويضية خطيرة في ابعاد المريدين عن القرآن ووفق الحجج التالية:

١ - إن القرآن ذو طبيعة إلهية لا تناسب المخلوق ذو الطبيعة البشرية.

٢ - إن القرآن لا يناسب كل أحوال الانسان التي منها الحزن والفرح وإلى ما هنالك.

٣ - ليس بالضرورة أن تأتي الواردات الالهية والخوارق عن طريق القرآن.

---

[1] ص ٣٠٠ - ٣٠١ نفسه.

٤ - إن القرآن والعمل فيه يعد مشغلة بالدنيا وهو غير مناسب لمن أراد إفراد القصد إلى الله.

٥ - إن العمل بالقرآن أحكاماً وتلاوة وتدريساً كل ذلك بالطبع عمل فيما سوى الله،والزهد فيما سوى الله عندها يجب أن يشمل القرآن الذي هو بالضرورة من جملة ما سواه سبحانه، ولهذا فعلى السالك أن يهجره ويزهد فيه وفي أحكامه التي كلها من أجل الدنيا.

٦- القرآن مُمِلْ والتعامل به مشروط ولا حرية معه ولا وجود فيه للترويح عن النفس.

ورحم الله ابن القيم الجوزية حيث قال عنهم:

"ثَقُل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بأوامر ونواهي

ورأوه أعظم قاطع للنفس عن شهواتها. يا ويحها المتناهي"[1]

إلا أن الغزالي إن أحسنا الظن، ليس قاصداً للإساءة إلى القرآن، وكل الذي أراد قوله- وهذا ما يجب أن نعيه جيداً-: أن للقرآن طبيعة تخصه من حيث هو دين ، وللتجربة الصوفية طبيعة تخصها، وهو برأيي صادق فيما يقول، ودليله ان الوجد والواردات والخوارق كل ذلك قد يأتي ودون الحاجة إلى القرآن، حيث لا شروط إلا الرياضات والغناء بعضاً من تلك الشروط، ولا بد من أخذه سواء وافق الاسلام أم لم يوافق. مع ملاحظة أن تحضير الأرواح أو الجن عن طريق الأناشيد والطبل والرقص شيء مألوف عند الانسان منذ عهد قديم جداً، ونفس العوارض ابتداء بالغناء انتهاء بالوجد ستجدها أنّى بحثت عن هذه الظاهرة.

---

[1] ص ٤٨٧ جـ١ مدارج السالكين

-القرآن والسريانية:

يقول الوسطاء بمعرض تفسيرهم لظاهرة الحديث بالألسن المجهولة: إن هذا يعود إلى اللغة التي يستخدمها الروح أو الجني المهيمن على الوسيط، والدباغ تبعاً لذلك قد وقع حتماً تحت تأثير هيمنة من روح يتكلم السريانية، حتى فضلها على اللغة العربية. وإذا عرفنا أن الكشف في التصوف هو من بعض الوجوه ما تقوله الأرواح أو الكائنات الأخرى عندها لا غرابة في آراء الدباغ القائل بكشفياته: إن حديث "أحب العربية لثلاث" المرفوع لابن عباس رضي الله عنه "ليس بحديث، ولم يقله النبي ص".[1] ولكن هل لأحد أن يكذب ما يزعمه الكشف وهو على الطبيعة الخبرية؟ طبعاً لا. بل ولا يمكن تصديقه، حيث لا خضوع له لتجربة الصدق والكذب، ولهذا فدائماً تكون المساواة بين الكشف والمزاعم.

وما هي اللغة البديلة والأفضل من العربية برأي الدباغ؟ إنها السريانية، فهي الأفضل "لأن الكلام في كل لغة غير السريانية- حسب رأيه - يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية، وفي السريانية يتركب من الحروف الهجائية-. "ومن تعلمها" ارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف"[2] أي أن العربية حسبما يقول الدباغ البربري الأصل لا ابجدية لها كالسريانية، ولكن ما حيلتنا أمام أحكام الكشف؟! وهل له أن ينطق بغير ما يقوله الروح المهيمن؟.

ليست العربية هي الأفضل حيث أحبها الرسول (ص) إنما السريانية برأي الدباغ هي الأفضل وإليها يجب أن يتوجه الحب فهي

---

[1] ص ٣٤٥ جـ١ الابريز.

[2] ص ٣٤٥ جـ١ نفسه.

لغة أهل الجنة، إنها "كلام أهل الجنة"[1]، ولغة الملائكة سريانية "نعم، سؤال القبر بالسريانية، لأنها لغة الملائكة والأرواح"[2] وسؤال القبر يكون بلفظة "مرازهو"[3] وجواب المؤمن بلفظة "مراد أزيرهو"[4]، وفاطمة بنت محمد ص لما حضرت ديوان الأولياء وطالما هي روح يقسم الدباغ قائلاً: "سمعتها تصلي على أبيها ص -. بالسريانية" بل وان اسم محمد ص بالسريانية هو "مشفح - . المنحمنا"[5].

اللغة السريانية هي الأفضل من العربية برأي الدباغ لأن "اللغة السريانية هي لغة الأرواح، وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم، لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى"[6]، كاللغة العربية على سبيل المثال.

السريانية هي الأفضل، إنها لغة الفطرة، حتى الطفل الرضيع ينطق بها دون تعلم "فمن أسمائه تعالى - كما يقول الدباغ- لفظة أغ، التي ينطق بها الصبي الرضيع"[7] وهي سريانية، وهل على هذا القياس يا شيخ ابراهيم اتخذت على المنبر إلى لفظة "للا، للا ، للا" "من الأم لولدها " بمعنى التعرف الفطري لله عز وجل ، ولكنك والحق اشهد أنك لم تعرف بأن "للا" سريانية أم عربية، أم هو اجتهاد

---

[1] ص ٣٤٥ نفسه.

[2] ص ٣٤٧ نفسه.

[3] ص ٣٤٨ نفسه.

[4] ص ٣٤٩ نفسه.

[5] ص ٣٤١ جـ١ نفسه.

[6] ص ٣٤٢ - ٣٤٣ جـ١ نفسه.

[7] ص ٣٤٦ نفسه.

لمضاهأة الشيخ، إلا أن كل الأشياء والألفاظ عند الشيخ هي كلمات إلهية.

السريانية عند الدباغ هي الأفضل، ومن أتقنها انهالت الفتوح عليه، وعندما تعلمها الدباغ كما يقول عن نفسه "تقطّب بعد ذلك بقليل"[1]، ومن عرف السريانية وأسرار حروفها كما يقول "أعانه ذلك على فهم باطن القرآن عوناً كثيراً، وعلم ما في عالم الأرواح، وما في هذه الدار،، وما في الدار الآخرة، وما في السموات، وما في الأرضين، وما في العرش"[2]، وأين العربية من هذا كله؟! فالسريانية هي الباطن للعربية وبالباطن تكون الحقيقة.

ولكن كيف كان القرآن بالعربية إن كانت السريانية هي الأفضل؟ للإجابة على هذا السؤال سيقول الدباغ بما يلي:

١ - سيربط ما بين الوحي والخواطر، والوحي عندها هو الانعكاس لخواطر النبي ص وفي هذا يقول الدباغ :"نزول الوحي يتبع خواطر الأنبياء، فإذا خطر ببال النبي شيء، أو تحدث به في نفسه نزل الوحي به -. تبعاً للخاطر"[3].

فالوحي إذن حسب رأيه هذا يأتي موافقة لما في النفس، أو موافقة لأحوال الأنبياء، فإن أراد الرسول ص مثلاً تبرئة عائشة رضي الله عنها في حديث الافك نزلت الآيات وجاء الوحي بتبرئتها. وبهذا يكون الوحي غير موضوعي، وهو كائن لمن كان له بغض النظر عن لغة هذا الانسان أو ذاك.

---

[1] ص ٣٥٣ جـ١ نفسه.

[2] ص ٣٥٤ نفسه.

[3] ص ٤١٨ نفسه.

٢ – سيقول بالفصل ما بين قرآن الدفتين، هذا الذي بين أيدينا أو قرآن الظاهر والقرآن المشروح بالسريانية هذا الموجود في اللوح المحفوظ.

فقرآن اللوح المحفوظ بزعمه مكتوب بالسريانية أو بعضه على الأقل. يقول الدباغ: "نعم، وبعضه بالسريانية –. كفواتح السور"[١]، أما الشروح هناك فكلها سريانية فقد "كتب مع كل حرف منها شرحه بالسريانية"[٢]، ومن عاين القرآن هناك سيراه مختلفاً عن قرآن الدفتين الذي بين أيدينا فـ "من فتح الله عليه – كما يقول الدباغ – ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن، ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ، وجد بينهما تشابهاً كبيراً"[٣]، ولكن لا كل التشابه.

ولكن ما مقصوده بأن الوحي يتبع الخواطر، وأن القرآن مشكوك بعصمته المطلقة، وأن السريانية هي الأفضل؟ ليس هذا كله إلا لترويض المريد، وها هو الدباغ بلسان حاله مثلاً ورغم شكوكه قد أصبح من الأقطاب المميزين بالخوارق والأسرار المعرفية! وهل للمريد بعدها أن يكترث بالقرآن وهو الساعي بالأصل لتحصيل المعارف والخوارق والطرب. ولكن ألا تلاحظ أيها المريد أن كل الأحوال الصوفية لا تستقيم لأصحابها إلا إن عارضوا العقائد الاسلامية؟ فاحذر واهرب عنهم بعقلك ودينك، واحذر أن يصطادوك بالطرب ولين الملمس، فسم الأفاعي مهلك رغم ملمسها الناعم، فاتق الله في آخرتك ونفسك، يرحمك الله.

---

[١] ص ٣٥٥ جـ١ نفسه.

[٢] ص ٣٦٧ نفسه.

[٣] ص ١٨٨ – ١٨٩ نفسه.

لقد سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي مرة عن تفسير قوله تعالى" ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون﴾-. فقال الشيخ رضي الله عنه: أقول: إن هذه الآية منسوخة"[١]، فهكذا كشف له، أو أن الله نسخها له، ولكن لا معارضة لكشفه، إنها العصمة والحفظ وأين الاسلام عندها من العيان، فالعيان المقرون بالتقوى هو المشروط بالموت بكل ما تعنيه الكلمة لا الاسلام وأين الذي يموت على العيان من الذي يموت على الحجاب أو الإسلام، وهكذا يكون العيان برايه ناسخاً للإسلام.

الصوفي يستحيل أن يُرَّد على تفاسيره وشروحه، فكلها حسب زعمه لدنية المصدر، فالشيخ أبو العباس المرسي مثلاً لما انشغل بتفسير قوله تعالى ﴿والتين والزيتون﴾ إلى آخر الآية قال: "ففكرت في معنى هذه الآية فكشف لي عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه: لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى"[٢].. ولكن لست أدري إن كانت هذه الزيادات من أصل القرآن أم هي شروح فقط، وعلى كل حال فهي شروح لدنية لا مجال لانكارها خاصة لمن آمن بعصمة الكشف أو بعصمة الشيخ، والدباغ يقول لمريديه: اعلموا اني "لا أفسر لكم الآية إلا بما سمعت من النبي ص"[٣]، عن طريق الكشف المشروط بالسريانية أو من حيث أن محمدا ص روح.

أما الشيخ حمزة الزيات فقد قرأ على الله لما رآه سورة ﴿يس﴾ فصحح الله له ما فيها من تحريف. وها هو حسب رواية الشعراني

---

[١] ص ١٦١ لطائف المنن.

[٢] ص ٢١٨ جـ٢ الفتوحات الالهية. ص ١٦٢ لطائف المنن.

[٣] ص ٣٩٦ جـ١ الابريز.

يقول: "قرأت سورة ﴿يس﴾ على الحق تعالى حين رأيته، فلما قرأت ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ بضم اللام فردَّ عليَّ الحق تعالى ﴿تنزيل﴾ بفتح اللام. وقال: إني نزلته تنزيلا. وقال: وقرأت عليه جل وعلا سورة ﴿طه﴾ فلما بلغت إلى قوله ﴿وأنا اخترتك﴾، فقال تعالى﴿ : وأنا اخترناك﴾[1]

الصوفي لا يثق بقرآن الدفتين حتى يسمعه من الله نفسه، ومنه تعالى يؤخذ القرآن، لا من الكتب. فعلى قاريء القرآن كما يقول الغزالي ﴿أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عزوجل لا من نفسه﴾[2]، فإن سمعته من الحق فهو ما سمعت ولا بغيره تُلزم. وللصوفي مهما كان جهله بالقرآن فإنه بترقيه سيصل إلى القرآن الأم والجنيد يقول: "كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمي اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب، وهو لا يحفظ القرآن، وذلك دلالة ولايته"[3]، وامتداداً لهذه الفكرة قال أهل التصوف بمعرفة الرسول للقرآن قبل نزوله، وبالطبع من خلال إيمانهم بالحقيقة المحمدية والرفاعي مثلاً يقول: "إن الله تكلم بالقرآن قبل خلق السموات والأرض ثم عرضه على روح محمد ص، ولما أصبح محمد بشراً في مكة نزل عليه جبريل ومحمد يعاجله به أو بما يعرف وهو المحفوظ بذاكرته"[4] وهو تفسيره لقوله تعالى ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾ "أي لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن

---

[1]-ص ١١٩ جـ١ م٢٢ اليواقيت والجواهر.

[2]-ص ٢٨٧ جـ١ إحياء علوم الدين.

[3]-ص ١٨٦ التصوف بين الحق والخلق.

[4]-ص ١٩٦ قلادة الجواهر.

تسمعه من جبريل، بل اسمعه من جبريل وأنت منصت إليه كأنك ما سمعته قط"[1].

وللصوفي بالمقابل مقامات لا يستطيع فيها النطق بالقرآن وأحدهم يقول عن واحد من مقاماته: "ولما ذقت هذا المقام كنت لا أقدر على النطق بالقرآن لا في الصلاة ولا في غيرها"[2].

أما "الحلاج" واعتماداً على ما كُشف له، هب معارضاً للقرآن، حيث أن "عمرو بن عثمان المكي"حسبما يرويه الشعراني قد "رأى الحسين بن منصور الحلاج يوماً وهو يكتب شيئاً . فقال: "ما هذا؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن"[3].

والشيخ أبو يزيد البسطامي عارض القرآن هو الآخر، ولكن بأحواله. فقد "قريء بين يدي أبي يزيد قوله الله تعالى:﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ فتواجد أبو يزيد وهام وجعل يقول: من كان عنده لا يحتاج أن يحشر، لأنه جليسه أبدا"[4] أي أن تعميم الحشر حسب رايه غير جائز لأنه لا حشر لمن كان دائماً على جمع وفناء مع أو في الله جل جلاله.

وابن عربي يروي لنا أن "المهذب ثابت بن عنز الحلوى"[5] قد عارض القرآن، ولاحظ أيها القاريء كيف نعته ابن عربي بـ "المهذّب" دلالة لعلو شأنه بين المجذوبين إلى الله عزوجل.

---

[1] ص ٢١ جـ٢ م٣٢ اليواقيت والجواهر.

[2] ص ٩٩ الأنوار القدسية.

[3] ص ٨٩ جـ١ الطبقات الكبرى.

[4] ص ١٥٣ النور من كلمات أبي طيفور.

[5] ص ١٧ جـ٣ ف٣٠٣ الفتوحات المكية.

الصوفي يصل إلى الله، ويكلمه، وكلامه تعالى قرآن، وهو يأخذ الكتب والرسائل من الله ومن الملائكة. وكلها مقدسة، والحكيم الترميذي يقول عن كتبه: "ما صنفت حرفاً عن تدبير ولا ينسب إلي شيء منه"[1]، وها هو لما أغلظ عليه الفقهاء لما في كتبه من خروج عن الاسلام "جمع كتبه كلها وألقاها في البحر فابتلعتها سمكة سنين ثم لفظتها وانتفع الناس بها"[2] فسبحان الله! وهل لأحد بعدها أن يطعن بها وقد انتصرت لهاالخوارق؟ فالخوارق في التصوف من البراهين القاطعة، لأن الكرامة دليل أو برهان الاستقامة، ولكن لا مع الشرع تكو ن الاستقامة وإنما مع الله، وهذا ما سوف نراه فيما بعد.

والشيخ البناني يقول: "كادتِ حِكَمْ ابن عطاء الله أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم"[3]، وأحزاب الرفاعي هي الأخرى لدنية المصدر فقد "صرَّح رضي الله عنه بأنه ما وضع منها حرفاً إلا باذن من الله ورسوله"[4].

وإجمالاً -حيث لا نرى سبباً للتطويل والمزيد- فأنّى وقعتْ يداك أيها المريد على كتاب صوفي، فمن المحال إلا وتجده منسوباً إما لأمر إلهي، أو لاطلاع وأمر نبوي، وإما للإلهام، وإما للمنامات، وإما عن اللوح المحفوظ، وإما، وإما، وهكذا ديدنهم على الاطلاق. وكل قصدهم الحصول على التسليم بصحة ما في كتبهم دونما اعتراض عليها بكتاب الله أو بسنة رسوله ص. وابن عربي مثلاً يقول عن كتابه

[1] ص ٢٢ الرسالة القشيرية. ص ٣٢ التعرف لمذهب أهل التصوف.

[2] ص ١٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

[3] ص ٤ جـ١ إيقاظ الهمم.

[4] ص ١٣٠ قلادة الجواهر.

"فصوص الحكم" الذي أمره ص به أو أعطاه إياه: "فما أُلقي إلا ما يُلْقى إلي -. ولست بنبي رسول ولكني وارث ولآخرتي حارث.

فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا"[1]

حتى الشِعر قال عنه: إنه " الهي لا عن روية ولا تعمل"[2] بل ومؤلفاته في السحر وعلم الحروف هي الأخرى إلهية المصدر، إنها عن أمر الهي "عن أمر ربي الذي عهدته، فلا أتكلم إلا عن طريق الإذن -. وقد أذن لي في تقييد ما ألقيته"[3].

الصوفي إذن له القدرة على تصحيح القرآن، وعلى نقضه، وتفاسيره وشروحه كلها مقدسة، وكتبه بما حوته من شعر وسحر كلها معصومة عن الزلل، وكلها الهية المصدر نبوية الأحكام. ومن ذاك بعد هذا كله له تخليص المريد من شباك هذه السجون المظلمة؟ إنه الله "ومن يهده الله فلا مضل له".

[1] ص ٤٨ جـ١ فصوص الحكم.

[2] ص ٤٨٨ جـ٣ ف٣٧٨ الفتوحات المكية.

[3] ص ٥٩ جـ١ ف٢ نفسه.

-ابن عربي والقرآن:

ملاحظة: إن البحث في موقف ابن عربي في القرآن واسع، وقد قمنا به في غير هذا الكتاب، والتزاماً بغرض هذا الكتاب سأقف قدر الامكان عند النقاط الرئيسية لمذهبه.

القرآن عند ابن عربي ذو تناقضات كبيرة، وهو لذلك محيِّر إلى حد كما يقول أن "تقابلت الأقوال وتضادت الصور والأحوال فآية تشبيه تقابلها آية تنزيه، وقد يجمع الحكم بهما آيه واحدة لمن أراد الفائدة مثل قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

أي كيف يتم تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم، وفق الآية والمخلوقات كلها ذات سمع وبصر، وهو السميع البصير، أي فهي مثله، ولرفع هذا التناقض الموجود حسبما يزعم لا بد من الأخذ بعقيدة لا موجود إلا الله، وعندها فهو المبصر بكل ذي بصر والسامع بكل ذي أُذن، وبهذه العقيدة فقط سيصبح القرآن مستقيماً بلا تناقض وتضارب.

قرآن الدفتين ليس له أية ميزة على قرآن الوجود فكل الوجود قرآن، وكل الأشياء كلماته تعالى "وليس غير كلام الله هذا المسموع والمبصر"[2].. ومن ناحية الكلام على الاطلاق فـ"كل كلام في العالم كلامه"[3]، فـ "عندنا فكل كلام (هو كلام) الهي"[4].

---

[1] ص ٣٥٣ جـ٤ ب ٥٥٩ الفتوحات المكية.

[2] -ص ١٥٨ جـ٣ ب ٣٤٠ نفسه

[3] ١٠٤ جـ٤ ف ٤٧٢ نفسه..

[4] ص ١٩٤ جـ٢ ب ١١٠ نفسه.

وهكذا يكون تحقيق شهادتي توحيد لا موجود ولا فاعل إلا الله. فبالتوحيد الأول ساوى بين القرآن والوجود، وبالثاني ساوى بين القرآن وكل الكلام، ومهما يكن المتكلم لأنه لا متكلم أو لا فاعل إلا الله.

وابن عربي يصرِّح بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا قد ناله التحريف والوضع، ولا معرفة حقيقية بالقرآن المحفوظ إلا لأهل الكشف، وفي ذلك يقول: "فإن هذا الذي بأيدينا هو قرآن بلا شك، ونعلم انه قد سقط منه كثير، فلو كان رسول الله ص هو الذي جمعه لوقفنا عنده وقلنا: هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة إذا قيل لقارىء القرآن اقرأ وارق-. وما نازع أحد من الصحابة في مصحف عثمان انه قرآن، فإذا حصل لانسان بما انفرد به في منزلة من هذه المنازل الكشفية فإنها تعطيه حقيقة ما هي عليه -. "الأمور" وما منعني من تعيينها إلا ما يسبق إلى القلوب الضعيفة من ذلك، ووضع الحكمة في غير مواضعها، فإن الحافظين أسرار الله قليلون"[1].

فالرسول حسب رأي ابن عربي لم يجمع القرآن، ولما جمعه الصحابة سقط منه كثير إلا أنهم لم يشكوا بمصحف عثمان ولكنه ليس كل المصحف ، ومن كان له المعراج في كل منازل الكشف سيدرك القرآن الأم، ويتعرف إلى القرآن الصحيح المعتمد في الآخرة، وابن عربي يزعم أيضاً أنه تعرَّف إلى الفرق بينهما، ولكنه لا يستطيع تعيينه، خشية من أصحاب القلوب الضعيفة، خاصة الفقهاء والعوام، ولأنه لم يجد من يبوح له بأسراره هذه لأن الغالب على البشر عدم حفظهم للسر.

---

[1] ص ٤٤٧ جـ١ ب ١٩٨ ف ٢٦ نفسه.

ولكنه رغم حرصه هذا لم يبخل علينا بسرد الكثير من وقائعه التي فيها تصحيح القرآن المحرف، منها على سبيل المثال قوله: "لما اطلعني الله تعالى على إنزال هذه الآية -. فقيل لي: اقرأ. قلت: وما أقرأ؟ فقيل لي "اقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد". فقرأت هذه الآية على ما كنت احفظها: فقيل لي لَمَّا وصلت إلى قوله تعالى: ان اخذه، قيل لي: قل بك. فقلت ما هو في القرآن ولا نزل كذا. فقيل لي: لا تقل هكذا، بل هكذا هو وكذا أنزل"[1] وبهذه الآية التي هي الصواب حسب كشفه كان قتله لأحد المنكرين عليه، أو أن قتل المنكر كان آيته على صدق كشفه.

وبمصطلح "الوراثة" زعم ابن عربي أيضاً وراثة الأولياء للقرآن الصحيح الذي نزل على الرسول لا هذا القرآن المحرف فـ "المصطفون هم الذين ورثوا الكتاب وهو القرآن المحفوظ من التحريف والزيادة، فلو حفظت سائر الكتب لورثت، فمن كوشف منها على ما ثبت انه الهي ورثه وحكم به على بصيرة"[2].

فالولي إذن لا يرث عن الأنبياء إلا ما كان نسبه صحيحاً اليهم، ولا صحيح يُعرف إلا بالكشف، ولا فرق في ذلك بين التوراة والانجيل والقرآن، وبهذا الاعتقاد المؤدي لاستمرار نزول القرآن حقَّ له برأي نفسه أن يقول:

"أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لاروح المعاني"[3].

أما عن قضية "الفهم" و"الترجمة" فيؤمن ابن عربي بأن القرآن نزل على قلب النبي ص على شكل معاني بلا لغة وألفاظ وما محمد

---

[1] ص ٢٩٣ جـ٢ ب٢٩٩ نفسه.

[2] ص ٤١٣ جـ٤ ب ٥٥٩ نفسه.

[3] ص ١٠ جـ١ ب٢ نفسه.

رغم علمه بالقرآن قبل نزوله إلا المترجم بلغته لما أدركه من تلك المعاني المجردة. والمهم هنا في هذه المسألة هو ما قد يخطيء به المترجم في مهمته تلك، وفي هذا يقول ابن عربي: "وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على اليقين - فنزول القرآن على القلب بهذا الفهم الخاص هي تلاوة الحق على العبد -. "والمترجم" يتلوه باللسان على غيره بطريقة التعليم، أو بذكره لنفسه لاكتساب الأجر وتحديد خلق فهم آخر"[1].

فالمترجم كما يرى قد لا يدرك مراد الله مما نزل إليه من الفهم، وقد يحوِّر ويبدل لتمكين الآخرين من إدراك ما سوف يترجم، ناهيك عن الفرق الذي لا بد من وجوده ما بين الفهم والترجمة. وما هذه الأفكار في نهاية المطاف إلا لجعل وحدة الوجود هي الأصل في إحكام القرآن حيث نزول الفهم عن الله لا ينقطع بموت الرسول ص . فالفهم كما يقول ابن عربي: "نزل على قلب محمد ص، نزل به الروح الأمين، ثم لا يزال ينزل على قلوب أمته إلى يوم القيامة - فهو الوحي الدائم"[2]، بل ولا سبيل للمقارنة بين قرآن الترجمة، قرآن الدفتين، قرآن محمد(ص)، وقرآن الفهم الذي يهبط للأولياء مباشرة بلا وسائط، حيث لا تساوي بينهما. لأن الفهم دوماً سيبقى دون شوائب الترجمة وابن عربي يقول: "فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله في نفسه منه تعالى برفع الوسائط، ما يمكن أن يساوي في الإدراك من يسمعه بالترجمة عنه"[3]. وعندها يستحيل مطالبة الصوفي بالانصياع لقرآن

---

[1]-ص ١٢٩ جـ٣ ب٣٣٤ نفسه.

[2]-ص ١٠٨ جـ٣ ب٣٢٩ ننفسه.

[3]-ص ٩٤ جـ٣ ب ٣٢٥ نفسه.

الدفتين، طالما لـه الوصـول إلى الفهـم المباشـر، أو الوصـول إلى القـرآن الأصل غير المحرف.

الصـوفي دائمـاً يقـول: "حدثـني قلـبي عـن ربـي"، أي أن نـزول القرآن والكلام الالهي مستمر بلا توقف، ودائما يستمر نـزول القـرآن على قلوب أولياء التصوف وابن عربي يقول: "فنزول القـرآن في قلـب المؤمن هو نزول الحق فيه، فيكلمِّ الحق هذا العبد في سره ، وهو قولهـم: حدثني قلبي عن ربي من غير واسطة"[1].

وهكذا أخيراً، وكما فعل أهل التصوف مع الرسـول ص حيث جعلوه ما بين ظاهر وباطن، أو ما بين محمد البشري ومحمد الروحي أو في حقيقته، وكما جعلوا من "سلّم تسلم" باطن لـ "اسلم تسلم" كذلك قالوا بقرآن الباطن، قرآن الفهم، قـرآن اللـوح المحفـوظ مقارنـة بقـرآن الظاهر، قرآن الدفتين، قرآن محمد ص. ودائماً لا حقيقة إلا في الباطن، ولا باطل إلا في الظاهر، واحـذر مـن خديعـة التوفيـق بينهمـا لأنهـا لا يمكن قطعاً أن تتجاوز فكرة المراتب أو التقية.

[1] ص ٩٤ جـ٣ ب ٣٢٥ نفسه.

- **التأويل الصوفي والقرآن:**

أما قضية التأويل الصوفي، فهي أيضاً واسعة جداً، ولا أراها مطلوبة للقاريء غير المختص، وليس لنا الآن إلا ذكر الملاحظات المقرونة على تأويلاتهم. وهي الآتي:

١ - ليس في التصوف من حدٍ للتأويل، فكل القرآن ظاهر أو متشابه ولا فرق في ذلك بين العقائد والأوامر والنواهي وإلى ما هنالك، ولكله باطن يؤول إليه الظاهر كله، ولا تمييز بين المحكم والمتشابه إلا بما تنطق به مبادئهم.

٢ - ليس لأحد حسب اعتقاد أهل التصوف رسوخ في التأويل، وهو حق لأوليائهم فقط دون أهل العلم كافة.

٣ - ليس من محكم يُردُّ إليه القرآن أو المتشابه إلا عقائدهم الباطنية المتمثلة بتوحيد "لا فاعل ولا موجود ولا معبود إلا الله" ومن لم يدرك ما يعنيه توحيدهم على الحقيقة فلا إدراك له لما تعنيه أسرارهم، أو أسرار تأويلاتهم.

- **التكاليف والتصوف:**

التكاليف من الناحيـة الاسلامية، عـدا معناهـا التعبـدي، فهـي ذات أغراض اجتماعية انسانية، بل ولا معنى لها إن فصلت عن هـذه الأغـراض، ولقـد قـال الرسـول(ص)مثـلاً: "مـن لم تنهـه صلاتـه عـن الفحشاء والمنكر كمن لا صلاة له". أما الصوفي الذي آثـر الهـرب مـن الخلق، فسـوف تصبح التكـاليف برأيه ذات معنـى خـاص، وبأحوالـه سيزن قيمتها، وهذا بالطبع ذو علاقة رئيسية بفكـرة المراتـب، والشـيخ أبو يزيد البسطامي مثلاً "عند بلوغه نهاية الرجال وغاية الأبدال[1]. نـراه يقـول: "لم أر في الصلاة إلا نَصَبَ البـدن، ولا مـن الصـوم إلا جـوع البطن". ولقد عبَّر عن فكرة المراتب هـذه أحسـن تعبير لما وزن الحج بمقامـات سـفره المختلفـة نحـو الله قـائلاً: "حججـت أول مـرة فرأيـت البيـت، وحججـت الثانيـة فرأيـت صـاحب البيـت ولم أر البيـت، وحججـت ثالثـاً فلـم أر البيـت ولا صـاحب البيـت"[2] أي أن العـوام يحجون لرؤية الكعبـة أو بيـت الله، أمـا الخـواص فحجهـم إلى قلوبهـم حيـث فيـه رؤيـة الله بـلا كعبـة ولا حجـر، أمـا خـواص الخـواص أو الواصلون فهم الذين اتحدوا بالله حيـث لا رؤيـة بعدهـا، لأنـه لا فـرق بعدها بين الله وهذا الحاج الواصل. وتلك هي المراتب والممـيزات بـين أهل البدايات والواصلون إلى أعلى المقامات مـع ملاحظـة انـه لا عـودة للمقام لأدنى قطعاً. والغزالي يروي عن أحدهم انه قال: "مـن رآنـي في البداية صار صديقاً ومن رآني في النهاية صـار زنديقـاً"[3] فمـن نظـر إلى الصوفي في بدايته إذن سيراه في إقامته للتكـاليف خـير قـدوة للصديقـين

[1] ص ١٢١ النور في كلمات أبي طيفور.

[2] ص ١٠٢ نفسه.

[3] ص ٥١ جـ١ إحياء علوم الدين.

حسب المصطلح الاسلامي، ومن نظر إليه وقد وصل إلى الله حيث لا تكاليف مع الجمع سيراه زنديقاً معطلاً للأعمال والأفعال بردها إلى القلب دون الجوارح.

والصوم كما يقول الغزالي يختلف معناه عند السالكين على ثلاثة معان. يقول: "اعلم ان الصوم ثلاث درجات: صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص-. وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهضم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية. ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله"[1]، فصوم خصوص الخصوص إذن هو صوم القلب لا الجوارح ولا بمعنى الإضافة لصوم الجوارح، حيث لكل رتبة أحكامها وصيامها المختلف عن الأخرى، وهذا ما سوف يتضح فيما بعد أكثر.

والشيخ عبد القادر الجيلاني يروي عن بعضهم أنه قال:

"الصيام والقيام خل وبقل على المائدة والطعام غيرهما" ثم يقول: صَدَق، هما أول الطعام ثم يجيء لون بعد لون من الأطعمة، ثم الأكل، ثم غسل الأيدي، ثم يجيء لقاء الله عز وجل ثم الخلع والأقطاع والامارة والنيابة وتسليم القلاع"[2] فالتكاليف حسب رأيه للبداية، ولا بأس بها للعوام والمريدين أصحاب الفرق، فهي بالنسبة للطعام خل وبقل، أما الواصلون إلى الجمع، إلى الله أو إلى النيابة عنه والمساواة به سبحانه فشأنهم مختلف، حيث لا تكاليف مع الجمع، ولكن كما يقول شيخنا لا بد لهذا الواصل من التقية لأنه "إذا بنيت حالك على أحكام الحكم الظاهر لا يقدر أحد على نقضه"[3] فتمسك

---

[1] ص ٢٣٤جـ١ نفسه.

[2] -ص ١٨٤ الفتح الرباني.

[3] -ص ٢٣١ نفسه.

بالظاهر أيها السالك ومن ثم "اترك هذا الظاهر وقد وصلت إلى الباطن، بداية ثم نهاية"[1]، وبالنهاية يكون غسل الأيدي من التكاليف حيث لا وجود في التوحيد الصوفي للفرق بين المكلِف والمكلَف.

أما ابن عربي فيقول: فكما أن محمداً(ص)تعبَّد بشريعة ابراهيم حتى فجئه الحق أو جاءه الكشف حسب المصطلح الصوفي" كذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه"[2] فإذا كان له هذا الفهم أو الوصول فلا تكاليف إلا من الله نفسه وفق أوامره ونواهيه المباشرة على القلب، وكما أن الاسلام يجبُّ ما قبله كذلك الولاية تجب ما قبلها، حيث لا تحجير بعد سجود القلب المؤدي إلى مقام "افعل ما شئت فقد غفرت لك".

وابن عجيبة بعد حديثه عن التمييز بين أصحاب المراتب يقول: أيها الواصل! إجعل "الجمع في باطنك مشهود والفرق على لسانك موجود"[3]، لكن لا من باب الجمع بينهما كما هو ملحوظ وإنما من باب التقية لأن الفرق أفعال بالبنان لا أقوال من اللسان.

الأصل في المقامات أو السلوك هو الترقي أو التطور، وهو دائماً بمعنى الانتقال من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى ولا عكس "وكلما ترقى العبد في ذلك مرتبة وجد ما قبلها حجاباً عليها"[4]، ولقد أخضع أهل التصوف الرسول لهذه القاعدة التي فسروها بقوله(ص)" "إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة" على انه استغفار من

[1] ص ٢٣١ نفسه.

[2] -ص ٢٢جـ١ الكبريت الأحمر.

[3] -ص ٢٠٩ جـ ٢ ايقاظ الهمم

[4] -ص ١٥٤-١٥٥ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

الحجاب أو المقام لأدنى ليكون له المقام الأعلى. ولهذا زعموا ان قوله بالتكاليف والقيام بها لم يكن لـه إلا في أوائل سلوكه أو وهو على المقامات الدنيا، أو تعليماً للعوام والجهلة. بينما هو على الحقيقة أو وهو في المقامات العليا من أول المتحررين منهاحسب زعمهم. ولكن لو نظرنا إلى أمر الله لمحمد(ص)بالتكاليف ممثلة بالصلاة لرأيناها وقد كانت بالفعل عن أعلى مقام شرّف الله به رسوله وهو مقام "قاب قوسين أو أدنى". عندها ومن حيث انـه لا وصول لأحد لأبعد مما وصل إليه الرسول عندها يتضح كذب كل زاعم لإسقاط التكاليف بحجة الجمع أو المراتب. ولا أظن أن الله كلف محمداً(ص)بالصلوات الخمس وهو في أعلى المقامات إلا دحضاً لكل زاعم باسقاطها بحجة الوصول أو الاتحاد أو الفناء أو المقامات العالية وإلى ما هنالك من دروب كثيرة.

– التكاليف للرياضات:

التكاليف في الإسلام إن نظرت في طبيعتها ستراها الواسطة الأهم التي بامكانها ضم أعضاء المجتمع المسلم بعضه إلى بعض. إلا أن الصوفي الذي آثر العزلة والخلوة منفرداً برياضاته اللااجتماعية لا بد أن يراها في الدرك الأسفل من المراتب، ومن نظر في هذين الحدين المتعارضين فكأنما يرى أن التكاليف لم تكن بالأصل إلا لمحاربة الظاهرة الصوفية أنى وجدت وهي الموجودة أثناء الإسلام وقبله.

ولكن ما الذي سيقوله الصوفي عن التكاليف وهو المصر على رياضاته في تحصيل المعرفة والخوارق؟ سيقول: إنها للعوام، إنها للمريدين، إنها للرياضات، لا للحياة الاجتماعية، وها هو الرسول(ص)يقول في حديثه القدسي: "ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت يده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي بها-.الخ" ونحن نقول: هذا حسن، ولكن ضمن توحيد لا إله إلا الله، لا بمعنى الاتحاد مع الله، ولا بمعنى المساواة بين الله والانسان، ولا بمعنى حلول الله في الانسان، حيث لا مساواة قطعاً، بل ويستحيل أن يصبح علم الله وقدرته في بشرما مهما كان قربه ورتبته، ولو قلنا بالاحتمال لكان هذا أوْلى بمحمد(ص)قبل كل أولياء التصوف.

إن هذا الحديث بظاهره الذي معناه الحلول هو من أحاديث الكيد، أو كيد المتشابه، وبه سيخرج المرجفون وأصحاب الأهواء من الخفاء للافصاح عن حقائقهم وفي هذا ظهورهم لكل ذي عين وأذن لأنه لا حلول مع مقاييس كلية الاسلام إلا بالخروج عنه ومعنى الحديث حسب توحيد "لا إله إلا الله": إن من تقرب إلى الله بالفرائض وزاد عليها بالنوافل سيحبه الله، ولا بد عندها سيذكر ما يريده الله على الدوام، سيذكر أحكامه، حلاله وحرامه، فإن رأى

منكراً على سبيل المثال قوّمه لتحقيق ما يريده ا لله وكأن يده عندها كيده سبحانه. وهل يعقل من جهة أخرى أن يصبح ا لله قدم الماشي ويد الباطش؟ حتماً لا، وإلا لجوزنا التجسيم عليه بما فيه من مجيىء ونزول واستواء. والغريب من باب الملاحظة أن أهل التصوف أهل الباطن قد أولوا كل شيء إلا هذا الحديث وكل ما يؤيد مذهبهم تركوه على ظاهره بلا تأويل !!.

ومن تأمل في هذا الحديث جيداً سيراه لا إستقامة له مع توحيد لا فاعل إلا ا لله، من حيث أن القائم بالنوافل فاعل، بل ولا استقامة له حتى مع توحيد لا موجود إلا ا لله، من حيث وجود الفرق فيه بين العابد والمعبود. والحقيقة أنهم لم يتخذوه بمعنى الحلول إلا كمقدمة للوصول إلى تعميم لا فاعل ولا موجود إلا ا لله. ولكن لا حلول في الاسلام ولا جبر في عقائده إذ كيف يكلف ا لله المجبر على أفعاله، أو كيف يكلف ا لله نفسه. هذا هراء، ولا توحيد اسلامي إلا توحيد لا إله إلا ا لله، وإلى هذا المحكم من التوحيد يجب رد ما يعنيه حديث النوافل.

والآن، وبعد هذا الاستطراد الذي لا بد منه، فلنعد إلى قضية التكاليف من حيث هي رياضات لتحصيل الصوفي الخوارق والعرفان.

يقول ابن عجيبة: "الأعمال البدنية هي وسيلة للأعمال القلبية"[1] ، أي أن التكاليف هي الوسيلة لجعل القلب آلة الادراك عن ا لله "فالشريعة - كما يقول النابلسي- مجاهدة والحقيقة مشاهدة"[2] وإذا أردت مثلاً تحصيل إدراك خفايا الآخرين واسرارهم فعليك بالطاعات فـ "الاطلاع على أسرار العباد - كما يقول ابن عجيبة -

---

[1]-ص ٢٢ جـ١ ايقاظ الهمم.

[2]-ص ٥٦ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

قد يدرك بكثرة الطاعات_. وبها يكون طلب الكرامات وخوارق العادات والاطلاع على المغيبات"[1] والغزالي يقول: "إذا صفت القلوب في الصلاة حظيت بالمشاهدة-. فهناك تشاهد الأفلال والأملاك"[2]. و "كل تقوى وعمل مخصوص - كما يقول ابن عربي- له علم خاص لا يكون إلا له"[3]، ومن فكرة الرياضيات بمعيارية النفس لا بمراعاة الشريعة يقول ابن عربي ايضاً: إن الصوم يورِّث "لقاء ا لله وهو المشاهدة. فكان أتم من الصلاة -. وأما الحج-. "فلا نفع منه" لذلك تأخر في القواعد التي بني الاسلام عليها"[4]، والسهروردي المقتول يقول عن رياضة الصوم: "أن أقواه أثراً ما أُخرِّ فيه الافطار إلى السَحَر"[5].

فالصوفي إذن لا يرى المنفعة في كل التكاليف، طالما هي برأيه رياضات، ولن يتخذ منها إلا ما هو بحاجة إليه، أو ما يحتاجه وفقاً لتقديره في تقويم نفسه، أو ما يعينه على تحصيل الكشف. وابن عجيبة لا يرى في التكاليف تلك الجدارة إن قورنت بغيرها من الرياضات وفي ذلك يقول: "ربما تجد من المزيد في الفاقة مالا تجده في الصوم والصلاة"[6]، بل وقال: إن "العلوم الظاهرة لا مدخل لها في السير والسلوك إلى ملك الملوك كالدماء والحدود والعتاق"[7] والطريقة الشاذلية مثلاً وطالما اتخذت الرياضات العقلية بما فيها من تركيز على الفكرة أو ا لله بمقولة الاحسان بديلاً عن الرياضات الجسدية رأت أنه

---

[1]-ص ٤٩-٥٠ ايقاظ الهمم.

[2]-ص ٦٣ سر العالمين.

[3]-ص ٥٧٦ جـ١ ف٧٠ الفتوحات المكية.

[4]-ص٢٥٨جـ١ ف٤٧ نفسه.

[5]-ص ١١٥ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة.

[6]-ص ١٥٥ جـ١ الفتوحات الالهية.

[7]-ص ١٦٠ نفسه.

لا نفع من الرياضات الجسدية، بمافيهاالنوافل ولهذا كما يقول الشعراني انشأوا عبادات خاصة بهم وقالوا: انها "سنة حسنة"[1].

والملاحظ حتى الآن ما يلي:

١ – قيام الصوفي بالتكاليف مشروط بالأجر وهو بذلك قد ناقض نفسه بنفسه، وأجره الذي يسعى إليه هو تحصيل الخوارق والعرفان في دنياه هذه، فهو كأجير السوء، ولا يجب أن ننسى هذا على الأقل حتى نقاش موقفه من الجنة والنار أو الوعد والوعيد فيما بعد.

٢ – التكاليف برأي الصوفي تخضع أي اتخاذها لتقديراته الشخصية.

٣ – الصوفي يسعى للكرامة والتعمُّل لها، وهو عالم بها وبنوعها وبشروط احداثها قبل أن تحدث. وما هكذا الكرامة الالهية، وهذا أيضاً مالا يجب أن ننساه عند الحديث عن الكرامة في الفكر الصوفي.

٤ – الصوفي لا إلتزام له بطقوس التكاليف، طالما هي رياضات، ومن منطق الرياضات يحق له حسب رأيه استبدالها بما هو أفضل منها.

---

[1]-ص ٦٠ جـ١ الكبريت الأحمر.

- التكاليف للقلب لا للجوارح:

لكل شيء في التصوف ظاهر وباطن، ولا حقيقة إلا في الباطن، والغزالي يقول: "إن لكل عبادة ظاهراً وباطناً"[١]، كما يقول: "العمل صورة والعبادة روح تلك الصورة"[٢]، فالمطلوب إذن من العبادات روحها لا تلك الحركات والأعمال، ولهذا فأهل التصوف كما يقول عبد القادر الجيلاني "قدموا الباطن على الظاهر"[٣]، وها هو يقول: "ويلك طاعة الله عز وجل بالقلب لا بالقالب"[٤]، ولهذا التمييز وتأكيده يقول ابن عجيبه: "فالعوام حد صلاتهم أوقاتهم، والعارفون في الصلاة على الدوام، قيل لبعضهم هل للقلوب صلاة ؟ فقال: نعم إذا سجد القلب لا يرفع رأسه أبداً"[٥]، أي ليس بعد سجوده من معصية، ولا ظاهر يلتزم به طالما هو على صلاة دائمة. وابن الفارض يقول: "وقلبي ساعة منك لا يخلو"[٦]، وأنى له عندها القيام بالتكاليف وهي على الأوقات أو وهو في صلاة وسجود دائم.

ومن أجل ترسيخ هذه الأصول ستأتيك الحكايا من القوم بما فيها من منامات وخوارق وإلى ما هنالك مثال حكايتهم التي تقول: "إن سيدنا عيسى عليه السلام مرَّ برجل نائم والناس يتعبدون فقال له عيسى عليه السلام: قم نتعبد مع الناس. فقال: تعبدت يا روح الله! فقال له: وما عبادتك؟ قال: تركت الدنيا لأهلها. فقال له: نم، نعمت

---

[١]-ص ٢٣٦ جـ١ إحياء علوم الدين.

[٢]-ص ٤٠٩ جـ٢ ف١٩٨ الفتوحات المكية.

[٣]-ص ٢٠٧ لفتح الرباني.

[٤]-ص ٤٣ نفسه.

[٥]-ص ٣٨ جـ١ إيقاظ الهمم.

[٦]-ص ٢٤٣ التصوف في شعر ابن الفارض.

العبادة هذه"[1] ومقصودهم من هذه الحكاية أن من اتخذ الزهد والخلوة لنقاء قلبه الذي هو مقصود العبادات فلا تكاليف عليه لأن التكاليف للقلب لا للجوارح. والغزالي أيضاً يروي لتأويل التكاليف بالأوجب قائلاً: "كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما: ذكّرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة، الصلاة. فيقول: أولسنا في صلاة. إشارة إلى قوله عز وجل "ولذكر الله أكبر"[2].

أي أن الذكر بل والسماع الذي فيه الطبل والغناء، هو أكبر ما في الصلاة، او هو مقصودها، فمن كان له فلا صلاة عليه، ومن تريض بكل ما يؤدي إلى نقاء قلبه فكأنما أقام التكاليف أو تريض بها بلا فرق. والزكاة بالمعنى القلبي للواصلين كما يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني هي: "التزكي بإيثار الحق على الخلق، أي إيثار شهود الحق على شهود الخلق"[3]. والجنابة عند الدباغ، ذات معنى مختلف، ومن داوم مثلاً على مراقبة ربهِ ولو كان على بطن زوجه "حالة الوقاع -. لا يجب عليه غسل"[4] من الجنابة.

---

[1]-ص ٧٨ جـ١ إيقاظ الهمم.

[2]-ص ٢٨٠ جـ١ إحياء علوم الدين.

[3]-ص ٣٠ الفكر الفلسفي عند عبد الكريم الجيلي.

[4]-ص ٤٧٥ جـ١ الأبريز.

- التكاليف والتأويل:

مراعاة لغرض هذا الكتاب سنكتفي من تأويلات القوم للتكاليف بما يقولونه عن الحج. مع ملاحظة أن المحكم في تأويله عند أهل الله هو قول الله في الحديث القدسي: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن"، وهذا الحديث أيضاً من أحاديث كيد الله المتين، ولننظر في كيف أفصح أهل التصوف عن عقائدهم من خلاله.

من المعلوم حسب روايات الصوفية أن رابعة العدوية ذهبت في بداياتها إلى الحج دحرجة حتى بلغت "الكعبة في سبعة سنين" [1]، وفي مقام من مقامات رقيها وبينما هي في الطريق خرجت الكعبة لاستقبالها، ولما استغرب ابن أدهم، حيث لم يجدها في مكانها وهو الذي قصدها مع كل خطوة بركعتين. قالت رابعة: "يا ابراهيم! لقد جئت أنت بالصلاة، اما أنا فقد جئت بالفقر" [2] فلا تتعجب فالفاقة أو الفقر هو الأعظم للكرامات وللوصول إلى الله من إقامة التكاليف والنوافل.

ولما أصبحت رابعة من أهل التمكين أدركت أن المقصود من الحج أو السفر هو رب الكعبة، وفي قلبها إذن ستجده وإلى قلبها يجب السفر ، وما الكعبة إلا - كما تقول - ذلك "الصنم المعبود في الأرض وانه ما ولجه الله ولا خلا منه" [3]. وبقولها هذا تتضح فكرة المراتب المؤدية إلى العقائد المختلفة عند الواصلين عن عقائد المريدين.

---

[1] -ص ٣٩ رابعة العدوية.

[2] -ص ٢٦٣ الصوفية في نظر الاسلام.

[3] -ص ١١٢ نفسه.

أما أبو يزيد البسطامي، إمام المحققين، يقول: "وخرجتُ الرابعة إلى الحج" فنوديت في بعض المتاهات: إلى أين يا أبا يزيد؟-.خلفته "أي الله" ببسطام فنبهت من غفلتي"[1]، وقال أيضاً: "كنت أطوف حول البيت أطلبه، فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي"[2]، وسافر مرةً للحج فلقيه القطب في الطريق وأمره العودة قائلاً له: "إن الله هو ما تراه فيَّ بعين قلبك. لأنه اختارني بيتاً له-. فلا تظن أني شيء غيره"[3].

الحج للعوام، للمريدين، ولا حج لمن أصبح الله في قلبه بل ومن الجائز لمن وسع قلبه الحق أن يُحجَّ إليه، وابو يزيد لما كان على هذا المقام طافت الكعبة حوله شهادة منها بتصديق أحواله، وبوصوله إلى هذا المقام راح ينادي ذات مرة حسبما يرويه مخطوط له بالمكتبة الأهلية بباريس: "من يشتري مني خمسة واربعين حجة برغيف خبز؟ فقال رجل: أنا، فأخذ منه الرغيف والقاه إلى كلب فأكله"[4]، وهكذا احتفظ بنقاء عقيدته التي لا ترى في الحج إلا الحجاب والوثنية.

والحلاج أيضاً أوَّل العبادات التي من جملتها الحج، معتقداً "أن شوقنا إلى الله يجب أن يمحو في نفوسنا صورة الكعبة كيما نجد من أقامها"[5]، لأنها من جملة ما سوى الله، ولقد قال أيضاً للمريدين بمشروعية الحج بالهمة على طريقة التمثيل التي فيها الغنى عن الذهاب إلى الكعبة.

---

[1]-ص ١٦٤ شحطات الصوفية.

[2]-ص ١٠٠ النور من كلمات أبي طيفور.

[3]-ص٤ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة.

[4]-ص ٢١٨ شطحات الصوفية.

[5]-ص٦٨ شخصيات قلقة في الإسلام.

المسافر ببدنه، المسافر إلى الحج، المسافر إلى الكعبة. اعلموا انه من أهل البدايات، والجبان في سفره إلى ا لله هو الراضي بهكذا سفر. وفي هذا كله يقول الغزالي: "ثم ما دام المسافر مفتقراً إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الأول من منازل السائرين إلى ا لله والمسافرين إلى حضرته، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء، ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن والقصور"[1] ومن كان شجاعاً برأي حجة الإسلام فعليه تجاوز هكذا حج ليفرد القصد إلى ا لله زاهداً فيما سواه، وبين هذه المقامات يكون السفر لا لترى بعينيك شيئاً من عالم الشهادة كالكعبة وأمثالها وإنما لتكون على الكشف والمشاهدة أو العيان.

بل ويقرر الغزالي أيضاً أن الحج غير جائز لمن أصبح قلبه عامراً با لله من أهل التصوف قائلاً: "فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أُمرت الكعبة أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء"[2]، وهكذا أيضاً أصبح من الجائز برأيه الحج إلى الأولياء أو إلى قبورهم، طالما أن أقطار السموات تطوف حول قلوبهم. ولا حج إلى الكعبة برأيه إلا للعوام والمحجوبين، وإن فعل الصوفي هذا في بداياته فعليه أن يستغفر ا لله من هكذا ذنب وإلا فلا رقي له في مقاماته.

والشعراني الذي ارتدى جلود التماسيح والدببة لربط التصوف بالإسلام يقول هو الآخر: "الكامل تصير عباداته روحانية لا جسمانية، فرجوعه إلى الكشائف من أصعب الأمور عليه إلا أن يؤمر بذلك"[3]،

---

[1]-ص ٢٤٧ جـ٢ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٢٤٧ جـ٢ نفسه.

[3]-ص ١١٧ جـ٢ الكبريت الأحمر.

من الله مباشرة. ولن يؤمر بذلك حتماً لأن إلهه بالقطع ليس هو إله المسلمين الذي كلف محمداً(ص)وهو في أعلى كمال له.

والشيخ على ولده "سئل رضي الله عنه عن مريد ادعى انه شهد كمال استاذه ثم أراد السفر عن حضرته لزيارة مكة أو المدينة"[1] فهل يجوز له ذلك؟ فقال: "وكيف يشتغل عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وضعه للناس"[2]. إذن فإلى قلب شيخه الذي هو بيت الله يتجه في سفره لا إلى بيت من الحجر وضعه الله للعوام وجهلة الناس.

أما الشيخ عبد الغني النابلسي فقد أوَّل الأشواط السبعة ورمي الجمار برمي الصفات السبع المذمومة للنفس[3]، وأوَّل الركن بـ "ركن العلم بالله-. والحجر الأسود بالنفس الانسانية"[4] والاحرام بخلع الشهوات[5] وابن عربي أوَّل البيت العتيق بالقلب قائلاً عن القلب: إنه "البيت العتيق"[6]. وعن المقارنة بينهما يقول:

"قلت عند الطواف كيف أطوف وهو عن درك سرنا مكفوف
-.وعلمت أن الطواف بالبيت كالصلاة على الجنازة"[7]

"وهذا جماد لا يحس ولا يرى وليس له عقل وليس له سمع"[8]

وما هو برأيه إلا كصنم تماماً كالذي قالته رابعة من قبل.

---

[1]-ص ٢٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٢٨ نفسه.

[3]-ص ٢٨ نفسه.

[4]-ص ٢٠ نفسه.

[5]-ص ٧٧ من التصوف الاسلامي وتاريخه.

[6]-ص ١٠٩ جـ٤ ف ٤٧٥ الفتوحات المكية.

[7]-ص ٤٧ جـ ف١ نفسه.

[8]-ص ٤٨ جـ١ ف١ نفسه.

وأخيراً فهل ترى يا شيخ ابراهيم من تلاؤم بين قوله عز وجل "وسعني قلب عبدي المؤمن" وما آلت إليه شؤون التصوف؟ والغريب إن لاحظت أن هذا الحديث مشروط بالإيمان لا العيان، ولكن لا تساؤل فسلّم تسلم! أما إن أردت الاحتجاج عليَّ بأن ما سردته ليس إلا أمثلة انتقائية، أو ربما هي أخطاء شخصية لهذا الرجل أو ذاك. فاعلم: ان هذه الحجة مرفوضة، وناهيك عن عجزك في تكذيب كل من لحقته نقيصة من هذه الأخطاء، عليك أن تعلم أن هذه الأمثلة التي لم أسرد منها إلا اليسير اليسير عن أهل التصوف لم تكن في سيرهم وكتبهم على الحقيقة إلا التفسير الميداني أو العملي للأصول والمبادئ التي آمنوا بها. فإفراد القصد إلى الله، والزهد فيما سواه سبحانه هما أصل واحد قد آمن به كل من أتخذ التصوف، وبهذا الأصل كما ترى قد تم تجاوز التكاليف لربطها بالقلب أو الباطن، حيث لا قصد ولا سفر إلى الكعبة مثلاً لأنها من جملة ما سوى الله الذي يجب الزهد فيه. فالخطأ إذن في الأصل، في المبدأ، فإفراد القصد بتعميم الزهد خطأ، والخطأ الصوفي خطأ منهجي، وإن لم تدرك مبادئ المنهج يا شيخ ابراهيم فسوف تبقى أبد الدهر كحاطب ليل لا يدري أفي يده أغصان أم ثعبان.

"الظاهر والباطن" أصل صوفي، ولكل شيء ظاهر وباطن على الاطلاق، وبالتأويل يكون إخضاع الظاهر للباطن الذي فيه الحقيقة. وبهذا الأصل وضعوا "القلب" مثلاً كباطن أمام "الكعبة"، وبه وضعوا "الحقيقة المحمدية" كباطن لـ "محمد" وبه وضعوا "الفهم" أو "قرآن اللوح المحفوظ "كباطن للقرآن وهكذا دوماً دَيْدن الباطن مع العقائد والأشياء .

الوصول إلى مقام "الجمع" غاية الأصول وكل السلوك وقد يكون الجمع كومضة للمبتدىء ولكنه سيكون كل العمر بالنسبة للواصل، وبهذا المقام تكون الشريعة الأخرى التي تتلاءم مع زوال الفرق بين الخالق والمخلوق، ومن هذا المقام يزعم الصوفي الألوهية، وبه يزعم خلع النعلين حيث لا تكاليف مع الجمع أو طالما لا قيام لها إلا بالفرق. فاحذر يا شيخ ابراهيم، وسوف أكررها تارة أخرى: إن الخطأ الصوفي خطأ أصول وخطأ منهجي لا أخطاء زلات وهفوات فاعلم هذا يرحمك الله.

-الآذان والجَمْع:

الآذان تأيه أو نداء، والتأيه يعني الفرق والمسافة ولهذا مثلاً كان الشيخ ابراهيم بن عصيفير الذي كانت الكرامات تجري بين يديه مذ كان صغيراً "يتشوش من قول المؤذن ا لله أكبر فيرجمه"[1] بالحجارة، لأن النداء كما يقول ابن عربي بوعيه وبراهينه لا يجوز إلى للمحجوبين من أهل الفرق "فإن لم يشاهد إلا ا لله، ولم ير لغير ا لله عيناً، فلا يجب عليه التكبير-. "لأن" التكبير لا يعقل إلا بوجود الأغيار"[2] فالواصل إذن إلى الجمع الذي لا وجود فيه للأغيار لا يجوز بحقه الأخذ بتأيه أو نداء "ا لله أكبر" الذي يستخدمه المسلمون في الاذان. ويقول ابن عربي أيضاً: "النداء يُوْذن بالبعد والآذان دليل على عدم عموم الرشد-. فما شرع الآذان إلا لمن شغلته الأكوان، وما ثم إلا مشتغل لأنه بالأصالة منفعل"[3].

فالآذان حسب رايه لا يجب تعميمه إلا بانعدام الرشد بل ولم يُشرَّع أصلاً إلى للمحجوبين أصحاب البعد والفرق، الذين اشتغلوا بما سوى ا لله، حتى أصبح الآذان ميقاتهم. وأين هؤلاء من المستهلكين بالحضرة الذين ميقاتهم من ا لله حيث الحقيقة كما يقول: ما ثم إلا مشتغل لما يُسِّر له، والكل منفعل طالما لا فعل-إلا له سبحانه "ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً".

---

[1]-ص ١٤٠ جـ٢ الطبقات الكرى.

[2]-ص ٤١١ جـ١ ف٦٩ الفتوحات المكية.

[3]-ص٣٩٤ جـ٤ ف٥٥٩ نفسه.

أما "الواسطي" فقد نعت هو الآخر الشرعة التي تأمر بالتزام الطاعات والتكاليف ورؤية التقصير فيها "بالمجوسية"[1] لأنه أراد تركها لرؤية منشئها أو الآمر بها.

---

[1]-ص ٣٢ الرسالة القشيرية.

– الصوفي والوضوء:

الصوفي إن نام، فلا تجديد لوضوئه، لأنه لا ينام كما ينام الخلق، فهو الوارث، وإبراهيم بن آدهم، رفض تجديد الوضوء قائلاً: :كنت الليل كله جائلاً في رياض الجنة أحيانا، وفي أودية النار أحياناً أخرى، فهل في ذلك نوم؟"[1] وهل لأحد أن يكذبه أو يصدقه؟!

أما ابن عربي فقد استخدم مصطلح الوراثة للتحلل من تجديد الوضوء لأن النبي(ص) لم يجدده بعد نومه، أليس هو القائل(ص) "إن عيني تنامان ولا ينام قلبي-. ومن حصل له هذا المقام لم يُنقض وضوءه بالنوم كالشيخ ابن الربيع المالقي"[2] ،بل ومن "شروط الولي الكامل أن لا ينام له قلب"[3] وكل الأولياء عندها لا يجددون الوضوء بعد نومهم أو بعد استيقاظهم من النوم، هذا إن كانوا يتوضؤون قبله!! فالوراثة أصل، وارجوا ألا تكون من هؤلاء الورثة يا شيخ ابراهيم طالما نسبتها إلى نفسك على المنبر.

– الإمامة والتصوف:

أهل التصوف لم يشترطوا العلم لإمام الجماعة [4] وابن عربي جوز إمامة المرأة بالرجال قائلاً: "فمن الناس منّ أجاز إمامة المرأة على الاطلاق بالرجال والنساء وبه أقول"[5] والأغرب من ذلك أن العورة عنده ليست إلا السبيلين فقط!! وها هو يقول: العورة "عندنا

---

[1](ص)٤١١ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٣٢-٣٣ جـ١ الكبريت الأحمر.

[3]-ص ١٠٩ نفسه.

[4]-ص٤٢٥ جـ١ ف٦٩ الفتوحات المكية"

[5]-ص ٤٤٧ جـ١ ف٦٩ نفسه.

السوءتان فقط"[1] وحتى عند المرأة وها هويقول: "فليست العورة في المرأة إلا السوءتين"[2].

ولما اعترض المصلون خلف الشيخ بقاء بن بطو الذي أمَّهم على لحنه بالقرآن، ضربوا تلك الليلة بالجنابة عقوبة لهم، ولما نزلوا النهر للغسل جاء الأسد وجلس على ثيابهم حتى ايقنوا بالهلاك فجاء الشيخ بقاء ونحاه عنهم[3] وهكذا انتصرت الكرامة لجهل الصوفي وتلاعبه في أداء التكاليف، فالكرامة في التصوف ذات منطق برهاني قاطع وصدقها قاطع ولو جاءت لتعارض الشرع.

الصوفي لا يقيم الصلاة إلا كنقر الديكة، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي يقولان: "صلاة الأبدال خفيفة"[4] .

---

[1]-ص ٤٠٧ جـ١ ف٦٩ نفسه.

[2]-ص٤٠٨ نفسه.

[3]-ص ١٤٧ جـ١ الطبقات الكبرى.

[4]-ص ١٤٦ لطائف المننّ، ص١٦ جـ٢ الطبقات الكبرى.

– الصوفي وصلاة الجماعة:

ما الذي سيقوله الصوفي الهارب من المجتمع إلى العزلة والخلوة بصلاة الجمعة والجماعة؟

الصوفي على ذمة الشعراني لا يصلي الجماعة في المساجد اقتداء بالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[1] ولما عوتب الشيخ أبو الحسن البوشنجي على تركه صلاة الجمعة والجماعة قال: "إن كانت البركة في الجماعة فإن السعادة في العزلة"[2] والشيخ ابراهيم بن أدهم يقول في باب تفضيل العزلة: "إني لأتمنى المرض حتى لا تجب علي الصلاة جماعة، ولا أرى الناس ولا يروني"[3]، وهو بهذا وارث لابراهيم عليه السلام القائل: "كلهم عدو لي إلا رب العالمين"، والشيخ محمد العدل مضى عليه "سنة كاملة لا يحضر جمعة ولا جماعة"[4] بحجة كونه على الجمع، أما الشيخ محمد عنان فقال عن الجمعة: "هذا مجمع الناس وأنا استحي من دخولي فيه"[5] أما الشيخ بركات الخياط الغزير بكراماته فإنه لما ألح عليه القوم بالذهاب إلى الجمعة "خرج معهم إلى جامع المارداني، فوجد في الطريق مسقاة الكلاب، فتطهَّر منها، ثم وقع في مشخة حمير ففارقوه -."ثم قال لأحد مريديه": والله يا ولدي مسقاة الكلاب إنما هي مطعمهم ومشربهم وكذلك مشخة الحمير إنما هي صورة اعتقادهم النجس [6] فالمعتقد بإقامة الجمعة حسب رأيه مشرك ونجس. ولكنه من

---

[1]-ص ٥٢ - ٥٣ جـ١ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٢٨٩ تلبيس ابليس.

[3]-ص ٧٠ جـ١ الطبقات الكبرى.

[4]-ص ١٢٦ جـ٢ نفسه.

[5]-ص ١٢٠ جـ٢ نفسه.

[6]-ص ١٤٤ جـ٢ نفسه.

اعتقاده بانعدام التمييز بين الطاهر والنجس وفق توحيد لا موجود إلا الله كان وضوؤه من مسقاة الكلاب وولوغه في مشخة الحمير.

أما الشيخ أمين الدين وبعد أن وقع في ميضأة الجامع أمَّ الصوفية وصلوا خلفه "المغرب وثيابه تخر ماء"[١]، وابن عربي يقول عن الصوفي: "فصلاته مقبولة سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل، والأولى إزالتها"[٢]، أما الشيخ ابراهيم العريان فقد "كان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً"[٣].

الصوفي لا يخرج لصلاة الجمعة إلا إن أمره الله بالخروج فالشيخ عتيق بعد أن رفض دعوة أحدهم بالخروج لصلاة الجمعة قال له بعدئذ: "يا بني! بعد رواحك، قال لي الحق سبحانه: اخرج للناس، اعمل لهم تسنيما، فامتثلت الأمر وها أنا خارج"[٤].

فقد أمره الله إذن بالخروج ليعمل للناس تسنيماً لا ليصلي الجمعة، فهكذا هي أوامر الله التي يجب أن تطاع، بغض النظر عن الشرع وما فيه من أوامر ونواهي.

الصوفي المنسجم مع مبادئه، لا يحب الجماعة مهما كان شكل اجتماعها، لأنها في أبسط الأحوال ظاهر لا حقيقة فيه أمام الباطن الذي فيه كل الحقيقة، وباطن هذا الظاهر بالطبع يتمثل بالخلوة التي معناها الباطني العيش مع مجتمع الكائنات العليا، وها هو ابن عربي مثلا لا نراه إلا وهو المجاهد لتأويل ما تعنيه الجماعة لمساواتها بخلوة الفرد وفي هذا يقول: إن "ظاهر الانسان جماعة، فهو في نفسه صف وحده"[٥]

---

[١]-ص ١٤٦ جـ٢ نفسه.

[٢]-ص ٤٠٩ جـ١ ف٦٩ الفتوحات المكية.

[٣]-ص ١٤٢ جـ٢ نفسه.

[٤]-ص ٦٢ - ٦٣ سير الأولياء.

[٥]-ص٤٥٢ جـ١ ف٦٩ الفتوحات المكية.

وعندها فكل مصلٍ فهو بأعضائه جماعة، فصلاة المنفرد جماعة كما هي الجماعة التي تضم أكثر من رجل، انه صف وحده، فكيف لكم إذن أن تتهموه بعدم أدائه لصلاة الجمعة والجماعة. واعلم كما يقول ابن عربي أن "أقل ما ينطلق عليه اسم الجماعة إثنان: يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي-. وكلٍ من يصلي مع ربه بلا شك فهو في جماعة بلا شك، ويكون الحق إماماً والعبد مأموما"[1].

فصلاة المنفرد وفق الخبر حسب ابن عربي دائماً مشتركة بين الله والعبد، وهذا يعني أنها جماعة مؤلفة من الله الإمام والصوفي المؤتم به، وأينما صلى الصوفي وكيفما صلى فهو دائماً على جماعة إما مع الله أو بأعضائه، وما ذنبه إن رآه المحجوبون فرداً؟ ثم أيهما أفضل في الدلالة؟ صلاة المنفرد أم الصلاة في جماعة. بالعكس فصلاة المنفرد برأي ابن عربي هي الأفضل لأنها "تعطي مالا تعطيه الجمعة من العلم بأحدية الحق التي لها الغنى"[2]. فصلاة المنفرد إذن تشير إلى الأحدية أما صلاة الجماعة فتشير إلى الكثرة والشرك وأين عندها التوحيد من الشرك وبهذا التأويل تكون صلاة الجماعة قد سقطت عن الصوفي المميز بتوحيده.

بل واسقط ابن عربي أيضاً صلاة الجماعة بحجة أن السالك الصوفي دائماً على سفر من مقام إلى مقام قائلاً: "لأكابر من أهل الله فهم المسافرون على الدوام فمن المحال عليهم الاستيطان"[3]. وهذا المسافر "حاله يقتضي أن لا تجب عليه الجمعة"[4]

---

[1]-ص ٤٤٣ جـ١ ف ٦٩ نفسه.

[2]-ص٤٥٧ جـ١ ف٦٩ نفسه.

[3]-ص ٤٦١ جـ١ ف ٦٩نفسه.

[4]-ص ٢٩٥ جـ٢ ف١٧٦ نفسه

الصوفي وبالمعنى الخاص دائماً في صلاة، فكل أحوالـه صلـوات، ولهذا لا تراه مهتماً بطقوس صلوات الجوارح، فالتكاليف علـى الحقيقـة حسب رايه للقلب، وهو في حضور دائم مع ربـه، فـالولي كمـا يقـول الدباغ: "لا يمكن أن يترك الولي الصـلاة"[١]. و "كـل عمـل مُشـرع - كما يقول ابن عربي - فهو صلاة"[٢]. "ومن رأى روح الصـلاة. وهـو الحضور مع الله دائماً ومناجاته كانت جميـع أفعالـه صـلاة"[٣] والأوليـاء كما يقول ابن عجيبة "تصرفاتهم كلهـا عبـادة نومهـم عبـادة وأكلهـم عبادة"[٤]، ومن الجهل دعوتهم للمسـاجد، أو لإقامـة الشـعائر الجسـدية للصلوات، لأن عبادتهم ذاتية شأنهم في ذلك شأن الملائكة!!.

---

[١]-ص ٢٨٨ جـ٢ الابريز.

[٢]-ص ٢٩٥ جـ٢ ف١٧٦ الفتوحات المكية.

[٣]-ص ٣٨٥ جـ١ ف ٦٨ نفسه.

[٤]-ص ٩٤ جـ٢ إيقاظ الهمم.

- دروب الصوفي في تركه للصلاة:

لقد أشار الصوفي في منهجه إلى الكثير الكثير من تلك الدروب أو المقامات التي لا تكاليف معها، منها ما يلي:

١ - الذكر أعظم من الصلاة:

الصوفي يفصل بين الصلاة والذكر الذي فيها، فالصلاة كعمل بالجوارح ليست مطلوبة لذاتها، إنها وسيلة الذكر، فالذكر هو الباطن المطلوب من الصلاة وهو روحها، ومن كان على الذكر فلا صلاة عليه بالجوارح، والرسول(ص) كما يقولون سها عن الصلاة وما اعتبرها والكلاباذي يقول: "قالو - أي أهل التصوف - في سهو النبي(ص)في صلاته: إن الذي شغله عن صلاته كان اعظم من الصلاة لقوله: ﴿وجعلت قرة عيني في الصلاة﴾ فأخبر أن في الصلاة ما تقر به عينه، ولم يقل جعلت قرة عيني الصلاة"[١]. فقرة عينه(ص)إذن في الذكر الذي في الصلاة لا في الصلاة التي هي عمل وجوارح، فالذكر باطن العمل وهو المطلوب للعبادة، ومن وصل إليه فلا ضير في تركه للظاهر، والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "اذكره حتى يحط عنك أوزارك، تبقى خالياً عن وزر، تصير طاعة بلا معصية"[٢].

أما ابن عربي فيستخدم الذكر كحجة من باب آخر ليقول: "ولذكر الله أكبر أحوال الصلاة-. والأكابر-. هم في صلاتهم دائمون، وأن اكلوا وشربوا ونكحوا -. فإن المصلي يناجي ربه"[٣].

فمن كان مع الذكر أو المناجاة، فهو في صلاة دائمة، حتى وهو على النكاح، حتى وإن أكل وشرب في رمضان "ولذكر الله أكبر.

---

[١]-ص ٧١ التعرف لمذهب أهل التصوف.

[٢]-ص ٢٥٢ الفتح الرباني.

[٣]-ص ٥٤٢ جـ١ ف ٦٩ الفتوحات المكية.

يعني الذي فيها أكبر من جميع أفعالها"[1]. فالذكر هو المهـم، هـو اللـب، انه اعظم ما في الصلاة، وليس مـن عـاقل يختار القشـر عـن اللـب، أو العمل عن الذكر "والعمل - كما يقول ابـن عربـي - مـا هـو عبـادة، فالعمل صورة والعبادة روحها، فالعبادة مقبولة عند ا لله على كل حـال اقترنت بعمل أو لم تقترن"[2].

وعبادة الذكر هذه أو عبادة التأمل لا علاقـة لها لا بالشـعائر لا بالكم لا بالكيف، فـلا وضـوء، ولا ركـوع ولا سـجود ولا شـيء إلا الحضور القلبي مـع ا لله، إنهاكمـا يقولـون عبـادة الإحسـان "اعبـد ا لله كأنك تراه-. ولولا حصولها - أي الرؤيـة - مـا قرنهـا "ص" بالعبـادة دون العمل"[3]، وأين عبادة الإحسان، عبـادة التـأمل الـتي كلهـا تركـيز لرؤية ا لله أو لرؤيته من الجوارح التي تشتت الذهن أو التأمل، واعلم أن الرسول(ص)ماسها عن صلاة الجوارح إلا ليعلمنا العبادة علـى الذكـر، أو التأمل، أو الإحسان.

وابن عجيبة باعتباره أحد اولياء الإحسان يقول: "إن قـرة العـين بالشـهود"[4]، لا بالجوارح والعمل فالرسـول(ص)"لا تقـر عينـه بـالصلاة وإنما تقر عينه بربه-. "ولذلك" رفع همته عن الكونين، وخلع نعله مـن الدارين"[5] و "من كان يعبد ا لله كأنه يراه فلا يمكن أن يلتفت إلى رؤية ما سواه"[6]، و"قرة عينه(ص)إنما هي با لله لا بالصلاة"[7].

---

[1]-ص ٦٥٠ جـ١ ف٧١ نفسه.

[2]-ص١٢٣ جـ٣ ف١٣٣ نفسه.

[3]-ص ٥٣٩ جـ٣ ف٣٨٨ نفسه.

[4]-ص ٢١٢جـ٢ ايقاظ الهمم.

[5]-ص ٢١٤ نفسه.

[6]-ص ٢١٥ نفسه.

[7]-ص ٢١٦ نفسه.

فالجوارح والعمل كل ذلك برأيه مما سوى الله. ولهذا فقد خلع الرسول نعليه عن ذلك كله، بل وعن الدنيا والآخرة باطلاق. ولكن لا من حيث هو معلم للعوام فحسب كما يقول أهل التصوف وإنما على الباطن الذي حازه(ص)في مراحله المتقدمة، فالباطن هو الأصح، هو الحقيقة، وبالباطن يكون الذكر والاحسان، والتأمل وإلى ما هنالك والمعادلة عندها: اعبد الله كأنك تراه = الزهد فيما سواه على الاطلاق. فأعان الله المريد، إن كان يجهل ما تعنيه المراتب، إن كان مسلماً بعصمة وحفظ الأولياء، إن كان قارئاً لسلوكهم وكتبهم على البلاهة والأسرار. فتحرر أيها المريد ولا تتهم عقلك، فالإسلام أنصع من ذلك، فاعبد الله كما أمر، واعمل الصالحات، و لم يكن الرسول يعلّم الكافر القادم للإسلام بأكثر من ذلك، ومن آمن بالخبر الالهي عن طريق النبوة، فله الغنى عن كل ما في العيان من ظن وبهتان.

واعلم أيها المريد أنك أنت المشكلة!!فالمشكلة الاسلامية مع التصوف كلها محصورة في يقظتك من المخدِّر الذي سلب عقلك، حتى أصبحتَ الترس البرىء الذي يختبىء وراءه ذوي العقائد التي تجهلها، فلا تروِّج بأحوالك، لأن المسألة أوسع من أن تنحصر ببراءتك.

٢ – لا تكاليف مع التوحيد:

التوحيد الصوفي والتكاليف دائماً لا يلتقيان، فابن عطاء الله السكندري انطلاقاً من توحيد لا فاعل إلا الله يقول: "إلهي كيف اعزم وأنت القاهر، أم كيف لا أعزم وأنت الآمر"[١]، أي انه في حيرة بشأن التكاليف، فكيف يأمر بها سبحانه ولا فاعل سواه "وقيل قام الشبلي يوماً يصلي، فبقي طويلاً، ثم صلى، فلما انفتل عن صلاته قال: يا ويلاه إن صليت جحدت، وإن لم أصل كفرت، ثم أنشد:

"الحمد لله على انني كضفدع يسكن في اليم

إن هي فاهت ملأت فمها أو سكنت ماتت من الفم"[٢]

فالرجل حائر متردد ما بين التكاليف ويقين توحيده الذي لا يجيزها حتى أصبح كالضفدع، إن تكلم كفر، وإن سكت تعذب بالكتمان، كتمان الحقيقة. وابن عربي أيضاً قد حيرته هذه المسألة حتى قال: "فرمانا النظر في الحيرة"[٣]، فـ"إن كان العمل له سبحانه فأين العبد، وإن كان للعبد فقد أشرك نفسه- فعلى كل حال لا بد منك ومنه"[٤]. فهو تعالى الفاعل فيك لا بد من ذلك. وبحيرته. قال ابن عربي أيضاً: "فإن الشرع سماه كافراً بمجرد الترك "ترك التكاليف" وما أدري ما أراد!"[٥]: فكيف يكون الترك وما ثم سواه في التوحيد، وهذا برأيه شرك لأن فيه إثبات الآخر أي المتروك إلى جانب الله "هذا شرك"[٦]، و "من كان مشهده أن لا قدرة له، كأمثالنا-. انتقى عنه

---

[١]-ص ٢٥١ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[٢]-ص ١٣٧ الترعب لمذهب أهل التصوف،(ص)٣٩٩ دراسات في التصوف الإسلامي.

[٣]-ص ١٩٧ جـ٤ ف٥٥٨ الفتوحات الممكية.

[٤]-ص ١١جـ٤ ف٤٠٧ نفسه.

[٥]-ص٥٩٩جـ١ ف٧٠ نفسه.

[٦]-ص٣٦١ جـ٤ ف٥٥٩ نفسه.

الحكم بـالصوم"[1] أي مـن آمـن بتوحيـد لا فـاعل إلا الله نافيـاً القـدرة والفعل عن نفسه فلا تكاليف عليه.

والشيخ عبد الغـني النابلسـي يقـول مـن بـاب اقـتران التكـاليف والأوامر والنواهي بالشرك: "ليسـت طريقتنـا "في العبـادة" عمـلاً، لأن العمل عامل ومعمول له وهي ثلاثة: عمـل وعـامل ومعمـول لـه، فقـد فات التوحيد مع التثليـث"[2] ، والمقيـم للتكـاليف حسـب رايـه "يعتقـد ثلاثة أشياء موجودة على السواء-.فـالله تعـالى عنـده واحـد مـن هـذه الثلاثـة. قـال تعـالى: "لقـد كفـر الذيـن قـالوا إن الله ثـالث ثلاثـة"[3] فالتكاليف أو "العبادة كما يقول ابـن عربـي – تنـاقض التوحيـد فإنهـا تطلب عابداً ومعبوداً"[4] .

وهكذا إذن أصبح المقيـم للتكـاليف بمـا فيهـا مـن صـلاة وحـج وزكاة كافراً ومشركاً بالله. وبهذا أخيراً تكـون التكـاليف بمـا فرضهـا الله جل جلاله قد دحرت التوحيد الصوفي، كما دحرت زعـم وصـول أولياء التصوف لأبعد مما وصـل إليه الرسـول ص. فـاحذر أيهـا المريـد واعلم انه لا تصوف بلا جهل بالرسول(ص)، إلا بوجوب الجهل المعني بالتخلي عن العقل والشرع على السواء.

---

[1]-ص ٦١٧ جـ١ف٧١ نفسه .

[2]-ص ١٥٨ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[3]-ص ١٠٨ نفسه.

[4]-ص٤٨٩ جـ١ ف٦٩ الفتوحات المكية.

٣ – لا تكاليف مع الفناء والوصول:

الفناء قمة السفر الصوفي، وبه يكون الجمع، ولا وصول لهذا المقام إلا ببرهان وحدة الشهود من حيث أنه لا مشهود إلا الله بمعنى انعدام رؤية ما سواه، ولما كان هذا الشهود يعني الفرق فلا بد للتوحيد من إزالته عندها يكون الجمع أو الوصول لوحدة الوجود بما تعنيه من حلول واتحاد أو بما يعنيه حديث "صرت يده" وهذه المعاني حسب زعمهم. عندها لا فاعل ولا موجود إلا الله، وببرهان تلك التجربة تم تعميم هذا التوحيد على الوعي حتى أصبح هو المعتمد في تقييمهم للتكاليف أو في نظرتهم للثواب والعقاب والأسباب أو في نظرتهم لاستواء الطاعة والمعصية، أو في نظرتهم لانعدام التمييز بين الطاهر والنجس، أو في نظرتهم التي تساوي بين الخير والشر أو الكفر والإيمان. وها هو الغزالي يقول: أن الواصل لحضرة الربوبية من حقه القول "ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله –. فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها"[١]، أي أن توحيد لا فاعل ولا موجود إلا الله مأخوذ من هذه الحضرة، فوحدة الوجود إذن ذات شأن عظيم في حقيقتها ومصدرها، إنها الجنة، ومن وصل حسب رأيه إلى مقام "مالا عين رأت" أي إلى مقام الجنة وهو في دنياه وعلى معراجه في المقامات والسلوك فلا تكاليف عليه لأنه لا عمل ولا تكاليف على أهلها أو الواصلين إليها بمقاماتهم. ولكن كما يقول الغزالي :"إذا بلغ الرجل هذا العلم الغاية "أي العلم بوحدة الوجود" رماه الخلق بالحجارة، أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً أو كفراً – فهي قرة العين"[٢] حيث لا قرة للعين إلا بالذكر المفصول عن

---

[١]–ص ١٥ جـ٣ إحياء علوم الدين.

[٢]–ص ٣١١ جـ٤ إحياء علوم الدين.

الارتباط ما بين الجوارح أو الأعمال والتكاليف. وابن عربي يقول: ان العارف "إذا وصل إليه -تعالى- سقطت عنه الأعمال المشروعة، وإنه غير مخاطب بها مع وجود عقل التكليف عنده"[١] ولكن آلا تلاحظ أيها القارىء كيف يقول ابن عربي بسقوط التكاليف مع وجود عقل التكليف. وفي هذا دحض لمن استخدم الفناء بمعنى زوال العقل والشطح، وهو ما عيناه بالضبط بتجربة الفناء من حيث هي البرهان للوصول إلى التعميم الواعي.

وهناك أيضاً مقام يسمى مقام "الرؤية الخيالية" الذي فيه الاشارة للتوحيد فمن حازه كما يقول ابن عربي "لا تكليف عليه"[٢]، وعند حديثه عن منزل "ترادف الأحوال" أو التلوين يقول: "إن فيه إباحة التشريع بالأمر والنهي"[٣]، والشيخ داود الكبير يقول: "العارف يتلون في اليوم والليلة مائة مرة والعابد يقيم على حالة واحدة كذا وكذا سنة. وذلك لأن العارف مائل إلى دائرة التصرف والعابد مائل إلى دائرة التكليف"[٤] فالعارف المؤمن إذن بأن الله هو المتصرف والفاعل، سيكون تلوينه على معنى "كل النواصي بيديه" سبحانه، عندها لا إثم عليه في ترك التكاليف. أما العابد صاحب الفرق فهو أبداً على التكاليف لزعمه الفعل والقدرة وهو على هذا طالما له الجهل بتوحيد لا فاعل إلا الله

وابن عجيبة يقول: "إذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله فلا نقص ولا كمال"[٥]، أي عندها لا تميز بين الطاعة والمعصية.

---

[١]-ص٢٥١ جـ١ ف٤٥ الفتوحات المكية

[٢]-ص٢٧٤ جـ ف٥١ نفسه.

[٣]-ص ٢٢جـ٣ ف٣٠٥ نفسه.

[٤]-ص ١٥٩جـ٢ ايقاظ الهمم.

[٥]-ص١٥٩ جـ٢ نفسه.

والكلاباذي يقول عن صاحب الفناء: إن الله "يُسقط عنه التمييز-. والحق يتولى تصريفه-. وهو العصمة، وذلك معنى قوله :كنت له سمعاً وبصرا"[١]، "والقطب سيدي محمد بن وفا يقول:

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشاء فعلمك لاجهل وفعلك لاوزر"[٢]

والنابلسي يقول على لسان ابن الفارض: إن "العارف إذا تحقق بفناء نفسه-. تساوي عنده تمام الحج والوقوف بعرفات"[٣].

أما عن حجة رد الفاني لإقامة التكاليف فها هو ابن عربي يقول بصراحة تامة: "وأما العالي من الرجال يحتالون في ستر مقامهم عن أعين الناس – فيجمعون بين الدعوة إلى الله وبين ستر مقامهم"[٤].

أي أن قضية الرد في حقيقتها ليست إلاحيلة من الحيل التي يتقي بها الصوفي إنكار المنكرين عليه، ناهيك عن العودة للمقام الأدنى من الأشياء المحالة في التصوف إلا للضرورة المنهجيةأو لما تعنيه التقيّة.

---

[١]-ص١٢٣ التصرف لمذهب أهل التصوف.

[٢]-ص٢٨٣ قلادة الجواهر،

[٣]-ص ٤٤ الصوفية في شعر ابن الفارض.

[٤]-ص٢٥٢ جـ١ ف٤٥ الفتوحات المكية.

٤ – لا تكاليف بعد اليقين:

يقول الله عز وجل: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ من حيث أن الموت يساوي اليقين، أما الصوفي فيقول: لا يقين ولا حق اليقين إلا في الباطن، إلا في الكشف والمشاهدة، أو قل العيان، أو قل اليقين المعرفي. ومن كان له هذا فقد سقطت عنه التكاليف ولهذا قالوا: أن التكاليف من حيث هي باب وخل وبقل لا تصلح إلا للمريدين والعوام حتى يكونوا على اليقين أو الكشف.

والشعراني يقول مفسرا معنى الآية: "وأما اليقين فهو من يقن الماء في الحوض إذا استقر وذلك إشارة إلى حصول السكون والاستقرار والاطمئنان بزوال التردد والشكوك والوهم والظنون"[1] ، وبالطبع لا زوال للشكوك والأوهام إلا بيقين المعرفة. أي فاعبد ربك بالتكاليف حتى يكون لك زوال التردد والشكوك وهو معنى اليقين عنده. والمتصوفة إجمالاً ساووا بين الموت والفناء بحديثهم المزعوم "موتوا قبل أن تموتوا" ليقطعوا على أهل السنة تفسيرهم لليقين بالموت، والموت عندها هو الفناء المؤدي ليقين المعرفة.

اليقين هو الكشف والنابلسي يقول: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" يعني إذا جاءك اليقين فلست بعابد حينئذ"[2] بل ويقول: "ومحمد (ص)، اليقين أتاه، فانتهت عبادته المأمور بها(ص)، وانتقل إلى الشكر"[3]، وابن عربي يقول: من كان له يقين الكشف أي فإذا جاء

---

[1]-ص١١ جـ١ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ١٥٨ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[3]-ص ١٠٩ نفسه.

الأجل لمسمى وفك العمى وابصر الأعمى جاء التعريف وزال التكليف"[1] وبالنتجية فلا تكاليف مع اليقين الصوفي.

[1]-ص ٣٨٦ جـ٤ فـ٥٥٩ التفوحات المكية.

٥ – لا تكاليف مع المحبة:

هنا يجب أن نذكّر المريد بحديث النوافل، أي بحديث "ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت يده-." فهنا نرى أن الحب مشروط بالنوافل، أو أن الحب من نتائج القيام بالنوافل. أما ابن عجيبة صاحب العبادة على طريقة الإحسان أو التأمل مثلاً فيفصل ما بين الحب والتكاليف قائلاً: إن الناس نوعان: "قوم أقامهم – ا لله– لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته"[١]، فأهل العبادة شيء، وأهل المحبة شيء آخر. والنابلسي يقول: "وأهل المحبة دائماً مقبلون على ربهم-. فلا يتصور لهم عمل أبداً على كل حال"[٢] لا قياماً بالتكاليف ولا غير ذلك، و "المحبة ليست كالعبادة يلزم الاشتغال بها الإعراض عن المعبود:"[٣]، فالحب والتكاليف حسب رأيه لا يجتمعان وابن عربي يقول: "بأن الولي ليس عليه تكليف-. لأن المحب غير مطالب بالقيام بالآداب-. إنما يطالب بالأدب من كان له فعل"[٤]. أي من كان على الفرق وعقيدة السبب.

ليس على المحب إذن من ذنب، ولقد استنطق المتصوفة حديثاً نسبوه للرسول(ص)يقولون فيه كما يروي القشيري :"إذا أحب ا لله عبداً لم يضره ذنب"[٥] ، لأنه عندها من الواصلين بالمحبة إلى مقام "افعل ما شئت فقد غفرت لك" وهو مقام من عُجلت له الجنة في دنياه "وفي قوت القلوب للمكي-. إنه إذا أحب ا لله عبداً لم يضره ذنب-. وفي كتاب القصد للشاذلي يبلغ الولي مبلغاً يقال له: أصبحناك السلامة

---

[١]-ص ١٧٩ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[٢]-ص١٥٩ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[٣]-ص ١٥٩ نفسه.

[٤]-ص ٤٨٩ – ٤٩٠ الرومية عند محيي الدين ابن عربي.

[٥]-ص ٤٥ الرسالة القشيرية.

واسقطنا عنك الملامة افعل ما شئت"[1]، وكذلك قال ابن عربي بهذا المقام إعتماداً على الشفاعة الشاملة للرسول(ص)[2].

الدلال من الحب، ولا تكليف مع الدلال، والنابلسي يقول: دللك : أي جعلك في مقام الادلال عليه-. وزال عنك تعب التكاليف براحة الدلال"[3] و "الاصطلام" هو الآخر من الحب، والشعراني يقول: "فلا كلام لنا معه "أي مع المصطلم" لزوال تكليفه حال اصطلامه"[4]، "والخلة" أيضاً هي إحدى مقاماتهم في علاقتهم با لله وهي حب، ومن سماتها"كمايقول أولياء التصوف عدم الكلفة بينهما"[5]. "والصوفي إذا بلغ مرتبة الخلة بينه وبين ا لله سبحانه، سقطت عنه التكاليف واستباح لنفسه مالا يبيحه ا لله تعالى لغيره من الناس"[6]. ولكن ما أفضل العبادات التي يرشدنا إليها الصوفي نحن المسلمين؟ فالشيخ أبو الفوارس الكرماني "كان رضي ا لله عنه يقول: ما تعبَّد متعبِّد بأكثر من التحبب إلى أولياء ا لله تعالى"[7]، ومن لا شيخ صوفي له فشيخه الشيطان.

إلا أن الحب، حب ا لله، بتوحيد "لا إله إلا ا لله محمد رسول ا لله" مشروط بالطاعات وبحب الرسول، بل ولا فصل في الإسلام بين الحب وإقامة التكاليف، أو بين الحب والطاعات أو الأعمال.

---

[1]-ص ٢٣٩ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[2]-ص١٢٧ جـ٢ ف ٧٣ الفتوحات المكية.

[3]-ص ١٦٩ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[4]-ص ٧ جـ١ الطبقات الكبرى. و "الخلة" إحدى مقاماتهم.

[5]-ص٥٨ الصوفية في نظر الاسلام.

[6]-ص٢٦٦ نفسه، ص٦٣ رابعة العدويه.

[7]-ص ٩٠ جـ٢ الطبقات الكبرى.

٦ – لا تكاليف مع المعرفة :

العارف هو الذي عرف الله، هو الذي عرف حقائق العقائد وأسرارها. وبهذه المعرفة حسب رواية ابن عربي قال أبو يزيد البسطامي "للحق: لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك"[١]؛ وذات ومرة أخرى "سمع أبو يزيد رجلاً يقول: عجبت ممن عرف الله كيف يعصيه. فقال رضي الله عنه: عجبت ممن عرف الله كيف يعبده"[٢] والشيخ داود الكبير "كان يقول: فما هناك بعد معرفته شر"[٣]، وكيف يكون الشر أصلا؟ وكل المعرفة الصوفية تقول: إنه لا فاعل إلا الله ولا موجود سواه؟! وليس من معرفة في التصوف أبعد غوراً من معرفة هذا التوحيد الذي عليه تدور كل شؤون أهل التصوف. والشيخ أبو الحسن الشاذلي يقول: "اعرف الله وكن كيف شئت"[٤] فليس في معرفته من طاعة ومعصية، حتى أن الشيخ رويم قد ساوى بين العبادة أو التكاليف والمعرفة الصوفية حيث ان معنى قوله تعالى "﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾. قال ابن عباس: إلا ليعرفون"[٥]، فالمعرفة برايه هي العبادة التي خلق الله الخلق لأجلها.

ومن وصل بعد السفر، أو من أصبح من أصحاب المعرفة، فقد حقَّ له كما يقول ابن عربي خلع نعليه "وقيل لموسى عليه السلام اخلع نعليك-. ومن وصل إلى المنزل خلع نعليه"[٦] حيث لا نعلين إلا للمسافر "فمن كان حاله السفر دائماً كيف لا يقال له البس نعليك، أي استعن

---

[١]-ص٤٨ جـ٤ ف ٤٣٦ الفتوحات المكية.

[٢]-ص ٣٤ أضواء على مسلك التوحيد.

[٣]-ص ١٩٩ جـ١ الطبقات الكبرى.

[٤]-ص ٢٠٠ لطائف المنن.

[٥]-ص٣ الرسالة القشيرية ص٢٤٢ جـ٢ ايقاظ الهمم. ص١٠ أضوا ء على مسك التوحيد.

[٦]-ص ١٩٢ جـ١ ف ٢٧ الفتوحات المكية.

في سفرك بالكتاب والسنة"[1] أما الواصل إلى الله أو إلى المنزل بعد السفر، أو العارف بأسرار الحقائق والتوحيد سينخلع عن الكتاب والسنة، ولهذا نراه مثلاً وقد قال: "مقام المعرفة لا يعطي الصوم"[2]. ولكن هل لاحظت أيها المريد أدب ابن عربي كيف ساوى بين النعلين مع الكتاب والسنة؟!.

والشعراني يقول: "اعلم أن طريق القوم على وفق الكتاب والسنة-. إنما كانوا رضي الله عنهم عالمين بأسرار الشريعة"[3] وربما من أسرارهم بالشريعة نعتوا الكتاب والسنة بالنعلين، والأغرب من ذلك قوله بأن الخلع مشروط بالخوارق، حيث يقول: "من ادعى أن بينه وبين الله تعالى حالةاسقطت عنه التكاليف الشرعية من غير ظهور أمارة تصدقه على دعواه فهو كاذب"[4]، أي أن من ظهرت الخوارق بين يديه، وزعم انها برهانه لاسقاط التكاليف فقد صدق في نسخه للشريعة الاسلامية بما فيها من أوامر ونواهي.

---

[1]-ص ١٩٣ نفسه.

[2]-ص ٦٣٧ جـ١ ف٧١ نفسه.

[3]-ص ٤٥ الأنوار القدسية.

[4]-ص ٤١ نفسه.

٧ – لا قربى بالتكاليف:

حديث النوافل كما رأينا، قد اشترط القربى بالنوافل أو التكاليف والطاعات على العموم، أما رابعة العدوية فكما راينا قد انتصرت للفقر كوسيلة أفضل من عبادات التكاليف في تحصيل القربى إلى الله، والنابلسي يقول: اعلم ان"العبادات والطاعات وان كانت مقبولة عند الله تعالى لا توصل إليه تعالى لأنها غيره"[١]، حيث لا سبيل إليه سبحانه إلا بالزهد في كل ما سواه. ولكن لا بأس بالتكاليف فالتكاليف إذن غير واجبة إلا للمريد المبتدىء الذي لم يدرك بعد أسرار الزهد وما يعنيه. وأبو يزيد البسطامي مثلاً بعد أن فضل الفقر على التكاليف يقول: "فها أنا معه على هذا العهد، فليس من ساعة إلا وتأتيني منه كرامة جديدة"[٢]، ولا كرامة مع العبادات الشرعية لأن التكاليف كما يقول أهل التصوف "عاقر ليست بولود". ولهذا لا ترى الصوفي إلا وقد تفنن بدروب الرياضات وإن خالفت صريح السنة والشريعة بحجة قهر النفس التي جعلها المعيار التشريعي الأوحد وابن عربي مثلاً يقول:

"أجوع ولا أصوم فإن نفسي تنازعني أجر الصيام"[٣]

وبعضهم أيضاً لا يصلي قهراً لنفسه، وآخر لا يحج لهذا السبب، وهكذا قل في كل شيء، وبهذه الرياضات وأمثالها بما فيها من مخالفة للشرع كان لهم الوصول إلى الله عز وجل حسب زعمهم. والعبادات من حيث هي انشغال بما سوى الله يعتبرها الصوفي من أشد العقبات أمام السالكين. والنابلسي يقول: "فالعبادات التي هذا شأنها ذنوب لا

---

[١]-ص ٩٧ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[٢]-ص ١٦٣ النور من كلمات أبي طيفور.

[٣]-ص ٦٣٥ جـ ف٧١ الفتوحات المكية.

عبادات"[1]. وان اتخذتها "هلكت عن بينة"[2]، وأبو يزيد يقول: "إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون أن تطلبوا معه المعاصي"[3]. والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "كل من اشتغل بحلاوة العبادات الحسية لا يذوق حلاوة المعاني القدسية"[4]. وابن عجيبة يقول: "قال شيخ شيوخنا رضي الله عنه: معصية بالله - أي بأمر الله - خير من ألف طاعة بالنفس"[5]، ولكن "لا بد من صحبة شيخ عارف ينقلك من العمل بالظاهر- أو التكاليف - إلى عمل الباطن وإلا بقيت مع عوام المسلمين"[6] فمن لا شيخ صوفي له فشيخه الشيطان!!" فالشيخ الكامل هو الذي يريحك من التعب لا الذي يدلك على التعب"[7]، تعب القيام بالتكاليف. والشيخ عبد القادر الجيلاني - لا الشيطان - يقول: "كل ما أشغلك عن الله عز وجل فهو عليك مشؤم وإن كان الصوم والصلاة"[8]

---

[1]-ص ٨٨ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[2]-ص ١٧٢ نفسه.

[3]-ص١٨٢ النور من كلمات أبي طيفور.

[4]-ص ٢٠٨ الفتح الرباني.

[5]-ص١٤٣ جـ١ إيقاظ الهمم.

[6]-ص ١٨٩ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[7]-ص ١١جـ٢ ايقاظ الهمم.

[8]-ص٢٤٩ الفتح الرباني.

- أسباب التكاليف:

التكاليف موجودة في القرآن، ومشروحة بالسنة، والصوفي يقول بفسادها، فما أسباب التكاليف إذن حسب رايه، طالما لا يجرؤ على تكذيب القرآن جهرة؟ إنها ما يلي:

١ - يروي الشعراني أن أحد المتصوفة يرى "ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الأكلة التي أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة، فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهيراً لمحلها"[١].

والمؤسف أن هذا العارف قد تناسى أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لأبينا آدم ذنبه هذا.

٢ - التكاليف مرض وآفات، انها من جملة الأمراض. والنابلسي الذي أدرك أنين ابن الفارض وتذمره من التكاليف يقول: إن ما به من الأنين لاظهار الشكاية من الضر الذي مسه بسبب الابتلاء بالتكاليف الشرعية المتوجهة إليه"[٢].

فالتكاليف إذن مرض شأنها شأن أي مرض يصيب الانسان كالجرب وما شاكل.

٣ - التلبيس، التلبيس أصل التكاليف، فإن الله نفسه أراد أن يخدع العوام فكلفهم حتى يظنوا أنهم على شيء، فالتلبيس عند الهروي "إسم لثلاث معان: أولها تلبيس الحق سبحانه بالكون على أهل التفرقة، وهو تعليقه الكوائن بالأسباب"[٣]، فمن التلبيس إذن أن الله ربط

---

[١]-ص ٥٩ جـ٢ م٤١ اليواقيت والجواهر.

[٢]-ص ٣١٤ الصوفية في شعر ابن الفارض.

[٣]-ص٣٩٤ جـ٣ مدارج السالكين.

التكاليف بالفرق والأعمال بالجزاء، والحقيقة لا فرق ولا جزاء بتوحيد لا فاعل ولا موجود إلا الله.

٤ – لقد فرض الله التكاليف حتى تكون حجاباً له عمن لا يحبهم وابن عجيبة لما عدد الحجب قال: الحجاب الرابع: "الوقوف مع حلاوة الطاعات ولذيذ المناجاة وهي سموم قاتلة"[١].

٥ – المكر الخفي من أسباب التكاليف. "فإنه لولا المكر الخفي – كما يقول ابن عربي – لما صح تكليف ولا طلب جزاء، فإنه من مكر الله المحمود في الممكور به تكليف الله إياه بالأعمال والسمع والطاعة له"[٢].

٦ – الغيرة، إن الله غيور، وما كلف الانسان إلا تحطيماً لكبريائه "فإنه خلقك على صورته ثم كسرك بما شرع لك"[٣] أو بما كلفك.

٧ – التكاليف عقوبة، انها عقوبة المحجوبين الزاعمين بشركهم القدرة على الأفعال. فلما "ادعى المكلف ما ليس له "كما يقول ابن عربي"–. كلفه الحق ما كلفه –. فإذا جاء الأجل المسمى "أو الكشف" وفك العمى وابصر الأعمى جاء التعريف "أو المعرفة" وزال التكليف "[٤]. حيث لا تكاليف بمعرفة توحيد لا فاعل إلا الله "ولولا أن العبد ادعى الاستطاعة في الأفعال والاستقلال بها ما أنزل الله تكليفاً قط"[٥]. والشيخ علي ولده "يقول: التكليف والاختبار من الحق قرين الاختبار ودعوى الاقتدار من الخلق، فمن عجز وسلم لم يكلف ولم

---

[١]-ص٢٧٩ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[٢]-ص ١٤٤جـ٤ ف٥٠٦ الفتوحات المكية.

[٣]-ص ٢٨١ جـ٤ ف٥٥٨ حضرة الوكالة ، الفتوحات المكية.

[٤]-ص٣٨٦ جـ٤ ف٥٥٩ نفسه.

[٥]-ص١٥٨ جـ٢ ف٨٤ نفسه.

يختبر"[1]، والنابلسي يقول على لسان ربه: "أمرناك لأنك متكلف- فوقعت في الكلفة أي المشقة والتعب في الدنيا بقيامك في الأمر والنهي تنازع نفسك وتنازعك نفسك"[2]، ومن منطق العقوبة "قال أبو يزيد رضي الله عنه: اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة"[3]. فالعبادة وإقامة التكاليف حسب رأيه إذن من علامات الأولياء غير الكاملين!!

التكاليف إذن كفارات عن ذنب مضى، انها مرض وبلاء، انها تلبيس الهي، انها الألعوبة التي شغل الله بها العوام وأهل الفرق، انها من مكر الله الخفي، إنها عن المعركة الدائرة بين الله والانسان، إنها عقوبة الله على المحجوبين، أنها العقوبة الالهية لكل من لم يأخذ بالتوحيد الصوفي. فتلك هي إذن أسباب التكاليف عند أولياء التصوف.

- ملاحظة: إن من تأمل في مشكلة الصوفي مع التكاليف، بعد الذي ذكرناه، سيجدها بالطبع محصورة بالمقارنة ما بين الزهد المطلق أو الجمع، وما يعنيه التوحيد الصوفي بكل أبعاده ومراميه، مع طبيعة التكاليف المبنية على الفرق. انه الصراع بين الجمع والفرق، ومن عرف هذا فسوف لا ينخدع بزعم الصوفي إن ساوى بين ترك التكاليف وترك التكلف في إقامتها، ومحال مثلاً لهذه الحجة أن تبرر ترك صلاة الجوارح ليكون الذكر أو التأمل كبديل مقبول. وهكذا قل في كل مواقفهم.

---

[1]-ص٢٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ١١٩ شروح رسالة الشيخ أرسلان.

[3]-ص ١٠٩ جـ١ إيقاظ الهمم،(ص)١٧٢ النور من كلمات أبي طيفور.(ص)٢٩٧ الصوفية في نظر الإسلام.

الجنة والنار في التصوف:

إن الموقف الصوفي من الجنة والنار يرتكـز أيضاً علـى المبـادىء الأساسية التالية. وهذا مالا يجب أن ننساه:

١ - الظاهر والباطن: لكـل شـيء ظـاهر وبـاطن، وبالتـأويل سيكون الكشف باطن الجنة والحجاب باطن النار. وبعلاقة الباطن والظاهر أيضاً سيكون النعيم باطن النـار، والعـذاب باطن الجنة.

٢ - الزهد: الزهد في كل ما سوى الله على الاطلاق سـيؤدي إلى الزهد في الآخرة بما فيها مـن جنـة ونـار كمـا أدى إلى الزهد بالدنيا بما فيها من كتب وأنبياء.

٣ - افراد القصد: إن إفـراد القصـد إلى الله سـيؤدي إلى تـرك كل ما يؤدي إلى الجنة، كما سيؤدي بالجنـة إلى التعـارض مع كل الفضائل الاسلامية الأخرى.

٤ - التوحيد: توحيد الوجود ينفـي التمييز بين الجنـة والنـار، وتوحيد الأفعال ينفي التمييز بين العاصي والمطيع.

٥ - الرياضات: فمن حيث أن الرياضات سعي دائم للتخلـص من المحسوس، ستؤدي إلى رفض الجنة بكل ما فيها من متع وأوصاف حسية.

٦ - الرحمة: بالرحمة الشاملة سيكون مآل الكـافرين والمؤمنين سواء، والكل إلى نعيم.

٧ - المقام: الجنة مقام وللسـالك الوصـول إليـه، وإن وصلـه في دنياه فلا تحجير بعدها عليه انه مقام "افعل ما شئت فقـد

غفرت لـك" فهـذه هـي المبـاديء الاساسـية الـتي تحـدد طبيعـة الموقف الصوفي من الجنة والنار.

وباديء ذي بدء لا بد مـن التعـرف إلى طبيعـة الزهـد الصـوفي المختلـف حتمـاً عـن طبيعـة الزهـد الاسـلامي. فـالزهد الاسـلامي ذو خصائص أهمها:

١ - انه لمحاربة الرذائل الاجتماعية بما فيها من كبر وبخل وجبن وظلم وحسـد وإلى مـا هنـالك، لتحـل محلهـا الفضـائل الحميدة بكل أشكالها وأصنافها.

٢ - الزهد الاسلامي مشروط بالآخر، ولا زهد دونه أو فيه.

٣ - الزهد الاسـلامي بوازعـه مقـرون بـالآخرة، بمـا فيهـا مـن سؤال وحساب، بما فيها من خوف ورجـاء، بمـا فيهـا مـن جنة ونار.

٤ - كل الفضائل الاسلامية مشروطة بالزهد، وإن أزيل الزهد عن أغراضه الاجتماعية فلا فضيلة اسلامية بعده.

٥ - وبهـذه السـمات أصبح الزهـد واحـداً مـن العبـادات أو الأفعال التي تقرب العبد من ربه.

وهذا بالطبع يعرفـه كـل مسـلم لـه التعـرف إلى الزهـد النبـوي وزهد صحابته(ص)من بعده.

أما الزهد الصوفي فقد تميز بما يلي:

١ - لقد أصبح الزهد وسيلة لتحصيل المعرفة والخوارق، وبكل ما تعنيه كلمة العارف من فردية لا إجتماعية. والشيخ سـهل بـن عبـد الله التستري مثلاً يقول حسب رواية اللمع: "من زهد في الدنيا أربعين

يوماً صادقاً مخلصاً في ذلك تظهر لـه الكرامـات مـن الله عـز وجـل"[1]، وقوله هذا أصبح عند القوم مـن جملـة الأحـاديث النبويـة الـتي نسـبوها للرسول(ص)والقشيري يقول: "قيل إذا زهد العبد في الدنيـا وكـل الله تعالى به ملكاً يغرس الحكمة في قلبه"[2].

ولا يخفى على المسلم أن ارتباط مهمة الزهد بتحصيل المعـارف والخوارق هو المعنى البديل لمهمته الاجتماعية، وهذا بالطبع لا علاقة له بالاسلام قطعاً.

٢ - لقد أصبح الزهد هو الزهد بالآخر بعـد أن كـان اسـلامياً مشروطاً بالعلاقـات معـه، فـالزهد الصـوفي هـو العـزوف عـن الـزواج والزوجة والولد، فالشيخ أبو سليمان الداراني يقول: "الذي يريد الولـد أحمق، فلا نفع منـه لا للدنيـا ولا للآخـرة"[3]، والجنيـد يقـول: "الأولاد عقوبـة شـهوة الحـلال"[4]، ولقـد ذكـر المكـي في قوتـه أن الرسول(ص)قال:"إذا كان بعد المائتين أبيحـت العزوبيـة لأمـتي، ولأن يربي أحدكم جرو كلب خير من أن يربي ولداً"[5].

الزهد الصوفي يشمل أيضاً الزهد في مصـالح المسلمين وعمـران المساجد، ومن علامات الزاهد عند الدقاق "[6] والغزالي "أن يترك الدنيا

---

[1] -ص ٩٧ التصوف بين الحق والخلق.

[2] -ص ٥٧ الرسالة القشيرية.

[3] -ص ٢٩٦ تلبيس ابليس.

[4] -ص ٢٩٧ نفسه.

[5] -ص ٥٧ في التصوف الاسلامي وتاريخه.

[6] -ص ٥٦ الرسالة القشيرية.

كما هي، فلا يقول أبني رباطاً أو أعمر مسجداً[1].

وبذلك يكون زوال المعنى الاجتماعي بكل أبعاده عن فضيلة الزهد. والأدهى أن الغزالي استخدم الزهد للتكبر على الخلق، وفي ذلك يقول: "ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره من الخلق ويتكبّر على كل شيء سوى الحق تعالى"[2] ولكن أليس الرسول(ص)مثلاً من جملة ما سوى الله؟! والزهد عند الشيخ أبو الحسن الشاذلي هو الوسيلة الأعظم لاعتبار الآخر كل الآخر من الأعداء فقد "كان يقول: إن كنت مؤمناً موقناً فاتخذ الكل عدواً كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾[3] وابن عربي قطعاً للصلة بين الزهد والعلاقات الاجتماعية يقول: "وعلامة من آثر صحبة مولاه أن لا يأنس بسواه"[4]، وابن عجيبة يقول على التعميم "إن زهد خاصة الخاصة هو ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات"[5]، أي لا في وقت دون وقت كالسكر دون الصحو مثلاً، بل في كل الأوقات عليه قطع العلاقات والتكبر على ما سوى الله.

٣ - الزهد الصوفي هو الزهد في الآخرة، بعد أن كانت الآخرة باعثاً على الزهد في الإسلام، والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "العارف غريب في الدنيا والاخرة وزاهد فيهما وفيما سوى الحق عز

---

[1]-ص ٢٤٢ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٤٣ المقصد الأنسي.

[3]-ص ٧جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص ١٧٩ مواقع النجوم.

[5]-ص١٧٩ مواقع النجوم.

وجل. وفي الجملة: لا رغبة له في غيره"[1]. ولفظة "الرغبة" بالطبع أو كما هو معروف تسبق الوصول، أي انه من أجل الوصول إلى الله أو الكشف يجب على السالك أن يكون زاهداً في كل الدروب المؤدية إلى الجنة، وهنا بالفعل مكمن الخطر في فكرة الزهد المطلق.

٤ – الزهد الصوفي زهد غير أخلاقي:

من المعلوم مثلاً أن الإسلام قد جمع بين الأغنياء والفقراء في المجتمع المسلم على أرضية الفضائل والتكاليف، حتى انعدم بالفعل الصراع المحتمل بين الطرفين، فليست قيمة الغني لغناه، ولا قيمة الفقير لفقره، وإنما هي التقوى المقيدة بالعمل الصالح غير المحدد بالفقير دون الغني ولا بالغني دون الفقير. أما في التصوف فالفقراء هم الأفضل وهم الأغنياء، والغزالي يقول راوياً:

"واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس"[2]

فبئس هذا الزاهد الغني، وبئس هذا الفقر الذي غايته قطع الأ ١ والصلات الاجتماعية.

أما ابن عجيبة فيطرب لقول أحدهم من أهل التصوف: "عبادة الغني كالمصلي على المزبلة"[3]، حيث لا عبادة للغني برايه حتى يتخلص من نجاساته. ولكن كيف ذلك إن كان الله عز وجل قد حجر الأموال التي فيها قيامنا عن السفهاء بل ونعت الأموال بالخير في الكثير من الآيات. والأغرب أن الصوفي الذي يحتج بتسمية الله نفسه بالولي دون

---

[1]-ص ٢٣٥ الفتح الرباني.

[2]-ص٢٠٠ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[3]-ص ٧٧ جـ١ إيقاظ الهمم.

النبي انتصاراً للولاية على النبوة نراه هنا وقد تجاهل أن الله قد سمى نفسه بالغني، ولكن لما نعت الصوفي نفسه بالغنى نراه وقد راح يتكبر على الخلق.

حتى أن التساؤل الصوفي عن أيهما أفضل: الغني الشاكر أو الفقير الصابر لا معنى له من وجهة النظر الإسلامية لأن الشكر والصبر فضيلتان غير مقيدتان بحامل دون آخر. أما في التصوف فللفقر معنى ميتافيزيقي مرتبط بالتوحيد، وبهذا الارتباط يكون قعر مفهومهم عن الفقر. وقد "قال يحيى بن معاذ: حقيقة الفقر أن لا يستغني إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها. وقال أبو بكر الطوسي: بقيت مدة اسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء؟ فلم يجبني أحد بجواب يقنعني حتى سألت نصر بن الحمامي فقال لي: لأنه أول منزل من منازل التوحيد، فقنعت بذلك"[1].

فأول منازل التوحيد الحقيقي إذن هو توحيد لا فاعل إلا الله، وبهذا التوحيد يكون سقوط كل الأسباب التي من جملتها الأموال، ولهذا اعتبروا عبادة الغني من النجاسات لأنه لا عبادة مع الشرك.

---

[1] -ص٢٣٥ ف٦٠ عوارف المعارف.

– الزهد في الجنة:

انه من باب الملاحظة، وقبل الدخول لمعرفة الرأي الصوفي بالجنة أو النار أرى لزاماً أن نتعرف إلى ما تعنيه الجنة والنار عند المسلمين. فقد روي أن "النبي قال لجبريل عليه السلام: لم تأتيني وأنت صار بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار"[١] والرسول(ص)يقول: "إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"، وآله يقولون أيضاً: "إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا"، والملائكة يسبحون الله "من خيفته"، وها هو عثمان رضي الله عنه وهو المبشر بالجنة يقول "لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيهما أصير"[٢]، وابن مسعود رضي الله عنه يقول: "لاخترت أن لا أكون شيئاً"[٣]، ومطرف بن الشخير يقول: "لاخترت أن أصير تراباً"[٤] "أو رماداً"[٥]، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرَّ "على الحدادين فبصر بحديدة قد أحميت فبكى"[٦]، وسلمان الفارسي "لما نزلت هذه الآية: وإن جهنم لموعدهم أجمعين" صاح سلمان صيحة ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام"[٧].

---

[١]-ص ٣٦ الزهد.

[٢]-ص ١٦٠ الزهد.

[٣]-ص ٢٠٠ نفسه.

[٤]-ص ٢٩٢ نفسه.

[٥]-ص ٢٩٥ نفسه.

[٦]-ص ٢٠٣ نفسه.

[٧]-ص٤٩ دراسات في التصوف الاسلامي.

بل ومن الخطأ الاستشهاد بهذا الصحـابي أو ذاك لخشيته مـن النار، لأن الخشية هذه شعور يلازم كل مسلم أنـى كـان وأنـى وجـد، وهي أصل اسلامي لا بد منه لتمـام الفضـائل أو الفعل الخلقي، وكل قارىء للقرآن يدرك هذا المعنى جيداً، وكـل الـذي أردنـاه هـو تذكير المريد بما لا يجب أن ينساه، ونحن قادمون للنظر في شؤون الواصلين من أهل التصوف.

الزهد في الشيء حط من قيمته، والداراني "سألة رجل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى ا لله عز وجل؟ فقـال: أن يطلـع ا لله على قلبك وانت لا تريد من الدارين غيره"[1]، هذا صحيح! ولكنها قولة حق قصد بها باطل، وما أعظم هذه المكيـدة البرهانيـة الـتي سـعت لضـرب الآخرة بالتقرب إلى ا لله سبحانه وتعـالى، وكـأن ا لله في رسـالته لمحمـد (ص) لم يبين لنا الوسائل التي نتقرب بها إليه، أو وكأن الجنة والنار من صنع إبليس، وهل لأحدنا أن يرضى بقـول أحدهـم: انـني وا لله أحبـك ولكن إن قتلت ولدك عندها حتما سنرفض لأننا سندرك فـوراً خبث نواياه في استخدامه المحبة وسيلة للقضاء على ولدنا، وهل سنرفض هـذا بحقنا ونرضاه لله؟!.

وما أكثر الأسلحة أو الفضـائل الـتي لطـم بهـا الصـوفي ايمـان المسلمين بالجنة والنار كالقرب والمحبـة والزهـد وإفـراد القصـد، ووجـه ا لله، والمعرفة، وإلى ما هنالك إلا أن من أدرك أن توحيدهم هو الأصـل في صراعهم للجنة والنار فسوف لن تخدعه تلك الأساليب البراقـة الـتي سعت لضرب الفضائل بعضها ببعض.

---

[1] ص ٧٩ جـ١ الطبقات الكبرى.

ومن علامات "المقرب" أو الولي العارف عند ابن سبعين زهده في الجنة أو أن "يزهد في خيرها ونعيمها"[1]. وابن عجيبة استخدم أيضاً المعرفة لهذا الغرض قائلاً: "فاطلب معرفة ذاته لا زخارف جناته، إذ هي كون من مكوناته-. ارحل من الأكوان إلى المكوّن"[2]، فالرجل أراد معرفة الله في ذاته، وقد رأى انه لا توافق بين هذه المعرفة والانشغال بما يؤدي إلى الجنة التي هي من جملة ما سوى الله، وهكذا لطم الجنة بفضيلة المعرفة. والشيخ عبد القادر الجيلاني يرى أن شجاعة الواصل متمثلة في افصاحه عن الزهد المطلق وفي ذلك يقول:"وشجاعة الخواص في الزهد، الزهد في الدنيا والاخرة وما سوى الحق عز وجل في الجملة"[3]، ولكن هل من أبله لا إدراك له بما يعنيه قوله "في الجملة"؟.

أما النابلسي فيقول: إن كنت عارفاً فعليك أن "تقطع نظرك عن طلب غيره من ثواب الآخرة أو الدينا"[4]، فثواب الآخرة وبما أنه غير الله فازهد به،. والناس حسب رايه ايضاً "تائهون-. بالهوى أي بميل نفسوهم وتعشقها بما سوى الله تعالى من نعيم جنة أو نجاة من نار - أو بمحبة طاعة أو اجتناب معصية-. لأن المحبة لا تكون إلا لله تعالى"[5]، وبالمحبة إذن إضافة لافراد القصد كان طعنه في الجنة والنار من حيث هما دلالتان على الأسباب الرابطة ما بين العمل والجزاء.أما الجيلاني فيصرخ بملء شدقيه قائلاً: "ايش الجنة وايش الآخرة وما سوى الله تعالى بالإضالة إليه"[6].

---

[1]-ص ٢٨٩ بد العارف.

[2]-ص٧٢ جـ١ إيقاظ الهمم.

[3]-ص٣٤ الفتح الرباني.

[4]-ص ٩٦ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[5]-ص ١١٤ نفسه.

[6]-ض ١٧ الفتح الرباني.

ولكن ماذا لو قلنا على منـوال هـذا القـالب: ايـش "الصيـاد": وايش "الدباغ"، فهل هما إلا كالذباب مقارنة بالرفاعي!. هـذا المنطـق مرفوض قطعاً وغير جائز لا في حق المريدين ولا في حق الشيخ مهمـا يكن شأنهم. وإني لاعتذر بالفعل، ولكن مع التأكيد علـى رفـض هـذا المنطق من الأساس لأنه أيضاً لا يجوز في حق ا لله القائل صراحة بالوعد والوعيد أو الجنة والنار.

العارف بـرأي عبـد القـادر الجيلانـي "يستوي عنـده-. الجنـة والنار"[1] حيث لا تمييز بينهما بالفعل في توحيد لا موجود إلا ا لله. ومن يطع ا لله للنجاة من النار فهو برأيه مشرك لأنه يعبد مـا سوى ا لله وفي هذا يقول: "يا جاهل-. أنت عبد الخلق مشرك بهم-. أنت عبد الجنـة ترجو دخولها، أنت عبد النار تخاف دخولها"[2] فـ"كل عمل لغير ا لله عز وجل باطلاً"[3]، لأنه لا فاعل إلا ا لله ومن زعم الفعل فقد أشرك. ولكن أليست الجنة والنار - أو الوعد والوعيد كرديف للأمر والنهي، فكيف أمرنا ا لله ونهانا إن كانت أوامره ونواهيه تؤدي إلى الشرك. ولو كان أهل التصوف يقصدون المعنى الخلقـي مـن وراء الفعـل لكـان لحجتهـم معنى، ولكن أين هم ,أين ما تعنيه الأخلاق التي لا وجود لها مع الجبر. وبهذا يتضح فساد استخدامهم لهذه المزاودة.

---

[1]-ص ٧٥ نفسه.

[2]-ص ٨٠ نفسه.

[3]-ص٨٠ نفسه،

- **الجنة مرفوضة لأنها لذات حسية!!**

من المعلوم أن رابعة العدوية، قد تجرأت للاستهزاء بالقرآن وهي "تسخف الاتصال الجنسي حتى في الجنة-. لترتفع المادية برأيها عن الحب"[١]، حب ما سوى الله. وذات مرة مثلاً سمعت "قارئا يقرأ: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ أي يغضون الأبكار. فقالت: مساكين أهل الجنة في شغل هم وأزواجهم[٢] "ولما سمعت رضي الله عنها شخصاً يتلو قوله تعالى: ﴿وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾ قالت: نحن إذن صغار حتى نفرح بالفاكهة والطير"[٣]. ومرة اعترضت على الله قائلة:"يا رب! أما كان لك عقوبة ولا أدب غير النار"[٤].

وها هو عارف آخر لما استمع لقوله تعالى ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ قال: "اللهم لا تجعلني منهم"[٥].

أما الشيخ عبد القادر الجيلاني فقد راح إلى القرآن متأملاً فيه شأن الجنة والنار ليقول بعدها: "وأما الأخرى فوقفت عندها ساعة، نظرت في أمرها فظهر عندي عيبها وهو كونها محدثة مشتركة ورأيت أن الله قد أعدَّ فيها شهوة النفس وما تلذ به "الأعين"[٦]، ولهذين العيبين، أي من حيث هي مخلوقة ومن حيث هي مقر الشهوات كان زهده فيها لأنه أنف مشاركة الحيوانات في شهواتها.

---

[١]-ص٣٠٢ الصلة بين التصوف والتشيع.

[٢]-ص٨٥-٨٦ رابعة العدوية.

[٣]-ص٧٠ جـ٢ الطبقات الكرى.

[٤]-ص ٨١ رابعة العدوية.

[٥]-ص ٣٢ الأنوار القدسية.

[٦]-ص ٣٠٦ الفتح الرباني.

-لا خلافة لله مع الاعتقاد بالجنة:

الولي الصوفي خليفة الله ونائبه على الأرض، ولكن كما يقول الأولياء لا خلافة لمن تعلق قلبه بالجنة، والشيخ على ولده يقول: "ألا ترى إلى آدم عليه السلام ما أُعطي الخلافة إلا لما هاجر من الجنة وما فيها من شهوات النفوس"[1]، بل وساوى شيخنا بين نعيم الآخرة والدنيا المذمومة قائلاً: "كل من طلبه النعيم الجثماني بعد الموت فهو يريد الدنيا"[2] ، ومن منظور الخلافة يقول الجيلاني أيضاً: "آدم عليه السلام لما اشتغل قلبه بحب الجنة وأحب المقام فيها فرّقَ بينه وبينها وأخرجه منها-. ونبيُّنا لما مال إلى عائشة رضي الله عنها نوع ميل جرى الله عليها ما جرى من القذف والبهتان وبقي أياماً لا يبصرها، فاشتغل بالله عزوجل لا بغيره"[3]، فـ"المريد للحق عزوجل لا يريد جنته ولا يخاف من ناره ، بل يريد وجهه فحسب، يرجو قربه منه ويخاف[4] من بعده عنه"، وليس بعد هذا برأيه من معنى للنعيم والجحيم، أنه القرب والبعد،. ولكن لا بد للصوفي من ذلك حتى تكون له الاستقامة مع توحيد لا فاعل إلا الله الذي لا أسباب معه تؤدي إلى الحساب أو إلى الجنة والنار، وبذلك لا بغيره تكون استقامته مع توحيد لا موجود إلا الله الذي لا تمييز فيه بين أجزاء الله أو الجنة والنار من حيث أن الله هو الكل، ولهذا كله استخدم أهل التصوف "وجه الله" لضرب الآخرة التي يؤمن بها المسلمون.

---

[1]-ص ٥٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٥٩ نفسه.

[3]-ص ١٥٦ الفتح الرباني،.

[4]-ص ٢٧٣ نفسه.

- وجه الله وإفراد القصد:

الصوفي في سفره لا يطلب عن وجه الله بديلاً، بل "ولا يطلبون من الحق عزوجل جزاء على أعمالهم، بل يريدون وجهه وقربه، ويريدون محبته والخلاص من بعده وحجابه"[١] أي فلا جنة ولا نار لمن أفرد القصد لوجه الله إلا القرب والحجاب، بل وعليه ألا يرجو جزاءاً لأعماله في الاخرة والأولى. والشيخ أبو الفضل الأحمدي يقول على التعميم: "من نظر إلى ثواب في أعماله عاجلاً أو آجلاً فقد خرج عن أوصاف العبودية التي لا ثواب لها إلا وجه الله تعالى"[٢] فالعبودية والإيمان بالثواب والجزاء في الآخرة حسب رآيه لا يجتمعان، ولا عبودية أيضاً إلا بإفراد القصد، والشيخ محمد بن عليان النسوي "يقول: من خدم الله لطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته وأبدى طمعه[٣]. والغزالي يقول: "مشايخ الصوفية صرحوا ولم يتحاشوا. وقالوا: من يعبد الله لطلب الجنة أو للحذر من النار فهو لئيم"[٤] . إلا أن الفعل الخلقي لمن فكرٌ فيه يستحيل أن يكون دون الإيمان بالجنة والنار، وإلا فلأي ثمن مثلاً يقذف المجاهد بنفسه للموت وقد اختاره عن وعي عقلي لا عن جنون فيه، أو وقد علم سلفاً أنه لا ثمن يمكن أن يساوي الحياة، لا الأوسمة ولا السمعة، بل ولا شيء على الاطلاق. وطالما أن العاقل من جهة أخرى محاط بالأنا والعلة أو الثمن عندها لا بد من وجود الأنا التي تعود ولكن حسب المنظور الإسلامي ليس في الدنيا أو من الآخرين، وإنما في

---

[١]-ص ٣٧ الفتح الرباني.

[٢]-ص ١٧٥ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[٣]-ص ١١٦ نفسه جـ١.

[٤]-ص ٦ ميزان العمل.

الآخرة ومن الله وحده، ولهذا قال(ص): "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" تلك الأخلاق التي كان ينقصها الإيمان بالآخرة بما فيها من ثواب وعقاب.

الأخلاق تقول: من طلب عوضاً لأفعاله الخلقية من الآخرين فهو لئيم، ولارتباط الفعل الانساني بالعلة والأنا نرى الإيمان قائلاً: لا تطلب من أحد ثمناً، وكل الثمن ستجده عند الله بعد الموت، وبذلك يكون دفع وإزالة أي لؤم محتمل مدى الحياة، والخلقي عندها يفعل لنفسه، ولكن في الآخرة لما بعد الموت، وليس له بهذا من فضل على أحد حتى يتطاول عليه بفضائله، طالما أفعاله قد قصد بها طاعة الله. أما الصوفي الذي لا علاقة له بالآخر والمجتمع، المؤمن بالجبر عقيدة له فيقول:لا، فاللؤم هو في طلبك العوض والأجر من الله، واللئيم عندها هو المصدق للخبر الالهي القائل بالوعد والوعيد أو الجنة والنار، أو هو المصدق بوجود الحساب في الآخرة.وهذا بالنسبة للصوفي ومبادئه صحيح لأنه بعد إسقاطه للآخر والمجتمع، وبعد اسقاطه للعمل أو التكاليف، وبعد إسقاطه للحساب والأسباب، وبعد مساواته بين الجنة والنار. فما الذي تراه سيبقى؟ لن يبقى إلا المعرفة المعنية بالكشف أو اللاعمل، حيث لا معرفة برأيه إلا بالوصول للتوحيد الصحيح هذا التوحيدالذي له البرهان على كل تلك الإسقاطات.

ولكن هل للإنسان مهما كان شأنه من قدرة على الإنفصال عن العلةأو الثمن؟ لا حتماً، فطالما له وجود قائم بغيره فلا بد له من العلة شاء ذلك أم أبى، فهكذا خلقه الله، ولو كان مخلصاً من ينفي السبب أو العلة لما وجدته حياً قط، ولا عرفت أحداً منهم أصلاً، لأنه على الأقل يجب ألا يأكل ويشرب طالما هما سببان للحياة.

والآن تعالوا لأضرب لكم مثلاً كيف أن الصوفي بزعمه "وجه الله" لم ينجُ من العلة أو مما سماه لؤم الثمن الذي نعت به المسلمين لما آمنوا بالوعد والوعيد. يقول الجيلاني: "إذا عملت لوجه الله تعالى كان جزاؤك قربك منه والنظر إليه"[1]، إلا ا ن القرب والنظر ثمن!!وقد ذكرنا أمثال ذلك الشيء الكثير عند حديثنا عن التكاليف، بل وهذا ما سوف تجده أينما وجدت الصوفي متكلماً عن العمل لوجه الله أو بتعبير أدق عن إفراد القصد لوجه الله لأنه لا عمل للإنسان برأيه. فالرجل إذن يطلب ثمناً لسلوكه وهو القرب والنظر إلى الله، ولكن ألا يجب أن يعني" العمل لوجه الله" انعدام الثمن على الإطلاق ؟! وإلا فما الذي يعينه اللؤم؟

[1]-ص ٢٨ الفتح الرباني.

- **الجنة والمحبة:**

بعد أن قال الصوفي انه لا قربة إلى الله بالتكاليف، وبعد أن جعلها من القواطع التي تمنع الوصول إلى الله، وبعد أن فصلها عن العمل والجوارح، وبعد أن أنكر الوعد والوعيد، وبعد أن أفرد القصد زاهداً في كل ما سوى الله على الاطلاق. نراه لاهثاً ليزعم المحبة كأعتى الأسلحلة التي لها تبرير كل مزاعمه تلك، وقد روى المناوي في طبقاته "أن سفياناً الثوري قال لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء. عبدته حباً وشوقاً إليه"[1].

ولكن كيف لها الفصل بين العبادات الإسلامية والمحبة، فهل القيام بالتكاليف اسلامياً لا علاقة له بالمحبة، وهو القائل سبحانه: ﴿ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾. والتكاليف بمعناها من جهة أخرى يستحيل فصلها عن الوعد والوعيد لأنها محدودة بعلاقة الانسان بالأوامر والنواهي، وإلا فلا طاعة ولا معصية، وهذا ما يؤمن به أهل التصوف بالفعل، ولهذا ترى عباداتهم تأملية لا عملية، وتلك هي العبادة على طريقة المحبة غير المقيدة بالتكاليف.

الأجير السوء من يطلب أجراً لعمله، إلا أن الله هو القائل بعقاب العصاة وثواب المطيعين، فهل سبحانه أرادنا أن نكون سيئين؟لا، ولن نكذب ما قاله الله من الوعد والوعيد، والسيء من تعبد الله بما لم يأمره به، ولسنا على استعداد لحذف كل الآيات القرآنية التي حثت الانسان على الخوف والخشية من حسابه وناره، وما أكثرها.

---

[1] -ص ٨٠ رابعة العدوية.

"الهروي" يرى هو الآخر ومن باب فصل التكاليف الإسلامية عن المحبة: إن كل ما سوى المحبة فهو "أغراض لأعواض"[1]. والسامع لهؤلاء وهم يتباكون على إيمان المسلمين بالأعواض على حد تعبيره يخيل إليه أن المسلم بعد أدائه للتكاليف لا تراه إلا جالساً ينتظر النقود من ربه ثمناً لعبادته، وإلا فلن يعبده بعدها!! ولكن كيف هذا والمؤمن مطالب بالأحسن على الدوام.

أما ابن الفارض، فقد أداه حبه الالهي إلى الزهد حتى في الأعمال التي تؤدي إلى الجنة كالتكاليف وإلى ما هنالك، مكتفياً بعبادة الحب التي تعني التأمل وفي هذا يقول:

"وقد قدمت وما قدمت لي عملاً إلا غرامي وأشواقي وإقدامي"[2]

فليس للرجل من عمل في عباداته إلا الحب وإفراد القصد. وقد قيل لرابعة العدوية "يوماً: كيف شوقك إلى الجنة؟ فقالت: الجار قبل الدار"[3]. إلا أن المتأمل في قولها هذا، سيرى المغالطة واضحة كل الوضوح، وهذا ما لم ينتبه له السذج، فالقضية حسب أصولها تتعلق برؤية الله، القرآن يقول لا رؤية لله في الدنيا، ولا في الآخرة إلا لأهل الجنة. أما الصوفي فيقول العكس، فله حسب زعمه رؤية الله قبل الجنة، وهو المغزى لقول رابعة "الجار قبل الدار" بينما القرآن يقول ادخل الدار أولاً بعدها سترى رب الدار. ومن هذا الفرق الجوهري بين الاسلام والتصوف نرى الشيخ ابن سبعين وقد صرخ بأحدهم قائلاً: "إن كنت تريد الجنة فسر إلى ابي مدين وإن كنت تريد رب الجنة

---

[1]-ص٣٥ جـ٣ مدارج السالكين.

[2]-ص٣١١ الصوفية في شعر ابن الفارض.

[3]-ص ١٦٩ رابعة العدوية.

فهلم إلي"[1]، والعفيف التلمساني يقول لنفس الغرض: "القرآن يوصل إلى الجنة، و كلامنا يوصل إلى الله تعالى"[2]. والشيخ ابراهيم بن أدهم يقول وقد تسلح بالمحبة: "الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة"[3] "فأعط الجنة لمن شئت"[4] والغزالي أيضاً واعتماداً على فكرة المراتب وتعميم الزهد قد أكد هذا الفصل قائلاً: إن للزهد بالإضافة للمرغوب فيه "ثلاث درجات: "السفلى" أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار-. فهذا هو زهد الخائفين-. الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته.

الدرجة الثالثة: وهي العليا: أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه-. وهو الموحِّد الحقيقي-. وطلب غير الله من الشرك الخفي"[5].

وهكذا يكون الغزالي قد حدَّ الإسلام بالدرجة الأولى والثانية من التوحيد أو الزهد واتهمه بالشرك مقارنة بأعلى درجات التوحيد أو بالتوحيد الحقيقي للأولياء. بل ولهذا الغرض أيضاً أخذ بالحديث الموضوع القائل: "أكثر أهل الجنة البله"[6]، وبه سخف بالمسلمين مقارنة بالأولياء، أولياء التصوف.

---

[1]-ص١٧٢ ابن سبعين وفلسفته الصوفية.

[2]-ص٨٠ تاريخ التصوف الإسلامي.

[3]-ص ٣٦٠ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[4]-ص ٢٣٦ تاريخ التصوف الاسلامي.

[5]-ص ٢٢٦ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[6]-ص ٣٣٥ جـ٤ نفسه.

-الجنة والتأويل:

الكشف غاية الصوفي، وبه يكون اليقين، والشيخ ابو القاسم النصر أباذي يقول: "إذا بدى لك شيء من بوادي الحق، فلا تلتفت إلى جنة ولا إلى نار، ولا تخطرهما ببالك"[1]، وهو طبعاً تفسيره لقول ا لله عزوجل ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

والشيخ عبد القادر الجيلاني يشير إلى هذه الأحوال بأحواله المستمرة مع ا لله حيث "قيل له مرة: ما لنا لا نرى الذباب يقع على ثيابك؟ فقال: أي شيء يعمل الذباب عندي وأنا ما عندي شيء من دبس الدنيا ولا عسل الآخرة"[2]. فهو دائماً مع ا لله، وعسل الآخرة برايه لا يصلح إلا للذباب لا للعارفين. وبعد أن اعتبر الجنة حجابه عن ربه قال لها: "تنحي عني -.لا كرامة لكل من يحجبني عنه"[3] والشيخ أبو الحسن الحصري يقول: "ليت الجنة على قفا أهلها! لعلنا إذا نجونا منها، ومن طالبيها، تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا"[4]، والشبلي حسب رواية "اللمع" "سمع قارئاً يقرأ هذه الآية: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ فقال الشبلي: ليتني كنت واحداً منهم"[5]، بل وقال أيضاً: (إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لاطفأوها)[6]، والشيخ ابو يزيد يقول للتمييز بين العارف والمسلم: " من عرف ا لله صار للنار ثواباً وصارت الجنة عليه وبالاً"[7] أو حجاباً لأن الجنة على حد تعبير الغزالي ليست إلا

---

[1]-ص ١٢٣ جـ١ الطبقات الكبرى -(ص)٤٨٥ طبقات الصوفي.

[2]-ص ١٢٧ جـ١ الطبقات الكبرى.

[3]-ص ٢٨٨ الفتح الرباني.

[4]-ص٤٩٠ طبقات الصوفية.

[5]-ص ٤٣ شحطات الصوفية.

[6]-ص ٤٣ نفسه.

[7]-ص ١١٨ النور من كلمات ابي طيفور.

"معدن تمتع الحواس"[1] وابن عجيبة يقول للفصل بين جنة العوام وجنة المعارف: إن "جنة المعارف لأهل الجهاد الأكبر، وجنة الزخارف لأهل الجهاد الأصغر"[2] ، فالمجاهدون بأنفسهم وسيوفهم. وأموالهم هؤلاء البله كما يقولون فلهم جنة الحواس بكل ما فيها من زخارف، أما أصحاب الرياضات المجاهدون لإماتة أنفسهم فجنتهم الكشف والمعارف ،وجتهم هذه هي الباطن الحقيقي لجنة أصحاب الظاهر، فلكل ظاهر باطن فيه حقيقته. وبهذا التأويل يقول الجيلاني أيضاً: "قُرْب الحق عز وجل جنة القوم، وبعدهم عنه نارهم"[3] . وعن تحصيله الكشف أو الجنة يقول: "آخرتي قد حصلت لي عند ربي عزوجل"[4] . والغزالي يقول "فَرُتِّب العذاب بالنار على ألم الحجاب"[5] ، وابن عجيبة يرى أنه من غير المعقول أن تكون الجنة قائمة في غير هذه الدار "وجل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئه-. ومن شأن الكريم إذا اشترى شيئاً أن ينجز نقده - فمن باع نفسه-. عوضه الله جنة المعارف عاجلاً"[6] فهل لاحظت أيها القاريء لؤم الثمن!؟ فجنة الصوفي إذن هي جنة المعارف، أما جنة الزخارف فهي للعوام أو "على البيعة"، والمهم أن هناك جنة تافهة لا يؤبه بها هي جنة العوام التي ما وراء الموت، مقارنة بجنة العارفين التي تمثل الحقيقة، ومن هذا الربط بين الظاهر التافه والباطن الحقيقي كان استهزاء القوم بأهل الظاهر المؤمنين بالوعد والوعيد وبه كان استهزاؤهم بالجنة والنار والشيخ ممشاد الدينوري لما ذكروه بالجنة عند

---

[1]-ص٣١١ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[2]-ص١٠-١١ جـ٢ إيقاظ الهمم.

[3]-ص١١٠ الفتح الرباني.

[4]-ص ٣٨ نفسه.

[5]-ص٢٤٠ إحياء علوم الدين.

[6]-ص ١٣٦ - ١٣٧ إيقاظ الهمم.

احتضاره نراه هازئاً بهم ليقول: "منذ ثلاثين تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي"[1] أما الشاذلي فيقول على التعميم الهازىء: إن كل من اسمه "محمد:" سيدخل الجنة بلا حساب"[2] والرفاعيون استهزأوا بالجنة إلى حد أنها لا تساوي قبلة من نعل الرفاعي قائلين:

"ليته جاد لي بقبلة نعل هي أشهى من ألف جنة عدن"[3]

بل ولا تساوي عند الشيخ ابراهيم بن أدهم "جناح بعوضة"[4].

والغزالي يقول عن المتنعمين بالجنة بما فيها من ملذات حسية: "فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى"[5]، والشبلي يرى أن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لاطفأوها"[6] والحلاج يقول: "أصبحت لو طارت مني شرارة لأحرقت مالكاً وناره"[7]، أما رابعة فقد حملت الماء والنار لتلقي بالنار على الجنة والماء على النار حتى يزولا من الوجود"[8] وأبو يزيد يقول: "ما النار؟ لاستئذن إليها غداً واقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعها! ما الجنة؟ لعبة صبيان" [9]"ما النار؟ وا لله لئن رايتها لاطفأتها بطرف مرقعتي"[10]، "وجهنم إذا رأتني تخمد"[11].

---

[1]-ص٤٨٣ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٧٦ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[3]-ص ١٩٥ التصوف بين الحق والخلق، بل ولا تساوي

[4]-ص٦٩ فلسفة التصوف قرارات وطاقات.

[5]-ص ٥٤٣ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[6]-ص ٥٧ فلسفة التصوف قدرات وطاقات.

[7]-ص ٢٢٤ الحلاج شهيد التصوف الاسلامي.

[8]-ص ٩١ رابعة العدوية.

[9]-ص ٣١ شطحات الصوفية.

[10]-ص ٣٤٣ تلبيس ابليس.

[11]-ص ١٤٧ النور من كلمات أبي طيفور.

- لا تمييز بين الجنة والنار:

التوحيد الصوفي لا بد يؤدي إلى انعدام التمييز بين الجنة والنار، سواء بالوجود أو الأفعال، والشيخ أبو يزيد يقول: "لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ثم وقع بك تمييز عليها خرجت من جملة التوكل"[1]. أو التوحيد من حيث لا أسباب مع التوكل. والغزالي يفسر هذا الرأي قائلاً: "فلا تمييز بين أهل النار واهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا من أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر"[2]. وسر القدر عند القوم هو الجبر المعني بشهادة لا فاعل إلا ا لله. أي انه إن كان الفعل هو فعل ا لله فكيف يتم التمييز ما بين أهل الجنة وأهل النار، ولهذا قال أهل التصوف بعموم السعادة، ومن أجل إعطاء النعيم للجميع استخدم الغزالي التمييز بين الأرواح، وكل نوع عندها يعود إلى اصله قائلاً: "فأرواح العارفين جلالية قدسية، فلذلك اشتاقوا إلى ا لله تعالى، وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة، وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا"[3]، وابن عربي سيقول بهذا التقسيم ولكن بعد وضعه الأمور في نصابها الصحيح من حيث أن "الهوائية" تساوي"النارية" وعندها سيعود ابليس إلى داره وأصله بعد طول الفراق لأنه لا عذاب ولا نعيم إلا بالملائم وعدم الملائم وهكذا يكون مآل الكل إلى النعيم.

ومن توحيد لا فاعل إلا ا لله يبين لنا الشيخ عبد القادر الجيلاني كيف ترك أهل التصوف لا الأخذ بعقيدة الوعد والوعيد فحسب وإنما كيف كان تركهم للعمل المؤدي إلى الجنة أو النار حيث يقول: أهل

---

[1]-ص ١٣٩ النور من كلمات ابي طيفور.

[2]-ص٢٦٤ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[3]-ص٣٦١ جـ٤ نفسه.

التصوف "ما يطلبون من الله عزوجل سوى الله فقد علموا أن الدنيا مقسومة فتركوا الطلب لها، وعلموا أن درجات الآخرة ونعيم الجنة مقسومة فتركوا طلب ذلك والعمل له"[1] وتلك هي قمة الفصل بين توحيد لا إله إلا الله وتوحيد لا فاعل إلا الله.

---

[1]-ص٩٧ الفتح الرباني.

– الجنة قواطع وخديعة:

الجنة عند الصوفي جنتان: جنة الظاهر، جنة العوام والجهلة، جنة الزخارف، جنة الوعد والوعيد. وجنة الحقيقة أو جنة الكشف والعرفان. فالصوفي لا يقول بوجوب عدم الإيمان بجنة الزخارف على الاطلاق، إنما يقول: من وصل إلى جنة المعارف فلا عودة له إلى جنة الظاهر، وكل دروبه في ترويض المريدين تتمثل في نقلهم من الاعتقاد بالوعد والوعيد والجنة التي تمثله إلى جنة الحقيقة أو إلى العقيدةالأخرى، وما أخطر دعوتهم على المجتمع والأخلاق تلك القائلة بتحلل العارف من الأعمال المؤدية إلى الجنة أو النار بمعناها الاسلامي، عندها لا حلال ولا حرام ولا تكاليف. إلا بما تراه شؤون الصوفي وما يزعمه من أوامر ونواهي إلهية مباشرة.

على المريد السالك إن أفرد القصد إلى ا لله الا يفكر في الجنة والنار إلا من باب كونهما من الحجب والقواطع، هذا شرط ترويضي، وإلا فلا خلاص له من الشرك، والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "ما دمت مع الاخرة لا ترى رب الآخرة"[١] والسهلجي يرى أن "الجنة هي الحجاب الأكبر"[٢]. ومن سأل ا لله الجنة فقد وقع في الذنب، وابن المبارك يقول: "اجترأت البارحة على ا لله عزوجل سالته الجنة"[٣]. ولما مالت رابعة للجنة بقلبها عوقبت بالمرض ثم قالت "فتبت أن لا أعود"[٤]. إلى هذا الذنب. بل أن الصوفي يكره حتى رائحة الجنة، ولما رآها ابن عربي في المنام قال عند استيقاظه: لهذا "علمت أن في حالي

---

[١]-ص ١٧٨ الفتح الرباني.

[٢]-ص ٣٠ شطحات الصوفية.

[٣]-ص ٦٢ الرسالة القشيرية .

[٤]-ص ٧٩ رابعة العدوية.

بعض اختلال"[1] أما أبو يزيد فقد نعت الجنة والنار بأنهما "دارا ابليس"[2]. والجنة برأيه: "إنها خدعة فأعرضت عنها"[3]

---

[1]-ص ١٢ روح القدس في محاسبة النفس.

[2]-ص١٥٥ النور من كلمات أبي طيفور.

[3]-ص ١٥٣ نفسه.

- **الشفاعة والجنة:**

الشفاعة الصوفية تعتبر الركن الأهم في ترويض المريدين لنقلهم عن ثقة إلى شرائع ومعتقدات الباطن، فالشاذلي مثلاً "يقول: رأيت رسول الله(ص)فقال لي : أنت تشفع لمائة ألف"[١]، وأعان الله المريد الذي سيؤخذ بتلك الدعاوي والمزاعم، والشبلي من باب الاستخفاف بالوعد والوعيد يقول: "والله لا رضي محمد وفي النار من أمته أحد. ثم قال: إن محمداً يشفع في أمته، وأنا اشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد"[٢]، أما الشيخ ابو يزيد البسطامي وتحقيقاً لتوحيد وحدة العقائد واحتجاجاً على الوعد والوعيد يُروى انه "جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال" ما هؤلاء حتى تعذبهم؟ كف! عظام جرت عليها القضايا. اعف عنهم!"[٣] ومن أقواله: "لو عذبني في نار جهم مكان الخلق جميعاً لما كان مني بكبير بما أدعيت أني أحبه"[٤] وعن شفاعته يقول: "لو شفعني الله في الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير: غاية الأمر أنه شفعني في لقمة طين"[٥].

والشيخ عبد القادر الجيلاني يخاطب مريديه وكل الخلق قائلاً: "إن كان لي في القيامة شيء عند الله عزوجل لأحملن أثقالكم من أولكم إلى آخركم"[٦]، والحلاج يخاصم ربه قائلاً: "فاعف عن الخلق ولا

---

[١]-ص ٧٣ جـ٢ الكبرى.

[٢]-ص ٣٨١ دراسات في التصوف الاسلامي.(ص)٣٤٨ تلبيس ابليس .ص٤٣ شطحات الصوفية.

[٣]-ص ٢٨ تاريخ التصوف الاسلامي.

[٤]-ص ١٠٢ النور في كلمات أبي طيفور.

[٥]-ص ٣١ شطحات الصوفية.

[٦]-ص ٦٣ الفتح الرباني.

تعف عني، وارحمهم ولا ترحمني، فلا أخاصمك لنفسي"[1]، بل وكان يطلب النار طلبه لواحد من المقامات قائلاً:

"فكل مآربي قد نلت منها   سوى ملذوذ وجدي بالعذاب"[2]

أما الرفاعي فقد تكفل بحماية مريديه من سعير جهنم، ومهما فعلوا من رذائل وجرائم فمآلهم إلى الجنة حتماً وفي ذلك يقول:

"وأحمي مريدي على كل حالة   وادخلهم دار النعيم أمامي "[3]،

وشفاعة الشيخ احمد بن سلمان تنال بزيارة مسجده فحسب "يقول: ما دخل أحد إلى مسجدي هذا ثم صلى ركعتين إلا أخذت بيده في عرصات القيامة فإن الله شفعني في جميع أهل عصري"[4] والدسوقي يقول: "من زارني اسكنته جنة الفردوس"[5].

فهلا علمت أيها المريد المقصود من شفاعتهم هذه؟ انها للترويض لتخرجك عن إيمانك بالجنة والنار، لتكون مهيأ لسلوك دروبهم وأنت مطمئن البال. فاحذر من شباكهم التي كالأخطبوط، ففرعنهم فرارك من الطاعون، قبل انكارهم لك عند ربك يوم لا ينفع الندم.

---

[1]-ص ٧٦ الحلاج شهيد التصوف الاسلامي.

[2]-ص ٨٣ نفسه.

[3]-ص ٢٣٥ قلادة الجواهر.

[4]-ص٨٢ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[5]-ص١٨١ جـ١ نفسه.

-الصوفي يبيع الجنة:

إن من موارد الصوفي الاقتصادية كما قلنا من قبل بيع الجنة، فذات مرة اصطاد أحد العوام عصفوراً فربطه من رجله، ولما أراد الشيخ أحمد الرفاعي تحرير العصفور من العذاب قال الصياد: بشرط أن "أكون في صحبتك غداً في دار السلام، وأجوز معك بالسلام على الصراط"[1] واتفقنا على هذا الأساس ووعده الشيخ بما أراد.

ومرة أخرى أراد شيخنا هذا شراء بستان فطلب صاحبه قصراً في الجنة، وبعد أن سأل الرفاعي ربه «قال: أي اسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت»[2] وبعدها تمت كتابة العقد الذي بيّن فيه الرفاعي حدود القصر وموقعه في جنة عدن. والشيخ ابن أبي حاتم الأصم ضَمِنَ لواحد من الكفرة قصراً في الجنة لقاء ألف دينار، وكتب له عقداً بذلك.![3] أما الشيخ مدين الأشموني فقد ضمن الجنة لامرأة لقاء ثلاثين ديناراً، ولما ماتت جاءت أهلها في المنام لتقول: «اشكروا الشيخ فإني دخلت الجنة»[4]، والشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية يقول في كتابه "جواهر المعاني": «من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب»، وحتماً ليس بلا ثمن.

ولكن ألا تلاحظ أيها المريد كيف يبتز أولياء التصوف سذج المسلمين بما يؤمنون به. وهم بالأصل على خلاف مع المسلمين بما يعتقدون به. وكيف لأهل التصوف ألا يحقدوا على الفقيه والمحدث، بل وعلى الشرع كله بما فيه من الحلال والحرام أو بما فيه من قيود؟

---

[1] - ص١٨٩ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] - ص٧١ نفسه.

[3] - ص١٨٩ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4] - ٢١٠٢ نفسه.

[5] - ص٢١٤ التصوف بين الحق والخلق.

-ابليس والجنة:

أما كبيرهم، أما الشيخ الأكبر ابن عربي فيقول:"من عبد الله لشيء فذلك الشيء معبوده وربه والله بريء منه"[١].أي أن من امتنع عن السرقة والزنا وأقام التكاليف وامتثل للطاعات لإيمانه بالوعد والوعيد فهو مشرك وأن الله بريء منه. أما عن الوعد والوعيد فاعلم كما يقول ابن عربي ان هذا لا حقيقة له إلا من باب الحيلة لأنه لا إنجاز برأيه إلا للوعد لا للوعيد وفي هذا يقول:

"وعدنا وأوعدنا فأما وعيدنا فاتركه إن شئت والوعد ناجز

وليس يرى الإنذار إلا مقصر جهول بما قلنا عن الحق عاجز"[٢]

فلا عذاب ولا حساب وليس إلا النعيم.

ولكن ما الذي تعنيه "جهنم" عند الرجل؟ إنها البعد" إنها الحجاب. "جهنم هي البعد"[٣] بل "واي جهنم أعظم من الجهل"[٤]. "وأما الاستعاذة من عذاب جهنم فإنها الاستعاذة من البعد فإن جهنم معناه البعيدة القعر"[٥] قياساً على قولنا: ركية أو بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر.

لا وعد ولا وعيد والكل جبر، وكل يعود إلى طبيعته، فجهنم بالخاصية تجذب أهلها "جذب المغناطيس الحديد"[٦]، لا بالأعمال والحساب وإلى ما هنالك. وليس بالضرورة أن تكون جهنم دار عذاب وآلام بل بالعكس فهي نعيم كلها، وكل ما فيها نعيم، ولكل حسب

---

[١]-ص ١٧٤ جـ١ ف٢٢ الفتوحات المكية.

[٢]-ص ٤٦ جـ٤ ف ٤٣٥ نفسه، فلا عذاب ولا حساب وليس إلا النعيم.

[٣]-ص ١٠٧ جـ١ فصوص الحكم.

[٤]-ص ٦٦٠ جـ٢ ف ٢٩٢ الفتوحات المكية.

[٥]-ص ٤٣١ جـ١ ف ٦٩ نفسه.

[٦]-ص ٢٠٧ جـ٤ ف ٥٥٨ نفسه.

العالم، ولولا أن "هامان" وهـو رجـل الديـن كـان زاعمـاً لرؤيـة الآلهـة وخطابهم عن طريق الكشف أو قواه المميزة كما يزعـم مـا طلـب منـه فرعون أن يبني له "صرحاً: حتى يرى الرب الذي قال به موسـى علـى العيان.

فآسية مؤمنة بأن الجنة هناك في العالم الآخر، وهي تؤمـن بأنهـا ذات وجود موضوعي. وبإيمانها هذا كان رفضها لعيان "هامان" بما فيه من تعدد في الألوهية، بما فيه من مزاعم وأكاذيب. فلا تكن كالهامان با شيخ ابراهيم ولا تقلد الهامان كفرعون، واحتفظ بالإيمان ليحفظك الله من أهل العيان والبهتان. أم ستقول بإيمـان فرعـون وولايتـه؟! بلـى، إن كنت على التوحيد الصوفي فـلا بـد لـك مـن ذلـك، وإلا فكيـف لـك التمييز بين ابي يزيد القائل هو وأمثاله "سبحاني" وبين فرعـون القـائل: "أنا ربكم"؟

- فرعون بين الألوهية والإيمان:

ابو يزيد البسطامي مثلاً يقول: "سبحاني ما أعظم شأني"، وفرعون يقول: "أنا ربكم الأعلى". فما الذي سيقوله أهل التصوف وهم أهل التوحيد في فرعون الذي لا فرق في المزاعم بينه وبين أولياء التصوف؟.

ابن عربي يقول عن فرعون: "فلولا كمال الصورة في الانسان ما ادعى الربوبية، فطوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المنزلة من العلو"[1]. "فرعون كان عنده علم با لله"[2] فهو العارف ولولا كمال صورته على صورة الرحمن ما زعم الألوهية والربوبية، فطوبى له. بل وما زعم الربوبية إلا لما أصبح ا لله لسانه "وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون"[3]. "لذلك قال على لسان عبده أنا ربكم الأعلى-. إنما يخشى ا لله من عباده العلماء، وقد قال "سبحانه": لعله يتذكر ويخشى"[4] وما بالك إن كانت "لعل" من ا لله واجبة الوقوع. فلولا أن فرعون من العلماء العارفين با لله ما قال تعالى بحقه "لعله يتذكر أو يخشى" بل هو رداء ا لله في عظمته فـ"الحق تردى بك "يا فرعون"- فإن الرداء يحيط بالمرتدي"[5].

وفرعون هذا الذي أصبح الحق سمعه ولسانه ويده، لا بد حسب كشفيات أهل التصوف أن يموت على الإيمان وأن يكون مآله إلى النعيم، وابن عربي يقول: نعم، فرعون إنما قد "آمن عن علم

---

[1]-ص٦٤٢ جـ٢ ف٢٨٨ الفتوحات المكية.

[2]-ص١٧٨ جـ٣ ف ٣٤٤ نفسه.

[3]-ص٤٣٦ جـ١ ف٦٩ نفسه.

[4]-ص٥٣٣ جـ٣ ف٣٨٦ نفسه .

[5]-ص ٢٤٥جـ٤ فـ٥٥٨ نفسه.

محقق"[1]، ولإيمانه هذا نجاه الله بجسمه ليكون آية "أي علامة لمن آمن بالله أن ينجيه الله ببدنه"[2].

وانطلق بعدها ابن عربي محاوراً ومأولاً كل الآيات التي تعرضت لفرعون على طول وعرض كتابه الفتوحات إضافة إلى كل ما في جعبته من منامات ومعارج ووقائع كشفية حتى استقام له العدل الناتج عن توحيد الأفعال والوجود حيث ما ثم إلا الله والكل جبر، وعندها لا فرق بين موسى وفرعون أو الخراز والخنزير.

ولكن هل لاحظت يا شيخ ابراهيم كيف اعتمد ابن عربي على حديث"النوافل" حتى جعل من فرعون عارفاً مؤمناً بالله، حتى كان له سعادة المآل؟ ولكن ألا يعني هذا أن كل الذين أخذوا هذا الحديث بالمعنى الوجودي هم كفرعون في زعمهم الألوهية والربوبية وإلى ما هنالك؟ وبالفعل فلا فرق قطعاً بين "سبحاني" و"أنا ربكم" وكلهم واحد، هذا ما يقوله كبيرهم لا نحن!!

---

[1]-ص٥٣٣ جـ٣ ف٣٨٦ نفسه.

[2]-ص١٦٤ جـ٣ ف٣٤١ نفسه.

-الولاية والنبوة:

إن جذور الحوار أو الصراع ما بين الولاية والنبوة في الفكر الصوفي ترتد بأصولها إلى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام. فأهل التصوف قالوا: بأن الخضر ولي وما زال حياً. وقال غيرهم: لا، بل هو نبي وفي قوله تعالى: ﴿فوجد عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ يفسر ابن عباس و "علمناه علماً" بقوله: أي "علماً من الغيب" وإعتماداً على هذا الرأي قال ابن كثير بنبوة الخضر لقوله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول" فالخضر نبي مرسل إلى قومه، وبهذا الرأي أخذ كل من اسماعيل بن أبي زياد ،ومحمد بن اسحاق، وابو الحسن الرماني، وابن الجوزي، وغير هؤلاء كثير. و"الرحمة" الواردة في الآيات تعني النبوة، والجمهور على أنها الوحي والنبوة، وهو رأي الألوسي، والنسفي، ومقاتل.

أما مصطلح "الأمر" في قول الخضر: "وما فعلته عن أمري" فيعني عند الطبري أن الخضر واحد من الأنبياء، وبهذا المصطلح استشهد القرطبي، والنووي، والمازري، والنسفي، والأصم، على نبوة الخضر.

ولا يخفى أن المتأمل في هذا الرأي القائل بنبوة الخضر ورسالته سيري أنه مرتبط بدفع احتمال القول بأفضلية الولاية على النبوة، وبهذا الرأي يكون التلاؤم الأصح مع طبيعة المبدأ النافي لأي مقام يساوي النبوة أو يتجاوزها.

ومن نتائج القول بنبوة الخضر ورسالته إلى قومه يأتي القول بموته والذين رجحوا موته على حياته الأبدية، جعلوا من الرسول(ص)معياراً من فقوله تعالى: ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ وقوله

أيضاً: ﴿ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾، وإذا ما كان الخضر بشراً وهذا أكيد، عندها يكون دخوله في عموم الموتى لقوله(ص)ايضاً: "لا نبي بعدي".

وقد سئل البخاري عن الخضر وإلياس عليهما السلام هل هما حيان؟ فقال: كيف يكون هذا، وقد قال النبي(ص)قبل وفاته: "لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد".

أما حديث "التعزية" الذي ورد في مسند الإمام الشافعي فإن الإمام احمد بن حنبل قد كذّب بعض رواته، وجعله من جملة المرسل، والنووي والعراقي ضعفا اسناده، والأغلب من المحدثين قد رأوا أن الصحاح من الأحاديث تقطع دابر دعوى حياة الخضر منهم البخاري وابراهيم الحربي، والمناوي، وابن الجوزي، وإلى ما هنالك.

أما أهل التصوف فقد قالوا في تفسير"وما فعلته عن أمري" أي "إن ما فعلته عن أمري" أو شأني، وفي قوله تعالى:﴿وآتيناه رحمة من عندنا﴾ قالوا: لا يلزم أن كل نبوة رحمة. وفي قوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ قالوا: إن المبادىء أو الضروريات تحصل ابتداء من الله ولا يدل هذا على النبوة . وفي قول موسى: "لا أعصي لك أمراً" قالوا بجواز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف عليها نبوته. وهنا بيت القصيد ونقطة التماس ما بين الولاية والنبوة.

أما عن موت الخضر فقد أجمع أهل التصوف على أنه حي باق أبداًوبعضهم قالوا بأنه سيموت في آخر الزمان أو بعد قتاله للدجال.

وبعد أن وضعنا يدنا على الأساس الأول في علاقة الولاية بالنبوة، نرى لزاماً لاستكمال رؤية هذه العلاقة أن ننظر إلى الأساس الثاني، وهو لا يقل خطراً عن الأول، وأعني به أقوال الفلاسفة في

تفسيرهم للنبوة. فالنبوة مثلاً براي الفارابي وابن سينا ومن لـف لفهمـا تعتمد على ثلاث قوى ذاتية للنبي وهي:

١ – القوة القدسية التي بها ينال النبي المعرفة أو العلوم عن المـلأ الأعلى بلا معلم.

٢ – القوة المتخيلة التي لهـا تجسيد مـا يعقلـه النبي من المعـاني العلوية في العالم الحسي.

٣ – القوة الفاعلة وبهـا يؤثر النبي على العـالم أو ظواهـره في صنعه للمعجزات.

وهـذه الملكـات أو القـوى قـد تكـون للمرضـى والممروريـن والمجانين والكهان. وهكذا تكون النبوة قد خرجت من دائرة الإصطفاء لتصبح بدائـرة الكسـب، حيث لكـل ملكـة أو قـوة مـن هـذه القـوى رياضات خاصة مشروطة بها، ومن كانت له كانت له النبوة.

خُصَّت به الأنبياء، خصت به الأولياء"[1] وهل الأولياء إلا ورثة الأنبياء؟!. والتستري يقول: " ما من نبي إلا وله نظير في أمته" [2]. وإن كانت النبوة مثلاً اصطفاء، فكذلك الولاية، فالولاية اصطفاء من الله لعبده[3] والحمد لله الذي اصطفى (من عباده أنبياء وأولياء وأقطاباً وغوثاً وابدالاً) [4]. وحتى "العصمة" هي الأخرى مشتركة بين الولي والنبي، والرفاعيون مثلاً يقولون: "كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه مخلوقاً من الرحمة مؤيداً بالثبات والعصمة"[5]، أما الشيخ عبد القادر الجيلاني فهو معصوم حتى من المكر الخفي، فقد "أخذ من الله سبعين موثقاً أن لا يمكر به"[6]، أما الشيخ أبا القاسم كما يروي القشيري فيقول: إن "من شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً"[7] فربما أن الرجل قد خشي أن تكون عصمة الأولياء تؤدي إلى مساواتهم بالأنبياء حتى ميز بين العصمة والحفظ حيث لا تمييز بينهما بالفعل، أو ربما أن الحفظ هو الباطن للعصمة وعندها لا فرق إن لم يكن الحفظ أعظم من العصمة.

وختم الولاية هو الآخر من المصطلحات التي سعى بها الصوفي لمضاهأة ختم النبوة، فالشيخ محمد وفا زعم انه "خاتم الأولياء"[8] والشيخ

---

[1]-ص ١٦٠ الانسان الكامل في الإسلام.

[2]-ص٢٩٢ من التراث الصوفي.

[3]-ص٩٤ جـ٢ الابريز.

[4]-ص ٥ جـ٢ نفسه.

[5]-ص٥٢ - قلادة الجواهر.

[6]-ص ١٣٩ نفسه.

[7]-ص١١٧ الرسالة القشيرية.

[8]-ص٢١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

– الصوفي وحسد النبوة:

الصوفي يضاهيء النبوة حسداً لها، والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "يا قومنا فاتتكم الرسالة والنبوة لا تفوتكم الولاية"[1]، وابن سبعين حسب رواية فوات الوفيات" يقول: "لقد حجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي"[2] وكيف له ذلك والأولياء يأتون بما تأتيه النبوة بلا فرق، ولكن كما يقول الشيخ علي ولده: "ما جاء أحد بما جاء به محمد إلا عودي"[3]. فالقوم إذن يأتون بما أتى به محمد(ص)ولكنهم يخشون عداء الناس. والرفاعي "قال رضي الله عنه: لم يجلس في البساط مع النبي(ص)في حضرة الربوبية إلا ثلاث: سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه، والشيخ منصور قدس سره، والرجل الآخر يشير بها إلى نفسه الطاهرة ولم يصرح بها أدباً"[4] فللرجل إذن الوصول إلى مقام النبوة، إلا أن الأدب والتواضع منعاه من التصريح بذلك.

أما الشيخ عبد الكريم الجيلاني فيزعم وصوله إلى مقام "صلصلة الجرس"[5]. والغزالي أيضاً يساوي في المعرفة بين الولاية والنبوة قائلاً: "فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً"[6] فالولي والنبي برايه سواء إلا أن النبي يستخدم كشفه لاصلاح الخلق بينما الولي لا علاقةله بهذا الأمر وهذا هو كل الفرق بينهما، فالفرق إذاً فرق بالاسم فقط. والشيخ ابن قضيب البان يروي عن ربه أنه قال له: "كل ما

---

[1]-ص ٣٣١ الفتح الرباني.

[2]-ص ٤٣ يد العارف.

[3]-ص٥٣ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص١٨٢ قلادة الجواهر.

[5]-ص٤٠جـ١ ف١٤ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[6]-ص ٢٥-٢٦جـ٣ إحياء علوم الدين.

علي ولده زعم هذا "المقام لوالده"[1] والرفاعيون يقولون عن شيخهم أحمد الرفاعي: إن الله "ختم به الولاية كما ختم بمحمد(ص)النبوة"[2] وزعمها كثيرون كثيرون وعلى رأس هؤلاء الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي إلى حد أن الشعراني المسكين يقول على استحياء وخجل: "والذي يظهر أن لكل زمان ختماً"[3].

---

[1]-ص٣١ نفسه.

[2]-ص٤٦ قلادة الجواهر.

[3]-ص٣١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

- **صفات الأولياء:**

صفات أولياء التصوف حقيقة لا حصر لها، إلا أن قلنا إن الولي الصوفي ليس إلا إلهاً رضي بتواضعه أن يعيش على الأرض شأنه في ذلك شأن آلهة الأولمب اليونانية. ولكن من باب ضرب الأمثلة نقول بصفاته المميزة كمقارنة مع صفات النبوة التي هي كحد أعظمي للبشر وفق ما نعتقد نحن المسلمون.

الاصطفاء من صفات الولاية. فقد تنبأ الشيخ العربي الفشتالي بخبر نبوي كما يزعم بولاية الدباغ قبل أن يولد"[1] "والدباغ نظر ذات مرة إلى طفل جميل فقال لمن معه: "إنظر إلى الولاية في ذاته، فإنها لا تخفى على أحد"[2] وللشبربلي أيضاً هرة لها تمييز ومعرفة الأولياء[3] والشيخ نجم الدين الكبرى يرى أن "من علامات الولي أن يكون محفوظاً -. وأن يعرف اسم الله الأعظم -. وأن يُعطى "كن" وهي كلمة التكوين[4]. ومن علامات الولي أو شروطه عند الشعراني أن "يجتمع بالخضر وأن يصلي في مكة"[5]. لا في المساجد التي في بلدته. ومن صفاته أيضاً "الشفاعة"[6]، وأن "يرى اللوح المحفوظ ويقرأ فيه وله سماع صرير الأقلام وأصوات الملائكة والجان ومنهم - من له- منطق الطير"[7]، ومن علامات القطب عند الشاذلي "خمسة عشرة علامة: أن يُمَدّ بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم

---

[1]-ص ٤١ جـ١ الابريز.

[2]-ص ٣١٦ - ٣١٧ جـ٢ نفسه.

[3]-ص ٥٤ روح القدس في معرفة النفس.

[4]-ص٣٨١ ٣-٣٩/١٩٨٩ مجلة التراث العربي.

[5]-ص١٠ جـ٢ الابريز.

[6]-ص ٢٩٠ التصوف والثورة الحدبة في الإسلام.

[7]-ص١١ جـ١ الابريز.

ويُكشف له حقيقة الذات وإحاطة الصفات-. وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم"[1] والقطب عند ابن عربي "هو الرجل الكامل الذي حصل الأربعة دنانير:-. الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون"[2].

ولكن ماذا إن تساءلت بعد هذه النبذة اليسيرة عن موضع محمد(ص)من هذه المراتب والصفات الجلل؟ عندها سيقولون: اعلم أن القطبية الكبرى هي له(ص)ولكن إلى "٢٣ سنة" [3]، وبعدها إلى الورثة!!.

فسمات الأولياء لمن تتبعها سيرى أنها ذات مناح رئيسية ثلاث وكلها إلهية وهي الآتي:

١ - عرفاني إلى حد مساواة معرفة الولي با لله نفسه.

٢ - إرادي يتعلق بقدراته التي لا مستحيل أمامها، أو أمام "كن" التي يملكها.

٣ - وجودي ، سواء بوجوده المبشر به، أو بحفظه للوجود، أو بنيابته لله بما لله من قدرةمطلقة وعلم شامل.

ولكن آلا يعني هذا إن تم ربطه بالوراثة، أن الصوفي سيرث النبوة نفسها؟ ولكن عندها سيتساوى معنى الوراثة بمعنى اكتساب النبوة واستمرارها بعد محمد(ص)وهذا ما يجب أن ننظر فيه.

---

[1]-ص٧٨ جـ٢ م٤٥ اليواقيت والجواهر.

[2]-ص ٧٩ نفسه.

[3]-ص ١٥ جـ٢ الابريز.

- اكتساب النبوة:

الولي الصوفي الذي أصبح على صفات الهية بكل ما تتميز به الألوهية من معنى، لم يعد يرى في النبوة ذلك الشيء العظيم، لا إن زعمها، ولا إن ربطها بالكسب. والغزالي من حيث المعرفة يساوي بين النبي والولي قائلاً: انظر إلى الأخبار "أخبار رسول الله(ص)عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن، وإذاجاز ذلك للنبي(ص)جاز لغيره. إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً"[1].

أخبار النبوة، أخبار القرآن، كل ذلك حسب رأيه طريقه الكشف، وليس من استحالة أمام الله القادر أن يكون هذا كله لشخص آخر. ولكن لا يسمى هذا الشخص نبياً وإنما يسمى ولياً، لأن الولي لا يستخدم كشفه لاصلاح الخلق حتى وإن كان هذا الكشف هو نفسه الكشف النبوي، والولي عندها كنبي غير مكلف وهذا هو كل الفرق. إضافة إلى أن النبي له الكشف "في أسرع وقت"[2] ويقول الغزالي ملمحاً إلى ربط مقام النبوة بالكسب :"وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم[3]، والرسول(ص)"كان عقله محيطاً بجميع العلويات والسفليات"[4] عن طريق العقل الفعال الذي

---

[1]-ص ٢٥-٢٦ جـ٣ إحياء علوم الدين.

[2]-ص ٨ جـ٣ إحياء علوم الدين

[3]-ص ٥٢ جـ١ نفسه.

[4]-ص١٠٨ جـ١ الرسالة اللدنية.

قال بـه فلاسفة الفيض، أي أن"سبب العلم العقل الفعال أو الملك المُقرب"[1] المسمى "أبا صلصيائيل أي جبريل"[2] على حد تعبير الغزالي.

وبياناً للرياضات المؤدية للاتصال بالعقل الفعال يقول الغزالي: "فالأنبياء والأولياء، انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب. بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له"[3] فالأنبياء والأولياء إذن سواء في دروب اتصالهم بجبريل أو العقل الفعال، إنها الرياضيات، انها الزهد فيما سوى الله وإفراد القصد إليه، ومن كان لله كان الله له ومن سلك هذه الرياضات كانت له النبوة أو الولاية ولا بد.

فالرياضات هي التي تنقل الانسان من بشريته إلى الملائكية، وما الرسول إلا ملك في صورة بشرية فـ"العلماء يتشبهون بالأولياء، والأنبياء بالملائكة، حتى تمحي عنهم الصفات البشرية بالكلية فينقلبون ملائكة في صورة الناس"[4]. وعندها حسب الغزالي يكون لهم الاتصال بجبريل أو العقول المفارقة لأنهم قد أصبحوا على طبيعة واحدة، وبغيرهذه المشابهة فلا إتصال ولا علم ولا معرفة و "بشريته(ص)فوق بشرية الناس لاستعداد بشريته لقبول الوحي"[5]. ومن ثم أصبح الاصطفاء لدى حجة الإسلام يعني الوصول لاستعداد التلقي أو الوصول إلى الطبيعة الملائكية.

---

[1]-ص ١٤٣ معارج القدس.

[2]-ص ١٢٤ سر العالمين.

[3]-ص ١٩ جـ٣ إحياء علوم الدين.

[4]-ص ١٢٣ ميزان العمل.

[5]-ص ١٣٢ معارج القدس.

النبوة مشروطة بالرياضات كما يقول الغزالي "وإن العمل بموجب النبوة ليس يخلو عن اكتساب واختيار لاعداد واستعداد-. "ومن رياضاته(ص)أنه" تورمت قدماه من العبادة-. وكان(ص)يتحنث بحراء قبل الوحي، وحبب إليه الخلوة"[1]، واستغفاره(ص)برهان أكيد على ترقية في المقامات وفق ما يقوم به من رياضات فقد "قال عليه السلام: إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين" وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعداً بالإضالة إلى القدم الثاني، ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب"[2]، فإن التفت النبي(ص)إلى ما سوى الله عاقبه الله بالحجاب فيستغفر فيترقى إلى المقام الأعلى وهكذا، وما الاستغفار عندها إلا الاستغفار من المقام الأدنى لينتقل إلى ما فوقه. وهكذا أصبح الرسول(ص)خاضعاً لفكرتهم عن المراتب ،فما كان عنه"ص" وهو في مراتبه الدنيا يخص العوام وهذا بالطبع شأن مختلف وهو على المقامات العليا التي تخص أهل الباطن.

وأخيراً لم ير الغزالي بداً من الأخذ بما قاله الفلاسفة بالضبط دون زيادة أو نقصان ليقول: "النبوة عبارة عما يختص به النبي أو يفارق به غيره-.

- إن له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات-.
- إن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم-.
- إن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب، إما في اليقظة أو في المنام، إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب"[3]

---

[1]-ص ١٣٠-١٣١ معارج القدس.

[2]-ص ٣٣٥ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[3]-ص ١٩٤ جـ٤ إحياء علوم الدين.

فالنبي إذن حسب رأي الغزالي مميز بنفسه عن بقية الخلق بقوى أو ملكات خاصة بها يحصّل العلم ويصنع المعجزات، أما عن قوة المخيلة التي ها تجسيد المعاني التي منها جبريل في الوجود الحسي - أو لتفسير رؤية جبريل بالنظر الحسي يقول الغزالي: إن أقوى الكشف أو الرؤية "أن تكون المتخيلة مستمرة في محاكاتها، والعقل العملي والوهم لا يتخليان عما استثبتاه، فثبت في الذاكرة صورة ما أخذت،وتقبل المتخيلة على بنطاس وتحاكي فيه ما قبلت بصور عجيبة مسموعة مبصرة"[1] أي أن العقل العملي يشاهد المعقولات العلوية، حتى تثبت في الذاكرة، ومن ثم تأتي المتخيلة فتأخذه من المصورة لتجسده في العالم الخارجي على صورة مسموعة مرئية، وبهذا التفسير حسب رأيه كانت رؤية جبريل. وجبريل عندها ليس إلا معنى مجرد لا وجود موضوعي له، وليس هذا كما يقول الغزالي خاصاً بالأنبياء وحدهم بل "المجانين قد يشاهدون ما يتخيلون"[2] ولهم أن يجسدوا خيالهم تماماً كالأنبياء "فالمرورين والمجانين - كما يقول - يعرض لهم أن يتخيلوا ما ليس موجوداً -. وأما إخبارهم بالغيب فإنما يتفق ذلك لهم عند أحوال كالصرع والغشي الذي يفسد حركات قواهم الحسية"[3].

وهل التصوف كله إلا رياضات وفناء؟ فالتصوف إذن هو الأولى بالنبوة ودروبها!!على الأقل أولى من الممرورين والمجانين.

فالنبوة إذن في حقائق الغزالي، أو في اعتقاده الباطني إنما هي كسب ورياضات وملكات، هذا ما تقول به أقواله، وأرجو ألا تندهش

---

[1]-ص ١٣٨ معارج القدس.

[2]-ص ١٣٩ نفسه.

[3]-ص ١٣٩ نفسه.

أيها المريد، وها هو كبيرهم ابن عربي يقول عن قضية الاعتقاد بكسب النبوة: فإذا وقفتم على كلام أحد من أهل الله أصحاب الكشف يشير بكلامه إلى الاكتساب كأبي حامد الغزالي وغيره فليس مرادهم سوى ما ذكرناه-. فالنبوة مقام عند الله يناله البشر-. يُعطى للنبي المشرع ويُعطى للتابع"[1].

والتابع أو الوارث حسب ابن عربي هو الولي الذي له نبوة الولاية لا نبوة التشريع، وهذا ما قال به الغزالي قبله كما رأينا لما ميَّز بينهما باصلاح الخلق، وكلاهما أي نبي التشريع أو الإصلاح ونبي الولاية لم تكن لهما النبوة إلا بالرياضات، ثم إن كان الولي يصل إلى الله ويأخذ عنه ويخاطبه، وإن كان له فعل الخوارق التي قد تفوق معجزات الأنبياء، فأية شعرة عندها لها التمييز بين الولي والنبي؟!.

ولكن ما رأيك يا شيخ ابراهيم وقد حاولتم خديعة الخلق بحيلتكم القائلة بضرورة الفصل ما بين التصوف الفلسفي والتصوفي السني الذي جعلتموه ممثلاً بحجة الاسلام الغزالي. لا، لا يا شيخ ابراهيم، فلا فصل، وكل المتصوفة إن نظرت في حقيقتهم ستراهم سواء، بل ولا فرق هناك بين التصوف الموجود في البيئة الاسلامية والتصوف الهندوسي أو الفارسي أو اليوناني أو الصيني. وأقرأ هذا إن شئت فما أكثره لمن طلبه. واعلم بأن الظاهرة الصوفية أنى ذهبت فلن تراها إلا رياضات وفناء، وجد وإتحاد، توحيد أفعال ووجود، معرفة وخوارق. وتلك هي السمات الرئيسية للظاهرة الصوفية وإلا فلا تصوف، وها هو الغزالي مثلاً فلا تراه في حقيقته إلا قائلاً بتوحيد الأفعال، بوحدة الوجود، وباكتساب النبوة، وبتأويل التكاليف وبتأويل

---

[1]-ص٣جـ٢ ف ٧٣ الفتوحات المكية.

الجنة والنار.فما الذي أبقاه إذن للإسلام؟ واعلم أيضاً بأن التصوف ليس بمذهب وإنما هو دين ذو بدائل واصول وعقائد مختلفة. أم ترانا سننخدع بنفق المراتب والتقيه؟ لا؟،لا، فاحذر أن تخدع نفسك، واحذر أن تدس عقلك في الرمال لتصرخ: مدسوس ، مدسوس، لأنك أنت المدسوس عندها لا أقوالهم وحقائقهم، فاتق الله في عقلك لأنك ستُسأل فيما استخدمته.

أما ابن مسرة فكان يقول: "إن من بلغ الغاية من الصلاح، وطهارة النفس أدرك النبوة، وأنها ليست اختصاصاً أصلاً"[1]. والشيخ أبو حمزة الأزدي حسب "بهجة النفوس" يرى أن "النبي(ص)أخذ أولاً في التحنث ودام عليه بأدبه، إلى أن ترقى من مقام إلى مقام، حتى وصل إلى مقام النبوة"[2]. وابن سبعين "كان يقول معلقاً على حديث رسول الله(ص)"أنا العاقب فلا نبي بعدي":لقد زدت فيه "نبي عربي يعني نفسه"[3].

أما الشيخ عبد القادر الجيلاني فيقول: "الأنبياء عليهم السلام ما زالو يخالفون نفوسهم وطباعهم وشهواتهم حتى التحقوا بالملائكة من حيث الحقيقة لكثرة مجاهداتهم ومكابداتهم لأنفسهم"[4] ومن باب وراثة الأولياء للنبوة في دروب تحصيلها يقسم شيخنا هذا قائلاً: "والله ثم والله إن أحوال الأولياء كأحوال الأنبياء، لكن لقبهم غير ألقابهم"[5]، وكأنه الفرق بين لفظي السيف والمهند.

---

[1]-ص ١٢٩ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة.

[2]-ص ٢٤٦ حقائق عن التصوف.

[3]-ص ١٩٢ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة.

[4]-ص ٩٠-٩١ الفتح الرباني.

[5]- الأعراف ٢٠ - ٢١.

النبوة إذن رياضات تحيل بشرية سالكها إلى الطبيعة الملائكية حتى يكون له أخذ العلم عن الملائكة. إلا أن القرآن يكذب هذه المزاعم، وذلك في قوله تعالى: "فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين"[1].

فتغير طبيعة الانسان إلى طبيعة ملائكية بحكم الله عزوجل دعوة شيطانية، وشيطان كل من زعمها، ولا بد لزاعمها من أغراض سيئة، وشيطان كل من زعم الوصول إلى الاتحاد بالله المشار إليه بالخلود، وكل الشياطين يستخدمون القسم كبرهان لمزاعهم. وكيف يقولون أن محمداً(ص)تطور إلى الملائكة حتى كان له العلم عنهم وهو القائل "ولا أقول إني ملك"[2]وها هم الملائكة قد جاؤوا إلى ابراهيم عليه السلام بصورة بشرية حتى أخذ العلم عنهم أو حتى أفادوه العلم بما سيحدث لقوم لوط"[3] وهم أيضاً قد ذهبوا إلى لوط عليه السلام بصورة بشرية حتى أن قومه ظنوهم بشراً على الحقيقة "[4] فإن كان هذا شأن الملائكة والملأ الأعلى مع الانسان، وإن كانت النبوة اصطفاء لا رياضات. عندها ليس هناك إلا الجن الذين يتلاعبون بالصوفي زاعمين له انهم الملائكة أو عقول أو أرواح الأفلاك وإلى ما هنالك. وعن قدرة الشياطين لهذه المزاعهم يقول الله عزوجل ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا

---

[1]- الأعراف /٢٠-٢١.

[2]- هود /٣١.

[3]- هود /٦٩.

[4]- هود /٧٧.

من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾[1]. وهل عبثاً كان التوحيد الصوفي واهباً البراءة والنعيم لابليس؟ والأغرب أن سهل التستري قد اعترف بأن ابليس هو شيخه في مسألة التوحيد وهذا ما سوف نراه فيما بعد.

والسهروردي المقتول إيماناً منه باستمرار النبوة يكرر هو الآخر ما قاله الفلاسفة والغزالي من أن النبوة ذات ملكات أو قدرات نفسية أو شخصية ثلاث هي:

"١ – قدرة عقلية ينال بها العلم من غير معلم.

٢ – قوة خيالية يرى فيها الأمور الغيبية.

٣ – قوة تؤثر في العالم"[2] وقد قال في كتبه إن الله يملك إن شاء أن يخلق نبياً بعد محمد(ص)ولا استحالة على الله مطلقة[3] والنبوة برأيه لا تنقطع "فهي ضرورية الحصول من وقت إلى آخر لحفظ النظام ولمصلحة النوع"[4] وما الانقطاع إلا لنبوة التشريع فقط، أما نبوة المعرفة أو النبوة العامة فـ"غير مقفلة"[5]

وهكذا يصبح الرسول خاتماً لنبوة التشريع دون نبوة الولاية أو المعرفة،.وبهذا الفصل بين الجانب التشريعي والجانب المعرفي في النبوة يكون استمرار النبوة عند أولياء التصوف، وعندها يكون من حقهم زعم العقائد الأخرى طالما هي معرفية، ولا يحق لهم نسخ الأحكام الشرعية ولكنهم على الحقيقة حتىالشؤون التشريعية نسخوها بالفعل بزعمهم التشريع المباشر عن الله وبمساواتهم للنسخ بالاجتهاد.

---

[1]- سبأ -٤١.

[2]-ص ١٣٠ شخصيات قلقة في الإسلام.

[3]-ص٣٤٧ أصول الفلسفة الاشراقية.

[4]-ص٢٨ نفسه.

[5]-ص ١٠٠ الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم.

أما ابن عجيبة وبمعرض حديثه عن أنواع الوحي الأربعة يقـول: لقد "شاركت الأولياء الأنبياء في ثلاثة: وحي إلهام، ووحي إعلام وهو الفهم عن الله و انفردت الأنبياء بوحي الأحكام"[١] والشـعراني يضيـف إلى هذه المشاركة الكتب اللدنية التي للأولياء قائلاً :فوحي الـولي أيضـاً "قد يكون كتاباً ويقع ذلك كثيراً للأولياء كقضيب البان ونحوه" [٢].

إذن فلا خصوصية للأنبياء إلا انفرادهم بالتشريع أو الأحكـام ، أما نزول القرآن الذي يشيرون إليه بالفهم، أما العقائد، فكـل ذلـك لا فرق فيه بين الولي والنبي. وكما قال محمد مثـلاً لا إله إلا الله يقـول الصـوفي في نبوتـه المعرفيـة لا موجـود إلا الله، وكمـا قـال الرسـول بالتكاليف البدنية، يقول أنبياء الولاية بعبادة التأمل. والمهم في الأمـر ألا يصرِّح الصوفي بإلغاء الأحكام الشرعية أمام الملأ وتلك هي كل المسـألة على الأقل حفاظاً على دمه من متولي الحدود.

---

[١]-ص١١٩ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[١]-ص٢٣١ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[٢]-ص٥-٦ جـ١ الأنوار القدسية.

- **الولاية أفضل من النبوة:**

إن للصوفي قولاً مؤلفاً من مقطعين: الأول قوله: "نهايات الأولياء بدايات ألأنبياء" وهذا موجَّه للمريدين. والثاني قوله: "الأولياء والأنبياء في الولاية سواء" وتتمة لهذا الخطاب سيقول بأفضلية الولاية على النبوة والشاذلي المغربي مثلاً: "يقول وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام "هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً"[1] والشيخ أبو المغيث بن جميل[2] والشيخ أبو يزيد البسطامي قالا: "خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله"[3] لأن "دائرة الولي أوسع من دائرة النبي"[4] والسهروردي المقتول يقول: مقام الولي أو الحكيم "أعلى من مقام الأنبياء" [5]

والشيخ أحمد بن أبي الحواري كان "يفضل الأولياء على الأنبياء، وهكذا كان شأن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأبي يزيد البسطامي حسب رواية السهلجي والشعراني يقول مقسماً بأغلظ الأيمان: "تا الله إن لوائي أعظم من لواء محمد عليه السلام"[6]

أما عن علوم الغيب فالصوفي هو الأعلم بالطبع، وحدث في هذا الشأن ولا حرج، ويكفينا تساؤل الدباغ القائل: "وكيف يخفى أمر الخمس عليه(ص)، والواحد من أهل التصرف في أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس"[7]، يقصد بالخمس قوله تعالى:

---

[1]-ص ١١٦ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص ٣٦ الفكر الصوفي عند عبدالكريم الجبلي

[3]-ص ٢٣١ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[4]-ص ٢٣١ جـ٢ الفتوحات الالهية.

[5]-ص٢٤١ مدخل إلى التصوف الإسلامي.

[6]-ص ١٤٣ النور من كلمات أبي طيفور.

[7]-ص ٤٣٤ جـ١ الابريز

ل:﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلـم مـا في الأرحـام ومـا تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس باي ارض تموت﴾ فهذه الأمور كما يقول الدباغ يعلمها أولياء التصرَف أي الذيـن تحـدث لهـم الخوارق المشروطة بتلك المعرفة فكيف إذن لا يعلمها الرسول(ص)؟.

حتى أن قوله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على علمه أحـداً إلا من ارتضى من رسول" يقـول الدبـاغ فيـه: إن الأوليـاء "فـلا يخرجهـم الحصر الذي في الآية ونحوها"[1] "إنما يخرج غير الرسول، وأما الولي فإنـه داخل في الآية مع الرسول"[2] وبالطبع من حيث نبوتـه المعرفيـة، أو مـن حيث هو وارث للحقيقـة المحمدية. أمـا إن قلت بـأن الرسـول لا يعلـم الساعة بالفعل قالوا: وبالفعل إن من يعلمها فهو الأفضـل علـى الأقـل أفضل من محمد مكة أو من محمد البشري.

---

[1]-ص ٤٣١ نفسه.

[2]-ص ٤٣٣ نفسه.

- **الولاية والنبوة عند ابن عربي:**

يقول ابن عربي عن حديث الرسول(ص)"لا نبي بعدي" وقد أخذ منه الحسد كل مأخذ: "فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته-. ولهذا اشتدَّ علينا غلق هذا الباب"[1]. "هذا الحديث يقصم ظهور أولياء الله"[2] و"أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه، كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام"[3].

وقد تكلم ابن عربي كثيراً عن الرياضات النبوية حتى أن محمداً(ص)برأيه لبَّد رأسه بعسل النحل تيمناً بتحصيل الوحي"[4] والرسول كما يزعم ابن عربي لم يكن إلا كواحد من أهل التصوف "ومحمد(ص)- كما يقول - كان قبل أن يرسل وينبأ من الأفراد"[5] وبالنتيجة قال ابن عربي بالملكات والقوى النفسية في تفسيره للنبوة، وعن نفيه للوحي الذي معناه الفرق يقول: "فما ثم موصول وما ثم بائن"[6] "فمن شجرة نفسه - أي محمد - جنى ثمرة غرسه"[7].

ولقد امتد ابن عربي بالتمييز بين ولاية النبي ورسالته إلى أوسع مدى ممكن، وبهذا التمييز قال بأفضلية الولاية في النبي على نبوته من حيث هو رسول[8] إلا أن قوله باستمرار نبوّة الأولياء عندها يكون

---

[1] -ص ٢٢٩ جـ١ ف٣٨ الفتوحات الممكية.

[2] -ص ١٣٥ جـ١ فصوص الحكم.

[3] -ص٢٧٢ جـ١ ف٥٠ الفتوحات المكية.

[4] -ص ٧٣٨ جـ١ ف٧٢ نفسه.

[5] -ص ١٩ جـ٢ ف٧٣ نفسه.

[6] -ص ٣٩ جـ٢ فصوص الحكم.

[7] -ص ٩٣ جـ٢ فصوص الحكم

[8] -ص ١٣٥ جـ١ نفسه.

تفضيله لولاية من لا تشريع عنـده على من اقترنت ولايته بالتشريع حيث يقـول: "فنبـوة الـوارث قمريـة" ونبـوة النبي والرسول شمســية فاجتمعتا في النبـوة وفـاز القمـر بـالفتوة"[١] ، فـالنبوة الباطنيـة لا تقصد الآخرين أو الظهور هــي اللأفضـل و"النبـوة سـارية إلى يـوم القيامـة في الخلق وان كان التشريع قـد انقطـع[٢] ولكنـه لمـا سـاوى بـين الاجتهـاد والنبوة من حيث ان الاجتهاد بمثابة النسخ الالهي عندها يكون قد قـرر استمرار النبوة بعد محمد(ص) بكل ما تعنيه النبوة وبذلك يقول: "علـم نسخ الأحكام بعد النبي(ص) عـن أمـر النبي (ص)" فإنـه المقـرر حكـم المجتهد"[٣] ، أي أن الاجتهاد هو علم نسخ الأحكام. وبهذا المعنى يقـول: "لا يزال حكم الشرع ينزل من ا لله على قلـوب المجتهديـن إلى انقضـاء الدنيا"[٤] ، أي أن المجتهد إلى نهاية الدنيا سيسـتمر في أخـذ أحكامـه عـن ا لله، وبذلك يكون استمرار حتى نبوة التشريع بعد محمد (ص).

[١]-ص ٣٣٠ جـ٤ ف ٥٥٩ الفتوحات المكية.

[٢]-ص ٩٠ جـ٢ ف٧٣ نفسه.

[٣]-ص ١٤٠ جـ٣ ف٣٣٦ نفسه.

[٤]-ص ١٦٩ جـ٤ ف ٥٢٥ نفسه.

- التصوف والسحر:

من الطبيعي انه لا بـد مـن التعرُّف إلى علاقـة أهـل التصـوف بالسحر لكل من أراد معرفة الكرامة في الفكر الصوفي. وإلا فلا معرفـة لطبيعة خوارقهم.

من المعلوم أن البحاثـة في جـذور التصـوف مـن حيث نشـأته التاريخية قد أجمعوا على ثلاثة أشخاص هـم: " جـابر بـن حيـان، وأبـو هاشم الكوفي، وعبدك الصوفي"[1]، أحدهم ولا بد هـو أول مـن تسـمى بالصوفي، وكلهم كانوا علـى علاقـة وطيـدة مـع السـحر حتى عرفـوا بالسحرة.

أما الشيخ ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ وهو الشـهير في عالم التصوف كان كما يقول القفطي "من طبقة جابر بـن حيـان"[2] المنعوت حسب ابـن النديـم في الفهرست بـ "كبـير السـحرة في هـذه الملة"[3] لقد اهتم الشيخ ذو النون كثيراً بعلوم السـحر، وكـان كثـيراً مـا يبحث في النقوش الموجودة على جدران المقابر والمعابد المصرية ، وقيـل أنه فتح عليه علم ما فيها من "رموز سحرة فرعون"[4] حتى اشتغل بها "ومزجهـا بـالتصوف"[5] وكـان شـأنه شـأن كـل السـحرة وقـد روى القشيري أن "احمـد بـن محمـد السـلمي قـال: دخلـت علـى ذو النـون المصري يوماً فرايت بـين يديـه طستاً مـن ذهـب وحولـه النـد والعنـبر يسحر فقال لي: أنت ممن يدخل على الملوك حال بسطهم، ثم أعطاني

---

[1]-ص ٢٥٦ - ٢٦٦ العلة بين التصوف والتيشع.

[2]-ص٣٦١ نفسه.

[3]-ص٣٦٢ نفسه.،

[4]-ص ١٠٩ الصوفية في نظر الإسلام.

[5]-ص ٩٢ التصوف الثورة الروحية في الإسلام.

درهماً فأنفقت منه إلى بلخ"[١] وكتابه "المجربات" المحفوظ في باريس جله "تمائم سحرية، وطلاسم وعزائم"[٢].

أما الشعراني فيرى أن الأولياء الفاشلين يستخدمون السحر في سبيل الشهرة حتى ترى أحدهم كما يقول: يتلو أسماء يستخدم بها الجان في صرف وجوه الخلق إليه دون غيره"[٣] أو ليسحر مريديه حتى لا يبارحوه. بل إن الشعراني نفسه يقول ويؤمن بأن "أرواح الكواكب السماوية تنزل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك"[٤]. شأنه في ذلك شأن كل السحرة والمنجمين القدامى الذين اعتقدوا بألوهية الأجرام الفاعلة.

السحر كما هو معلوم: إما عن قوى نفسية، وإما عن علاقة بالكائنات الأخرى كالجن والأرواح وإلى ما هناك. وما أكثر علاقات الصوفي مع الجن، فالشيخ عبد القادر الجيلاني يقول عن الجني الذي تجسد على شكل أفعى لامتحانه: "وسألني أن يتوب على يدي فتوبته"[٥] إلا أن الحضور من الناس ظنوه أفعى بالفعل واعتبروا ما حدث واحدة من كراماته العظيمة. أما الشيخ شمس الدين الحنفي الذي استخدم كراماته لقتل اعدائه من الفقهاء فقد كان رضي الله عنه يقرىء الجان"[٦] ويعلمهم العلم والفقه، ولقد كان له خوة ومواثيق مع الجان، والجني نفسه حسب روايات أهل التصوف يقول: "وقد أخذعلينا العهد أن لا نضر أحداً من أولاده إلى سابع بطن"[٧] والشيخ

---

[١]-ص ١٦٤ - ١٦٥ الرسالة القشيرية.

[٢]-ص ١١٠ الصوفية في نظر الإسلام .

[٣]-ص ١٧٧ جـ١ الأنوار القدسية.

[٤]-ص ٥٠ جـ٢ م٣٩ اليواقيت والجواهر.

[٥]-ص ١٢٩ جـ١ الطبقات الكبرى.

[٦]-ص ٩٥ جـ٢ نفسه.

[٧]-ص ٩٧ جـ٢ نفسه.

على الخواص البرلسي يعترف بأخذه العلم عن الجان قائلاً: "وقد يأمر الله تعالى الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم رأي العين-. وحصول العلم لنا من كلامهم إنما هو نطقهم بمثال حروفنا"[1] أي أن الرجل كان يجسدهم "أو يحضِّرهم على حد التعبير الشعبي" لأخذ العلم عنهم في معرفة الغيب أو المغيبات أو لمعرفة السارق والضالة والضمير أو إلى تسخيرهم لهذا الفعل أو ذاك .

والشيخ الدباغ يقول عن الأولياء وهو منهم: انهم يستعينون "بالملائكة وبالجن، في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول لها"[2] فالأولياء إذن يسخرون الملائكة والجن في الأمور التي لا يستطيعون عليها كقتل الأعداء واظهار الخوارق ومعرفة المغيبات . فهم إذن يسخرون الملائكة! وبالبخور!!. والشيخ سهل التستري كان يقول "إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وانه يتكلم عليهم"[3] .

أما الحلاج حسب رواية "تاريخ بغداد" لما ذهب إلى الهند قال لسائله هناك: "جئت لأتعلم السحر، وأدعو الخلق إلى الله تعالى"[4] . "وقد أشتهر عن الحلاج انه يحيي الموتى وأن الجن يخدمونه-. ونسبه الجنيد صراحة إلى السحر والنيرنج والشعبذة"[5] وعلى كل حال فقد كانت العداوة بين الرجلين عظيمة حتى أن الشيخ ابن خفيف اعترض على الجنيد بأن الحلاج ما يفعل الذي يفعله إلا بالدعاء"فاتفق القوم - أو الحضور- على تصديق ابن خفيف"[6] .

---

[1]-ص ١٢٥ جـ٢ نفسه.

[2]-ص ١٧ جـ٢ الابريز.

[3]-ص ١٦٧ تلبيس إبليس.

[4]-ص ١٨٥ الحلاج شهيد التصوف الاسلامي.

[5]-ص ٣٧٤ الصلة بين التصرف والتشيع..

[6]-ص ٩٣ الحلاج شهيد التصوف الاسلامي.

وماذا عن الغزالي مع السحر؟ حجة الاسلام هذا برأي ابن طاووس "من أشهر وأسبق القائلين بصحة أحكام النجوم"[1] وكيف لا وها هو في رسالته اللدنية يقول: إن فروع العلم العقلي هي: "علم الطلسمات والنيرنجات وما يتعلق بها[2] والسحر بالوصف العام حسب رأيه "من جنس العلوم"[3] أما من حيث ماهيته كما يقول فهو رياضات وتعامل مع الكائنات ومن أراد التعامل معها فلا طريق لذلك سوى الرياضات[4] والغزالي يعلم الخلق السحر وتوليد الطلسمات قائلاً: "فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريد فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد.. فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب فإنها تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع-. وترش من مائه على سطح المبغض أو طريقه أو داره فإنه يستضر من سنة. وخذ صورة أسد والقمر في الأسد وانقشه على خاتم بسواد ومعه كلمة وهي: آتيا طائعين. فتدخل به إلى الملك فيذله الله لك"[5].

فحجة الإسلام يضر أعداءه بالسحر، وبالسحر يكون له الجاه والسلطان عند الملوك والأمراء، وحتماً لولا سحره ما خرج الصليبيون الذين عاصرهم من فلسطين!! ومن اراد كرامة الاختفاء عن أعين الناس كما يقول الغزالي فليزرع الخروع في جثة سنور أسود، والبذر الناتج عن هذه الزراعة سيخفيك عن أعين الناس إن وضعته في فمك[6].

---

[1] -ص ٧٣ الفيلسوف الغزالي.

[2] -ص١١١ جـ١ الرسالة اللدنية.

[3] -ص٣١ المقصد الأسنى.

[4] -ص٧٦ المضنون به على غير أهل. هامش الانسان الكامل.

[5] -ص ٦٥-٦٦ سر العالمين.

[6] -ص ٧١ نفسه.

بل ولـن يتوانـى الغـزالي، حجـة الإسـلام، عـن شـرح السـحر الأسود بما فيه من توجه إلى أرواح الكواكب والتوسل والاسـتغاثة بهـا بل وزعم أن الأنبياء جميعهم قد بخـروا ، ولكـل نـبي يـوم مخصـوص في توجهه للكوكب "وأما يوم الجمعة فهو لمحمد (ص)"[1] ، بل ويرى أيضـا أن التوجه للكعبة عند الصلاة هو من جنس توجهـات السـحرة "وهـذا سر لم يطلع عليه أحد إلا من شاء الله"[2].

أما عن رؤية الملائكـة ككرامـة صوفيـة فيقـول الغـزالي: "وقـد ينزل من السماء في أرض سقسين حنطة حمراء-. إذا بخرٍّ بعضها تحت أحد أبصر الملائكة ، وبه يبخر لعطـارد فيكلمـه -. الأنبيـاء بخـروا.... وقد بخر محمـد رسـولنا لـلزهرة يـوم الجمعـة. وأختفـى في غـار حـراء، فكانت تأتيه "الزهرة" في صورة جبرائيلية-.ومن أراد أن يبصر الجـن-. فليقرأ سورة الجن في بيت خال-. وبين يديه بخور اللبان"[3].

أما الشيخ احمد الرفاعي حسبما يرويه أصحابه فهو أعظم شأنا من سليمان عليه السلام ولم لا وهو الوارث لكل الأنبياء يقولون: لقـد "سُخّر له الجن والعفاريت والمردة وعلمه الله جميع لغاتهم"[4]. وكان لـه من استخدامهم إلى درجة يحسده عليها أعظـم السـحرة. والشـيخ عبـد الكريـم الجيلانـي كمـا يزعـم كـان يُسخّر الملائكـة، ومـن تعازيمـه في ذلك:"انزلوا يا ملائكـة ربـي احضـروا، فربمـا كـان جمعنـا أكمـل مـن جمعكم"[5]، والسحر حسب رايه يعود بمصدره إلى "لوح القـوى" الـذي هو من جملة الألواح التي أُنزلت على موسى عليه السلام، ومن جملة ما

---

[1]-ص ٧٥ نفسه.

[2]-ص ٤٥ سر العالمين.

[3]-ص٧٠-٧١ نفسه.

[4]-ص ٤٤٠ قلادة الجواهر.

[5]-ص ١١٣ قلادة الجواهر.

يحويه هذا اللوح "علم السيمياء وكيفية السحر العالي، وهو الذي يشبه الكرامات-. فيصور ما يشاء فيرونه بأبصارهم ولكن في خياله ويظنون انه في عالم الحس، وقد وقعت على ذلك في طريق التوحيد فكنت لو شئت أتصور بأي صورة في الوجود تصورت بها، ولو أردت فعل أي فعل فعلت"[١]، وهناك مصدراً آخر للسحر العالي وهو التجليات الالهية "ومن هذا التجلي السحر العالي-. ومن هذا التجلي المشي على الماء والطيران في الهواء"[٢]، فكل هذه الكرامات إذن من السحر الذي يخيل للناظرين أنهم يرون شيئاً في المحسوس وما في الحس شيء، وما موسى برأيه إلا الساحر الأكبر.

وعن السحر الأحمر الشيطاني يقول شيخنا: "ولقد كنت غرقت في هذا البحر الغزير، وكاد يهلكني موجه في قعره الخطير"[٣]، فتركته. فمن حيث كونه خطيراً تركه، فما تركه تلاؤماً مع الشرع وإلا ما قصده حتى وصل إلى قعره.

والشيخ عبد الغني النابلسي صاحب التآليف الكثيرة في علوم السحر والحروف يقول في عزيمة حرف الصاد مخاطباً روحه: "صدق صدق صدق، صفا وكدر-. وبه الاكتفا، ميم واسعة، دائرة شاسعة، تدور كالرحا، فيحصل الانمحا، صه صه صه"[٤].

والشيخ "شهاب الدين السهروردي كان يسحر فقد حوّل الضفدع خنزيراً"[٥]. وابن سبعين الذي اعتبر "علم الرجز والفأل

---

[١]-ص ٧١ جـ١ ف٣٦ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[٢]-ص٤١ جـ١ ف١٤ نفسه.

[٣]-ص ٢٤جـ٢ ف٥٦ نفسه.

[٤]-ص ١٤٧ التصوف الاسلامي بين الأصالة والاقتباس.

[٥]-ص ٦٧ الكرامة الصوفية والأسطورة والحكم.

والسحر والعزائم والحيل"[1] من العلوم الأدبية كان "يعرف السيمياء"[2] وفي الرسالة التي سماها "النورية" نجد "كلاماً لابن سبعين في ارتباط الذكر بالسحر"[3]، ومما يؤكد أيضاً العلاقة الوطيدة بين أولياء التصوف والسحر هو موقفهم من اللعين ابليس سواءٍ في كونه مصدراً لمعارفهم أم في كونه من أهل النعيم. فالحلاج مثلاً يقول صراحة: "فصاحبي واستاذي ابليس-. إن ابليس هُدِّد بالنار وما رجع عن دعواه"[4] في التوحيد الخالص، والشيخ سهلٍ التستري يعترف هو الآخر بأخذه علم التوحيد عن استاذه ابليس قائلا: أخذت "عن ابليس طريق المعرفة"[5]، بل واعترف أيضاً بأن رأيه الذي يعتقده في وجوب الرحمة الشاملة قد أخذه عن العارف ابليس مما دفع ابن عربي إلى الاستهزاء به لينسب هذه الفكرة إلى ا لله عزوجل قائلاً: إن ابليس "استاذ سهل في هذه المسألة، وأما نحن فما أخذناها إلا من ا لله، فما لابليس علينا منة"[6]، إلا أن التستري برايي هو الأصدق لأن ا لله لم ينسخ ما قاله في قرآنه ولا قال جل شأنه بشمول الرحمة التي تجعل ابليس من أهل النعيم. والشعراني حدثنا كثيراً عن اجتماعاته مع ابليس ولما عرف شأنه جعله من أهل الحق"[7] بل ومن أهل المحبة والتقوى ولم لا؟ إن كان ابليس حسب روايته هو القائل: "إني أحب أن ينسب إلي جميع النقائص ولا

---

[1]-ص ١٢١ يد العارف.

[2]-ص ٨٤ ابن سبعين وفلسفته الصوفية.

[3]-ص٨٣ نفسه.

[4]-ص ٣٧١ الصوفية في نظر الاسلام.

[5]-ص ٦ الأنوار القدسية.

[6]-ص٦٢٢ جـ٢ ف٢٩٢ الفتوحات المكية.

[7]-ص٧٣ جـ٢ الأنوار القدسية.

أحب أن ينسب منها شيء إلى الحق تعالى"[1]. فهل تراه بعد قوله هذا قد ترك شيئاً للمحبين؟ ويكفيه فخراً على حد تعبير ابن عجيبة "كونه منديلاً للعار تُمسح فيه أوساخ الأقذار"[2] والشيطان برأي أهل التصوف يغار على القرآن، فلما أراد الشيخ ابراهيم الخواص إخراجه من المصروع قال له: "دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق"[3]، ورابعة العدوية قيل لها: "وهل تكرهين الشيطان؟ فقالت: لا"[4] وقد "لعن شخص ابليس في حضرة الشيخ شمس الدين الحنفي. فقال له: لا تعود لسانك إلا خيراً ولو كان ذلك جائزاً"[5]، فمن الشر إذن أن تلعن ابليس!! والشيخ أبو الحسن الحصري لا يستعيذ من الشيطان عند قراءته للقرآن قائلاً: أنا "لا أستعيذ من الشيطان، مَنْ الشيطان حتى يحضر كلام الحق عزوجل"[6] فهل بالفعل يجهل هذا العارف ان الاستعاذة أمر إلهي؟!!.

أما ابن عربي وطالما الشيطان لغة من شطن أو البعد فيقول: "من اسمائه سبحانه البعد"[7]، وهكذا أصبح الشيطان واحداً من أسماء الله الحسنى لأنه ما ثمَّ إلا الله، ولهذا نرى ابن عربي وقد ساوى بين الخواطر الالهية والخواطر الشيطانية قائلاً: "فيقال خاطر شيطاني، وهو حديث رباني وقول إلهي"[8]، فكيف إذن ألا يأخذ الصوفي عن ابليس

---

[1]-ص ٨٣ نفسه.

[2]-ص ١٥٣ جـ٢ إيقاظ الهمم.

[3]-ص ٦ الرسالة القشيرية.

[4]-ص ٦٢ التصوف في الإسلام.

[5]-ص ٩٨ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[6]-ص ٤٩٢ طبقات الصوفية.

[7]-ص ١٩٧ جـ٢ ف١١٥ الفتوحات المكية.

[8]-ص ٧٧ جـ٢ ف ٧٣ نفسه.

وهو المعتقد بتوحيد لا موجود إلا الله، وكيف لا يعتقد ببراءته وهو المعتقد بتوحيد لا فاعل إلا الله؟!.

أما من حيث تعامل ابن عربي بالسحر والتنجيم وإلى ما هنالك فحدث ولا حرج، وهو القائل:

"فوقتاً اسمى راعي الظبي بالفلا ووقتاً اسمى راهباً ومنجماً"[1]

وفي مقام سجود القيومية الذي كان له يقول: أن "فيه علم السيمياء"[2] وفي منزل النور أدرك "علم صورة تسليط الجن على الانس والانس على الجن"[3]، وعند معراجه، وبوصوله إلى السماء الثانية حصل له كما يقول "الفرقان في مرتبة خرق العوائد، ومن هذه الحضرة يعلم "السالك" علم السيمياء الموقوفة علي العمل بالحروف والأسماء-. ويعرف-. حقيقة كن"[4]. وبمقاماته أيضاً حصَّل "العلوم التي أضل بها السامري قومه"[5] ليتقي شرها بالطبع. وعلم الحروف الذي هو من السحر يقول ابن عربي: "هذا العلم يسمى علم الأولياء"[6] "ولكن لا يسمون سحرة مع أنه يشاهد منهم خرق العوائد فسمي ذلك في حقهم كرامة وهو عين السحر"[7]...فالكرامة الصوفية إذن عين السحر، والساحر في التصوف يسمى ولياً حيث لا فرق بين الساحر والولي إلا في الاسم.

---

[1]-ص ١٢٩ جـ٣ ف٣٣٤ نفسه.

[2]-ص ١٩٢ جـ٣ ف٣٤٦ نفسه.

[3]-ص ١٩٢ جـ٣ ف٣٤٦ نفسه.

[4]-ص٢٧٤ جـ٢ ف١٦٧ نفسه.

[5]-ص٥٨٥ جـ٢ ف ٣٧٣ نفسه.

[6]-ص ١٣٥ جـ٢ ف٧٣ نفسه.

[7]-ص ١٣٥ جـ٢ ف٧٣ نفسه.

ومن باب الملاحظة نقول: إن الصوفي نسب تعامله مع الجن والشياطين وتسخيرهم لأغراضه التي لا تخلو من الشر كإرث سليماني من باب كونه الوريث لكل الأنبياء. إلا أن معجزة سليمان عليه السلام في تسخيرهم أن تسخيرهم وفق الخبر القرآني كان لنفع الانسان الذي ناصبوه العداء رغم طبيعتهم الشريرة، وإلا فإنهم لا يخدمون أحداً إلا وفق أغراضهم هم التي فيها كل الكيد لتضليل البشر، وهذا شرط لا بد منه لكل أوليائهم حيث لا سحر ولا خدمة ولا خوارق إلا بشرط المعصية أو بشرط المساواة بين الطاعة والمعصية. على الأقل طالما لا معجزة إلا للأنبياء.

- **الاسلام والسحر:**

لقد ذهب "الجمهور إلى حرمة تعلم السحر، أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذم وبين انه كفر-. إن تعلم السحر وتعليمه من الكبائر"[1]، وأفتى أبو حنيفة ومالك وأحمد رضي الله عنهم بتكفير من يسعى لتعلم السحر، والشافعي قال بتكفير من أباحه. وروى الترمذي أن الرسول(ص)قال: "حدُّ الساحر ضربة بالسيف" ومن تعاليم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "اقتلوا كل ساحر وساحرة".

ولو عدنا إلى أصل السحر لما رأيناه إلا وهو المشروط بالمعصية، إلا عن المعصية، فهاروت وماروت يعلمان الناس السحر وهما على المعصية، وابليس واهب المخاريق لأوليائه عصى ربه، ولن يكون الانسان ساحراً إن لم يأخذ بالمعاصي عقيدة له، إن لم يأخذ بالمساواة بين العاصي والمطيع، إن لم يأخذ بالمساواة بين الطاهر والنجس. عندها سيكون مخدوماً، عندها ستجري الخوارق بين يديه.

وما الذي يمكن قوله للمريد بعد هذا كله؟ نقول:

١ - احذر القوم فقد يسحروك لتتعلق بهم، وبالسحر قد يبعدونك حتى عن أبويك.

٢ - لا تنخدع بما لديهم من خوارق وها هم يقولون انها من السحر.

٣ - لا تنخدع بظاهرهم حيث لا نصابون دون اعطائهم الأمان لضحاياهم.

---

[1] -ص١٦٢ السحر بين الحقيقة والخيال.

٤ - اعلم انه لا خوارق تجـري بـين يديـك حسية كـانت أو معرفيـة حتـى تـأخذ بعقـائد الواصلـين، أو لاسـتدراجك لعقائدهم التي فيها كل الخروج عن الاسلام.

– الكرامة في التصوف:

الكرامة وفق المعتقد الاسلامي حق، وغير جائز إنكارها، إلا لمن أراد مثلاً أن ينكر قصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة الذي أتى بعرش بلقيس. فهؤلاء كلهم حدثت لهم الكرامات لا المعجزات لأنهم على الأقل ليسوا بأنبياء، وبعض الصحابة رضوان ا الله عليهم أجمعين قد حدثت الكرامات لهم. ولكن بالمقارنة وللتذكير بالمبادىء الإسلامية لا بد لنا باديء ذي بدء من التنويه بالملاحظات التالية:

١ – ضآلة كرامات الصحابة إذا ما قورنت بكرامات أهل التصوف إلى حد أن روايات الخوارق التي تنسب إلى ولي صوفي واحد قد تفوق كل كرامات الصحابة ومعجزات الرسول(ص)، والصوفي العصري عبد القادر عيسى مثلاً لم يستطع جمع أكثر من أربعة عشرة كرامة لعصر الصحابة كله وهو الساعي إلى دعم مشروعية الكرامة الصوفية.[١]

٢ – أصحاب الكهف لم يعرفوا الذي حدث لهم قبل حدوثه، ومريم استعاذت من جبريل، والصحابة لم يتريضوا حتى كانت لهم الكرامات.

٣ – كرامات الصحابة لم تكن ذات وجود حزبي، فقد كانت للمحارب في سيفه، كما كانت للفقيه في علمه، ولم تكن ذات وجود مع الأغنياء دون الفقراء، ولا للفقراء دون الأغنياء.

---

[١]–ص٤٥٤ – ٤٥٩ حقائق عن التصوف.

٤- الكرامة الالهية بالمعنى الاسلامي لـن تكـون للإنسـان عـن طريق مخالفة القرآن والسنة النبوية.

٥- يستحيل أن تكـون الكرامـة برهانـاً علـى صحـة الـرأي المخالف للدين، كمـا يسـتحيل أن تكـون لأغـراض غـير خلقية.

٦- كل الخوارق التي تكون عـن مخالفـة للديـن أو المسـتخدمة لأغراض غير خلقية تعود بأصلها إلى الشـيطان، أو القـوى النفسية، أو لما يعنيه السحر والتخييل وإلى ما هناك:.

٧- معجزات الأنبياء يعجز عنهـا الانـس والجـن، ولـن تكـون إلا للأنبياء. ومن زعم مساواة الكرامة بـالمعجزة فبالإلزام يجب أن يزعـم نـزول القـرآن عليـه، وهـذا لـن يكـون إلا بالكفر.

وجوه الكرامة الصوفية وأغراضها

١ - كرامات الطفولة وقبل الميلاد:

كرامات أولياء التصوف لا حد لها، فهي ترافق الولي قبل ولادته، وأثناء حياته، وبعد مماته. فلما ولدت رابعة العدوية مثلا رأى أبوها الرسول(ص)في المنام فقال له: "هذه البنت التي ولدت هي سيدة، إن سبعين ألفاً من أمتي ليرجون شفاعتها"[١]، وابن عربي يقول عن أولياء التصوف: "وقد نطق في المهد جماعة" «منهم» "أعني في حالة الرضاعة، وقد رأينا أعظم من هذا، رأينا من تكلم في بطن أمه وأدى واجباً"[٢] ولما سأل ابنته وهي في سن الرضاعة عن مسألة فقهية أجابته بأفصح جواب وأحسنه. والشيخ ابراهيم الدسوقي أيضاً يقوم بالفرائض قبل أن يُكلف فقد "صام في المهد"[٣]، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر هو الآخر "صام في المهد رضي الله عنه"[٤]والشيخ أبو يزيد البسطامي حسب رواية الجنيد انه "كان بدء أبي يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه"[٥] وهو الذي "منع أمه، وهي حامل به عن تناول الحرام"[٦]، ومن كرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني "انه كان حين رضاعه لا يرضع في رمضان، فكان الناس إذا شكّوا في الهلال رجعوا إليه"[٧] والشيخ أحمد الرفاعي

---

[١]-ص١٤٧ رابعة العدوية.

[٢]-ص١١٧ جـ٤ ف٤٨٠ الفتوحات المكية.

[٣]-ص١٨٨ العقلية الصوفية والكرامة والحلم. ص١٦٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

[٤]-ص١٦٢ جـ١ الطبقات الكبرى ، ص٤١٠ -٤١١ قلادة الجواهر.

[٥]-ص١٣٩ -١٤٠ النور من كلمات أبي طيفور.

[٦]-ص٢١٢ مرآة الزمان.

[٧]-ص٥ الفتوحات الالهية

كلم أمه "رضي الله عنه في مهده" وسمعته يسبح الله كثيراً-. ولما جاء رمضان أمسك عن شرب الحليب نهاراً إلى العيد"[1]، بل وزعم الرفاعي انه لما كان صغيراً أتاه ملاك وشق صدره "فأخرج منه شيئاً مظلماً وغسله-. كما فعل برسول الله (ص)"[2]

إلا أن المتأمل بطبيعة هذه الكرامات سيراها تهدف للأغراض التالية:

١- لتأكيد ارتباط الصوفي بالشرع الاسلامي وبالتكاليف خاصة.

٢- لمساواة كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء عن طريق الإرث.

٣- لمساواة الأولياء بالأنبياء من خلال مصطلح الاصطفاء.

مع ملاحظة أن الكرامة الصوفية غير خاضعة بالأصل لموازين الصدق والكذب وسوف تبقى خبراً لا يقين له إلا عن طريق التسليم وعدم الاعتراض.

---

[1] -ص٢٥ قلادة الجواهر.

[2] -ص١٤١ نفسه.

- **الكرامات والحيوان:**

الكرامات التي تتكلم عـن علاقـة الصـوفي بالحيوانـات كثـيرة، فالشيخ أبو سعيد الخراز كما يقولـون كـان السـبع يقـف علـى كتفـه[1] وكان لسهل التستري بيتـاً تجـيء السبـاع إليـه فـ"يضيفهـم ويطعمهـم اللحـم ثـم يخليهـم"[2] والشيـخ محمـد الفرغـل أخـرج البنـت مـن بطـن التمساح الذي ابتلعها "[3] والشيخ ابو مدين يعـاقب السـبع الـذي أكـل حمار أحد الفلاحين بأن جعله في خدمة الفلاح عوضاً عن الحمار حتـى الممات"[4] ومعاشرة الحيوان اعتبرها الرفاعي دليلاً على صفاء القلـب[5]، ولما افترس الأسد ثوراً لأحدهم جاء للرفاعي نادماً" وقال: سلام عليك يا ولي الله"[6] وغفر له بشرط أن يقوم بالعمل الذي كان يقوم به الثـور الذي افترسه هو ونسله إلى يوم القيامة. وكان سلطانه أي الرفاعي على الأفاعي عظيماً حتى نعت بـ "مرعب الأفاعي"[7].

"والشيخ احمد بن عطاء كان الجمل يكلمـه آمـراً: "قـل جـل الله"[8] وما أكثر الأسود التي انتصرت لمشايخ التصوف على أعدائهم.

---

[1]-ص٨٨ الرسالة القشيرية.

[2]-ص١٦٢ نفسه.

[3]-ص١٠٤ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص١٥٦ جـ١ نفسه.

[5]-ص٩٠ قلادة الجواهر.

[6]-ص٩٣ نفسه.

[7]-ص٢٤٤ نفسه.

[8]-ص١٧٥ الرسالة القشرية.

أما أغراض هذه الكرامات فهي كما يلي:

١- للتشجيع على الانفاق وإلا فمن أين يأتي باللحم مثلاً وهو الذي لا يعمل.

٢- لارهاب الخصوم وكفهم عن الانكار عليه.

٣- لتشجيع السذج من أجل أن يقصدوه في المصائب.

٤- ليزكي نفسه وها هي الحيوانات قد شهدت له بالولاية وصفاء القلب.

- الكرامة والطعام:

الصوفي مخدوم بكراماته، في طعامه وشرابه وما قد يحتاج إليه من الأموال. والشيخ أبو الطاهر المفيد مثلاً يقول: "جعت مرة فخرجت لي يد من الشجرة برغيف فأكلته ومشيت"[١]، بل إن ملك الأرزاق كما يقول ابن عربي يأتي بالخبز لأحد المتصوفة كلما احتاج إليه وأينما كان [٢] وعندما تمني أصحاب الشيخ ابراهيم بن أدهم اللحم المشوي إذ بأسد يطرد ايلاً ليسقط أمامهم فأكلوه والأسد ينظر إليهم"[٣] ولما تمنى أصحاب الرفاعي أكل السمك قفز السمك من الشط إلى البر[٤] وبعد أن أكلوه قام الرفاعي فأحياها جميعاً ومن ثم عادت إلى البحر مرة ثانية، ولما أتاه مرة وتد الشرق باوزه مشوية من السماء وبعد أن أكلها بحجرين حولهما إلى رغيفين وبعد أن شرب من كوز السماء. جمع عظام الاوزة و "قال: ايتها العظام المتفرقة الأوصال المنقطعة اذهبي بسم الله الرحمن الرحيم، فذهبت وزة سوية وطارت في الجو"[٥]، أما الشيخ محمد عنان فقد "أطعم نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق حتى شبعوا"[٦]. والشيخ ماجد أعطى الشيخ محمد ركوة "وقال: إنك تجد فيها ماء إن أردت الوضوء، ولبناً إن عطشت وسويقاً إن جعت"[٧]،

---

[١]-ص٥٤ سير الأولياء.

[٢]-ص٥٥٠ جـ٤ ف ٥٦٠ الفتوحات المكية.

[٣]-ص١٧١ الرسالة القشيرية.

[٤]-ص٧٣ قلادة الجواهر.

[٥]-ص٧٣ نفسه.

[٦]-ص١١٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[٧]-ص١٤٩ جـ١ نفسه.

بل ومن كرامات أولياء التصوف أن يأكل أحدهم عن أقرانه الغائبين فيصل الطعام إلى بطونهم كاملاً غير منقوص[1].

وإتماماً لمضاهأة المعجزات بالكرامة نرى الأولياء يفجرون الماء بعصيهم من الصخر. فقد كان الرفاعي مرة في قافلة قد افتقرت إلى الماء "فضرب بعصاه الأرض فنبع ماء غلظ الأصبع من محل ضرب العصا فشربت القافلة والدواب"[2] ولما كان الخواص في البادية بصحبة زميل ناله العطش فجرّ له من الأرض ينبوع ماء صاف كاللبن الحليب[3] والشيخ محمد بن وفا أمر النيل بالإرتفاع "فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعاً[4] فشرب منه.

أما عن كرامات الأموال فالشيخ موسى السودزاني يأتي بالذهب من جبل قاف[5] والشيخ حسين أبو علي" كان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة"[6] وآخرون كالحلاج مثلاً يقبضونه من الهواء ويسمون نقودهم هذه بنقود القدرة. والشيخ أبو علي السدي كان يأتي بالجواهر من الوادي[7] أما الشاذلي فكان ينفق من كيس صغير في عمامته دون أن ينقص عن حاجته قط[8] وما أكثر الروايات الصوفية ومخاريقهم التي تحول الحجارة إلى ذهب أو الرمل إلى

---

[1]-ص٦٥ روح القدس في محاسبة النفس

[2]-ص٣٤٠ قلادة الجواهر.

[3]-ص١٧١ الرسالة القشيرية.

[4]-ص٢١ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[5]-ص٦٨٣ جـ٢ ف ٢٩٧ الفتوحات المكية.

[6]-ص٨٧جـ٢ الطبقات الكبرى.

[7]-ص١٦٤ الرسالة القشيرية.

[8]-ص١١٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

جواهر وما أكثر أقوالهم بالمقابل بعدم الاذن في التصرف بتلك الأمــوال والجواهر.

أما عن أغراض الولي الصوفي من هذه الكرامات فهو الآتي:

١- لمضاهـأة المعجـزات النبويـة كإطعـام الكثـير مــن القليــل وتفجير الماء من الصخر.

٢- لترميم نفسه المهانة بذل التسول والفتوح وإلى ما هنــالك. عندها سيقول: أنا لم أتسول للحاجة أيها العوام وإنما تأديباً للنفس تسولت وانتظرت الفتوح، وهــا هــي الكرامــات تخدمني في كل ما أحتاج إليه. ولكن احذر أيهــا العــاقل أن تضحك أو أن تقول بشيء!!.

- كرامات الشفاء:

وكرامات الشفاء من الأمراض، طريفة جداً، فالشيخ محمد بن عنان ما زار مريضاً قط إلا أخذ عنه المرض وشفي لوقته[1] والرفاعي "لمس بيده المباركة فاطمة العرجاء فعادت سليمة"[2]. "وقد تسلسل هذا السر المحمدي الأحمدي في بنيه ونوابه واتباعه إلى زمننا-. فكم جريح شق بطنه، لديغ كاد أن يفت كبده، وذي عاهة اشتعل جلده تفلوا عليه فعافاه الله تعالى، وكأن لم يكن به ألم"[3]. ففي لعابهم إذن الكفاية عن استخدام الأدوية والجراحين والمشافي، ومهما يكن ذلك المرض فله الشفاء الأكيد، حتى في زماننا هذا الذي لا خلو فيه للرفاعيين الذين لم ينضب لعابهم بعد.

والشيخ ابراهيم الأعزب ينقل الجرب عن المريض إلى أحد مريديه ثم ينقله عنه إلى الخنزير، وهكذا برىء المريض!![4] أما الشيخ حسن وادي فكان يشفي من السموم بواسطة السكر الذي يقرأ عليه، وبهذا الدواء كان يبطل أثر عضة الكلب العقور أو المكلوب، والأطرف أن المريض يشفى إن أكل الدواء أي أحد أو رسول من قبل المريض رغم بعد المسافة. حتى أن الاستغاثة وطلب المدد من الشيخ الصوفي فيه كل الشفاء. وقد خاطب الشيخ شمس الدين الحنفي مريضة ذات مرة قائلاً: "قولي يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك الله، فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض"[5].

---

[1] -ص١٢٠ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] -ص١٠٢ قلادة الجواهر. ص١٤١ أشرف الوسائل.

[3] -ص١٤٢ أشرف الوسائل.

[4] -ص٣٣٥ قلادة الجواهر.

[5] -ص٩٦ جـ٢ الطبقات الكبرى.

أما من حيث أغراض هـذا النـوع مـن الكرامـات، فهـي كمـا ترى أيها المريد محصورة بدورها الاقتصادي الـذي سيجعل مـن الـولي الصوفي الطبيب الذي لا يضاهى. ولكنهـا كمـا هـو واضـح ذات دور تخريبي سواء بالنسبة لطلب العلم، أو بالنسبة للمرضى الذيـن يفترسـهم دجاجلة المزاعم إضافة إلى مصابهم الذي هم فيه.

- **الكرامة وإحياء الموتى:**

إن معجزات الصوفي لا حد لها ولا قيد، وكل ما روي بحق الأنبياء فلهم مثله وأكثر. ورابعة العدوية مثلاً أحيت حمارها لما مات وهي في طريقها إلى الحج. "أما أبو يزيد فقتل نملة بغير قصد فلما علم بها نفخ فيها فكانت حية بإذن الله"[1] والحلاج الذي قتله الفقهاء لكفره يحيي الموتى هو الآخر، فقد رأى مرة "عظاماً نخرة فتكلم عليها بالاسم الأعظم-. فرد الله عليها الروح"[2] والشيخ عبد العزيز الدرديني أحيا الفرخة بعد أن ذبحت[3] والرفاعي أحيا إوزة السماء والأسماك بعد أن أكلوا، حتى أنشد بحق نفسه قائلا:

"ولو دعوت لميت قام لي ومشى   بإذن ربي يسعى لي على قدم"[4]

والصياد يقول عنه: "كم له من مدد يحيي الرميم-.

لو ندبناه على ميت عفا   قام بالسر كظبي ربرب[5]

ولكن لم يأتي الصوفي بهذه المعجزات؟ ولم انحصرت بإحياء الحمير والنمل والفراخ والوز والأسماك دون البشر؟ ببساطة لأن التخييل لا يمكن اكتشافه بالنسبة لهذه الحيوانات، حيث لا دوام في التخييل المعني بقوله تعالى: ﴿وسحروا أعين الناس﴾. وكذلك قل في كرامات تغير الصوفي بالأشكال المتعددة وابن عربي يقول عن هذه الكرامات: إنها تحدث بـ "قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شئت من

---

[1]-ص٩٣ جـ٣ ف ٣٢٥ الفتوحات المكية.

[2]-ص٢٠٠ قلادة الجواهر.

[3]-ص٢٠٣ جـ١ الطبقات الكبرى.

[4]-ص٢٣٧ قلادة الجواهر.

[5]-ص١٩٥ التصوف بين الحق والخلق.

الصور التي تحب"[1]، ومن هذا المقام نرى أن الرفاعي "كبرت جثته وامتلأت منه ثيابه-." حتى "امتلأ منه المشرق والمغرب والسهل والجبل-."[2] والشيخ شمس الدين الحنفي والشيخ عبد القادر الجيلاني والحلاج وكثيرون آخرون كان لهم هذا التخييل حتى ظهروا بصور الحيوانات أو الصور البشرية المختلفة. فالشيخ حسين أبو علي مثلاً "كان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ثم تدخل فتجده فيلاً ثم تدخل فتجده ضبياً وهكذا"[3] انها الكرامة!!.

أما عن أحاديث الصوفي بالألسن المختلفة التي يجيدها فلا أكثر منها، وهو الجاهل أصلاً بتلك اللغات وبتعلمها. فمثلاً ابراهيم الدسوقي "كان رضي الله عنه يتكلم بالعجمية والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحش"[4]، كل ذلك حسب زعمهم كرامات إلهية، بل وكان أحدهم إذا تفل في فم أحد مريديه فإنه يتكلم باللغة التي يريدها"[5].

إلا أن الوسطاء الروحيون يقولون: بقدر تعدد النطق بالألسن المتعددة يكون تعدد الأرواح المهيمنة على الوسيط.

الأشجار تكلم الصوفي، وما أكثر روايات هذا الباب أيضاً، فهذه الشجرة تنصح الصوفي بكذا وكذا، وتلك الأعشاب تحدثه بما فيها من منافع طبية. أما كرامات النار فحدث ولا حرج فالشيخ أبو

---

[1]-ص٢٩٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي.

[2]-ص٧٥ قلادة الجواهر.

[3]-ص٨٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص١٦٧ - ١٦٨ جـ ذ نفسه.

[5]-ص١٦٧- ١٦٨ جـ ذ نفسه.

الفرج مثلاً "دخل النار وبقي وسطها قائماً"[1]، ودون أن تؤذيه، وأكل النيران والمشي عليها من الظواهر المألوفة عند القوم، خاصة في حفلات السماع والموالد. إلى حد أن بذوا الهنود في هذه المسألة وأشباهها، انه إرث ابراهيمي!!.

أما كرامات اختراق المادة وطي المسافات، فذات مكانة عظيمة في التصوف، وبهذه الكرامة مثلاً صلى القرشي في مصر ثم في مكة ثم في المدينة ثم في بيت المقدس كل ذلك في ليلة واحدة أو بيوم وليلة"[2].

ومن كرامات الصوفي أيضاً إرسال صوته أينما أراد متخطياً الحواجز والمسافات، والرفاعي مثلاً "كان يقرأ الدرس في البصرة فيسمعون كلامه أهل القرى من الجهات الأربع مسافة تسعة أيام[3].

ومن كرامات الصوفي أيضاً تحصيله لمقام "كن" وكل الأولياء زعموا هذا المقام معتمدين على حديث "صرت يده" الذي فيه حسب رأيهم اتحاد إرادة الصوفي بإرادة ا لله، وابن عربي مثلاً جعل "كن" مساوية لـ"كون" ليجعل من نفسه "الواو" الفاصلة بين الكاف والنون. وعندها لا أمر إلهي إلا عن طريقه، أو عن طريق هذا النائب أو الخليفة أو الكامل. ومن هذه العلاقة يتضح سر أهل التصوف في جعلهم للقطب مسؤولاً عن حفظ الوجود، أو في جعله مصدر المدد وموضع النظر في التوسل والاستغاثة.

---

[1]-ص١١٤ سير الأولياء.

[2]-ص١٥١ جـ١ الطبقات الكبرى.

[3]-ص١٠٣ قلادة الجواهر.

أما عن الأسس البنيوية أو المبادىء التي تقوم عليها حياكة الكرامات الصوفية بشكل عام فهي كما يلي:

١- إيمان الجميع بأن الله قادر على كل شيء، ولا اعتراض على قدرته. إلى حد أن الصوفي يظن إن قال "بأمر الله" أو "بإذن الله" أو "إنشاء الله" على مخاريقه عند روايتها سيتوجب على المسلمين اعتبارها من الكرامات الالهية الواجب تصديقها.

٢- انعدام تمييز الناس في الأغلب ما بين السحر والكرامة.

٣- الكرامة بطبيعتها الصوفية غير خاضعة لسند الإثبات الموضوعي، والمهم هو التسليم بإمكانية حدوثها.

٤- التسليم بتساوي الأنبياء والأولياء في المعجزات، أو بتفوق الولي على نبي ما بمصطلح وراثة الصوفي لكل الأنبياء.

٥- الاعتماد على نموذج نبوي لصياغة الكرامة كإحياء الموتى وشق الصدر والدخول في النار وتفجير الماء وإلى ما هنالك.

٦- الافتراض سلفاً بوجود أناس يطربون للغرائب من الأمور، ومن ثم الاعتماد على المريدين في ترويج الكرامات.

٧- التأكيد على ارتفاع أصحاب الكرامات فوق المعايير بما فيها من أحكام عقلية وتشريعية.

٩- الكرامة الصوفية ذات منطق يسعى لأغراض برهانية محدودة منها:

١ - لمساواة الولي بالطبيب.

٢ - لتشجيع السذج واقناعهم للإحسان على الصوفي.

٣ - لابهات الحضور للتسليم بالشؤون الصوفية.

٤ - لاستدراج المريدين لحضيرة الاحلام السحرية.

٥ - ليزكي بها نفسه اجتماعياً.

٦ - للتغلب على ما تولده حياته من أمراض نفسية معقدة.

٧ - لتقديس القبور من حيث هي وسيلة من وسائل الرزق.

٨ - لمصارعة أعدائه وأقرانه.

ولا خروج لمنطق الكرامة الصوفية عن هذه الأغراض إلا إن قلت بإنعدام وجودها، فهي دائما ذات منطق نفعي.

- **ملاحظة منهجية حول وراثة المعجزات:**

الصوفي يزعم أنه الوارث الوحيد لمحمد(ص). إلا أن محمداً(ص) كما هو معروف لم يكن له إحياء الموتى، والمشي على الماء والدخول في النار وإلى ما هنالك. هنا يقول الصوفي: وهل وراثتنا انحصرت بمحمد فقط؟! لا، بل نحن الورثة لكل الأنبياء. وإن قلت لَمْ لَمْ يرث محمد الأنبياء قبله؟ قالوا: فأين أنت وعلم الأسرار؟ وهل الأنبياء إلا من تجليات حقيقته(ص)؟ فوراثتنا تبعاً لذلك لم تخرج عن وراثة محمد (ص)، فنحن ورثة الحقيقة المحمدية، وكل ما لحقيقته فهو لنا بلا فرق.

وهكذا خرج أهل التصوف من إلزام معيارية الرسول التي لا يجب تجاوزها بزعمهم لأكذوبة الحقيقة المحمدية، وبزعمهم الكذوب بورثة كل الأنبياء، وكأن المسألة مسألة تخريج منطقي للخروج من إلزام منطقي.

وبعد إعتماد أهل التصوف على هذا التخريج الذي لا سند إسلامي له، راحوا ينسبون كل تخييلاتهم إلى النبوة ضمن أطر فقهية مضحكة، وابن عربي مثلاً يقول: العيسوي من الأولياء يمشي على الماء لأنه ورث عن عيسى عليه السلام معجزاته " وليس للعيسوي من هذه الأمة من الكرامات المشي في الهواء ولكن له المشي على الماء، المحمدي يمشي في الهوا ء بحكم التبعية "يقصد المعراج النبوي" -. فنحن مع الرسل "اي مثلهم" في خرق العوائد الذين اختصوا بها من ا لله وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية"[1].

---

[1]- ص٢٢٥ جـ١ ف ٣٦ الفتوحات المكية.

ورغم ما في هذا الفقه وأمثاله الكثير الكثير من مهاترات سخيفة نقول: وهل محمد(ص) بالفعل عرج إلى السماء بما كان يتمتع به من ملكة المشي على الهواء؟ لا، بل صُعد به إلى السماء بوسيلة، بالبراق. وما هو بالذي يمشي على الهواء متى شاء، ولا تريض حتى كان له تلك الملكة بزعمهم، بل ولا علم له بالاسراء والمعراج قبل بدء حدوثه.

- المعجزة بين الكرامة والسحر:

الصوفي كما راينا ذو ولع بعلوم السحر، والساحر كما هو معروف يأتي بأشباه المعجزات عن طريق التخييل، وباختلاط هذه الأمور عن قصد أو بغير قصد تم تفسير النبوة بالملكات أو القوى الخاصة للنبي. وعندها لا فرق بين المعجزة والسحر والكرامة، لا في الاكتساب، اكتساب هذه القوى، ولا في الفعل الناتج عنها. وهكذا يتضح أنه لا مساواة بين السحر والكرامة، مع المعجزة إلا إن تم القول بأن النبوة كسب لا إصطفاء، وعندها لا تمييز بين النبي والساحر إلا من حيث ان "الساحر يستعمل هذه القوة في الشر، والنبي أو الولي يستعملها في الخير"[١].

أما ابن عربي فقد استعمل مصطلح "الهمة" كمساوٍ للقوة التي بها إحداث المعجزات، وللتوحيد بين الساحر والولي والنبي في استخدام الهمة قال بإنعدام تحول الأعيان والكل عندها تخييل بتخييل، فمثلاً "عصا موسى مبطونة في صورة الحية عن أعين الجميع وعن الذي ألقاها"[٢] فالعصا حسب رايه لم تنقلب ثعباناً وإنما خيل للرائين أنها ثعبان، وكل ما في الأمر أن موسى كان هو الأعظم بين السحرة، أو الساحر الأعظم. والغزالي يقول: كيف لنا التمييز بين المعجزة والسحر " واما قلبه العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس"[٣] "بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل"[٤]

---

[١]-ص٢٢٧ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة. ص١٤٤ معارج القدس.

[٢]-ص١٥٩ جـ١ ف١٦ الفتوحات المكية.

[٣]-ص٥٨ القسطاس المستقيم.

[٤]-ص٥٩ نفسه.

أي أن من صدق بقلب العصا حية، يجب أن يصدق بخوار العجل، وعندها يكون قد كفر. والصحيح برأيه أنه لا تمييز بينهما. إلا أن الغزالي يتناسى انه لا معجزة إلهية إلا من أجل الرسالة، وإسلامياً هي عين الرسالة إن قلنا بالقرآن كأعظم معجزة، وهل بالفعل لا فرق بين رسالة موسى ورسالة السامري؟ بلى، إنه الفرق بين الصدق والكذب، ومحال أن تكون الخوارق غير الالهية إلا وهي على رسالة تضر بالإنسان سواء في كرامته، أو في استخدامه للعقل أو في حياته كمجتمع مع الآخرين. مع ملاحظة أن المعجزة حقيقية وبها قلب الأعيان، بينما هي عند السحرة أشباه تخييل وحيل وإلى ما هنالك.

إن أهل التصوف، ومن باب تسويتهم في الملكات بين النبي والولي، ومن باب اعتقادهم باكتساب النبوة، ومن باب اشتغالهم بالسحر قالوا: بمساواة كرامات الأولياء مع معجزات الأنبياء. والرفاعيون يقولون: "ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي"[1]، والشعراني لا يرى من فرق بينهما "إلا التحدي فقط"[2] أي أن المعجزة تكون للولي ولكنه لا يتحدى بها كالنبي. بل وللأولياء كما يقول الشيخ محمد "قلب الأعيان بلفظ كن"[3]، وكرامة الولي من حيث هي معجزة كما يقولون إنما هي لـ "تأييد النبوة"[4] لا لتأييد الولي "على وجه الكرامة لنفسه"[5] فالمعجزات للأولياء "كرامات وللأنبياء

---

[1]-ص٢٣٩ جـ١ الابريز.

[2]-ص١٠١ جـ٢ م ٥٠ اليواقيت والجواهر.

[3]- ص١٠٨ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص١٨٠ ٣٥-٣٦ / ١٩٨٩ مجلة التراث العربي.

[5]-ص١٦٠ - ١٦١ م ٢٩ اليواقيت والجواهر.

دلالات"[1] والشيخ عبد القادر الجيلاني يرى أن من شرط الولاية "كتمان الكرامات، ومن شرط النبوة والرسالة إظهار المعجزات ليقع بذلك الفرق بين النبوة والولاية"[2]، فالكرامات برأيه والمعجزات، سواء ومن أجل الحفاظ على قيمة التحدي النبوي بالمعجزة يجب على الولي ستر كراماته المساوية للمعجزات وإلا فضح الأنبياء وهذا مالا يجب البوح به.

أما إسلامياً فالمعجزات من فعل ا لله سبحانه وتعالى لا عن قوى فطرية أو مكتسبة، وهي مما يعجز عنه الإنس والجن، وإلا لما أرسل محمد للثقلين عامة، وها هو القرآن كواحدة من المعجزات قد تحدى ا لله به الانس والجن، وما كان منهم إجابة، ولو كان لهم إتيان المعجزات كإحياء الموتى وإلى ما هنالك لأتوا بما تحداهم به من قرآن. والمعجزة تؤدي من جهة أخرى لانقلاب الأعيان، أما السحر فيؤدي إلى التخييل، وهو الفرق بين موسى والسحرة الذين قال تعالى بحقهم ﴿فإذا حبا لهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾، حتى رأى الناس مالا وجود له في الحقيقة. فالسحر يؤثر على الادراك، على المخيلة تماماً كما يحدث للمحموم والخائف من رؤية مالا وجود له، بينما معجزة قلب العصا حية ستجعل هذه الحية تميت من تعضه لأنها حية بالفعل.

---

[1]-ص٥٠٥ جـ٢ مدارج السالكين.

[2]-ص١٦٣ جـ٢ التية.

- **أسباب الكرامة في الفكر الصوفي:**

إنه من أجل التعرّف على طبيعة الكرامة الصوفية، علينا إدراك اسبابها عند القوم، لنعلم على الأقل موقعها من الشرع، وموقعها من حيث سعيهم لها وفق المنهج المخصوص، لتمييزها عن الكرامة الالهية التي لا علم يسبقها إن حدثت ، والتي لا تعمل لتحصيلها بالرياضات وإلى ما هنالك. مع ملاحظة أن ما نأتي به ليس إلا أمثلة ونماذج لما لا حصر له إلا بطبيعة المنهج الصوفي نفسه.

يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني مثلاً: إن "الانسان إذا كان الأغلب عليه الأمور الروحانية من دوام الفكر الصحيح وإقلال الطعام والمنام والكلام وترك الأمور التي تقتضيها البشرية فإن هيكله يكتسب اللطف الروحي فيخطو على الماء ويطير في الهواء ولا تحجبه الجدران ولا يقصيه بعد البلدان"[1].

ولكن أين هي الكرامة الالهية من هذه الرياضات التي سعت لتحصيل هذه الملكات والقدرات الفائقة؟ لا، فلا شيء فيها من الكرامات بالمعنى الاسلامي، وكل ما في الأمر أن من أخذ بهذه الرياضات أو الأسباب كانت له هذه الظواهر أو الملكات والكرامة بهذا المعنى ذات منشأ طبيعي معروفة الأسباب والنتائج سلفاً. ولا هكذا الكرامة التي تنسب إلى فعل الله سبحانه وتعالى: والشيخ مطرف بن الشخير "يقول: من ترك النساء والطعام فلا بد له من ظهور كرامة"[2]، والكرامة اجمالاً مشروطة عند القوم بخرق العوائد البشرية، كالنوم، والطعام، والشراب، والنكاح وإلى ما هنالك. وابن عطاء

---

[1] ص٩ جـ٢ ف٥٠ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[2] ص٣٤ جـ١ الطبقات الكبرى.

يقول: "كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد"[1] وابن عجيبة يقول : "فمن خرق من نفسه عوائدها الحسية بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء- ومن خرق من نفسه عوائده المعنوية خرقت له العوائد الباطنية-. وتحقيق العرفان"[2] والصوفي بخرقه لعوائد نفسه مع الأسباب يصبح كما يقول ابن عربي كالملائكة في طبيعته[3] وعندها، أي عند تركه للأخذ بالأسباب "يُكشف له عن غيابات الوجود-. كالكلام على الخاطر والفراسة"[4] وإلى ما هنالك.

واجمالاً فالصوفي يسعى برياضاته لامتلاك القوى التي بها الخوارق، وهي في ظنه الكرامات الالهية، اعتقاداً منه بأن المعجزات النبوية عن قوى وملكات مخصوصة أو فائقة، علماً أن رياضاته دوماً تنأى بعيداً عن الخضوع لأحكام الشرع.

---

[1]-ص١٨٩ جـ٢ الفتوحات الالهية. ص٧ جـ٢ ايقاظ الهمم.

[2]-ص٧ جـ٢ إيقاظ الهمم.

[3]-ص٦٠ مواقع النجوم.

[4]-ص٦٣ نفسه.

- الخوارق ظواهر مشتركة:

الخوارق وطالما هي ذات أسباب طبيعية من جوع وسهر وقهر نفس وخرق معتاد وإلى ما هنالك لا بد تؤدي إلى شمولية حدوثها لكل من اتخذ هذه الرياضات التي لا علاقة لها بهذا الدين أو ذاك. وها هو ابن عربي مثلاً يقول: "فقد ينال التحكم في العالم بالهمة من لا وزن له عند الله ولا قيمة وليس بولي-. وقد تكون تلك الآثار التكوينية عن موازين معلومة عندنا وعند من يعرف همم النفوس وقوتها وانفعال العالم لها-. وأيضاً لما في العالم من خواص الأسماء-. عند من يكون عنده علم ذلك مع كون ذلك الشخص مشركاً"[١]، "وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية - كما يقول ابن عجيبة- وإن كان صاحبها ناقصا"[٢]، وقد يقع الكشف كما يقول الرفاعيون مع صرف اليقين "فإنه يقع للبراهمة والفلاسفة والدهريين والرهبانيين وغيرهم ممن سلك طريق الخذلان والردى"[٣]، أي وهم على الشرك واباطيل الاعتقاد.

فالسير على النار مثلاً وطعن الأجساد بأسياخ الحديد مع عدم خروج الدماء وعدم الاحساس بالألم كما يروي "كولن ولسن" من الظواهر المألوفة في جزر فيجي وهي تقام بإشراف الشامانات أو الكهنة في احتفالات موسمية سنوياً[٤]، "والحديث عن عدم الشعور بالألم - كما يقول زيعور - عندما يطعن الشخص بدنه إبان احتفالات الرقص الجماعي شيء مألوف عند الهنود"[٥]، وهو نفسه ما يحدث للصوفي إبان

---

[١] ص٣٨٥ جـ٢ ف ١٩٢ الفتوحات المكية.

[٢] ص ١٦ جـ١ إيقاظ الهمم.

[٣] ص١٥٦ جـ٢ الابريز.

[٤] ص٣٢٢ الانسان وقواه الخفية.

[٥] ص٦٥ الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم.

حفلات السماع، وكل الاختلاف أن الصوفي عندنا يسمي نفسه بالولي، وهناك يسمونه الكاهن أو الناطق بلسان الآلهة.

الخوارق، أو خوارق الصوفي، حيادية الطبيعة، فليس لها من وطن عقائدي أو جغرافي، وكل من اتخذ أسبابها أو رياضاتها كانت له، لا فرق في ذلك إن كان يهودياً أو مسيحياً أو وثنياً.

- **الاستقامة هي الكرامة:**

الكرامة هي الاستقامة، ومن أكرمه الله هو الذي حفظه مستقيماً مع أوامره ونواهيه، ولا أعظم كرامة من هذه للمسلم، والشافعي مثلاً يقول: "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة"[1] ولأهل التصوف أيضاً أقوال كثيرة على هذا المنوال خاصة إن كان الخطاب للمريدين فالشيخ ابو علي الجوزجاني يقول: "كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك عز وجل يطالبك بالاستقامة"[2] والشيخ صدر الدين الصياد يقول "لاخوانه رضي الله عنهم أجمعين: الكرامة الاستقامة"[3]، والشيخ أبو الحسن الشاذلي "كان يقول: سمعت هاتفاً يقول: إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي"[4] والشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: "الكرامة في تقواه والمهانة في معصيته"[5]. وما أكثر أمثال هذه الأقوال عند القوم، وكل ما يلزم لتصديقها أن يكون الانسان جاهلاً بالثنائية الصوفية التي بين الظاهر والباطن، وأن يكون جاهلاً لما تعنيه المراتب من اختلاف في الخطاب، وأن يكون جاهلاً لما تعنيه السنة والقرآن في حقائقهم، وأن يكون جاهلاً بما يعنيه اتخاذهم الأوامر من الله مباشرة، والاستقامة عندها في ابسط الأحوال هي الاستقامة مع هذه الأوامر دون غيرها.

---

[1] -ص٩٦ -ص١٠٥ التصوف بين الحق والخلق.

[2] -ص٩٤ الرسالة القشيرية.

[3] -ص٣٥٣ قلادة الجواهر.

[4] -ص٧ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[5] -ص١٧٣ الفتح الرباني.

الخوارق تحدث عند الكفرة والفسقة وإلى ما هنالك، ولكن ما الذي سيقوله أهل التصوف احتفاظاً بالكرامة التي لا غنى لهم عما تعنيه من سلاح عظيم الأثر والمنفعة؟ الصوفي العصري عبد القادر عيسى مثلاً يقول: "الكرامة لا تكون إلا على يد ولي، وهو صاحب العقيدة الصحيحة-. وأمّا ما يجري على يد الزنادقة والفسقة فهو الاستدراج"[1] والكلاباذي يقول: "ويكون ذلك استدراجاً لهم، وسبباً لهلاكهم-. فالذي للأنبياء معجزات، وللأولياء كرامات، وللأعداء مخادعات"[2]، أي أنه لا فرق بينهم إلا في الاسم، وكل من ليس بصوفي فخوارقه استدراج ومكر ومخادعات إلهية ليتمادى أصحابها بغيهم ليهلكوا عن بينة.

ولكن ألا يعني قولهم هذا الخروج عن معيارية الاستقامة من حيث هي استقامة مع الشرع لتعني الاستقامة مع التصوف، وها هي الخوارق الصوفية مثلاً ما تزال قائمة مع أصحابها رغم معارضتهم للأوامر الشرعية، وإلا فما الذي يمكن فهمه من قول القشيري: "ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة - الصوفية - صحبة الأحداث. ومن ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله"[3] والجرجاني أخذ هذا المعنى من القوم ليعرّف به المكر قائلاً: "المكر من

---

[1]-ص٤٦٢ حقائق عن التصوف .

[2]-ص٧٣ التعرف لمذهب أهل التصوف.

[3]-ص١٨٤ الرسالة القشيرية.

جانب الحق تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب"[1].

وهكذا أصبحت الخوارق ذات طبيعة حزبية، بعد أن كانت الكرامة العظمى تعني الاستقامة مع الشرع. فعوضاً عن القول بأن الخوارق الشيطانية هي التي ترافق المعصية، والكرامة الالهية هي التي ترافق الطاعات والزضى أو هي الطاعات، قالوا باجتماع الكرامة الالهية مع المعصية ولكن كما زعموا من باب الخديعة والمكر الالهي.

إلا أن من يقول بالمكر عليه عندها إخضاع كل شؤون الخوارق لمعيارية الشرع ابتداء من رياضاتها انتهاء بأغراضها.

ومن الطبيعة الحزبية للكرامة الصوفية قال أهل التصوف إن الكرامة دليل استقامة، ومن جرت بين يديه فهو المشهود له بالاستقامة من ربه، والغزالي يقول: "من العبد الأدب ومن الله الكرامة"[2]، والمشي على الماء حسب رأيه "ينال بقوة اليقين"[3]، وكل من مشى على الماء إذن فذو يقين قوي، والعارفون للغيب بما فيه اسرار الناس وخواطرهم لم يكن لهم ذلك لولا معرفتهم بالله فـ"من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء"[4]، و"إذا صح الانقياد -كما يقول ابن عربي- كان علامته خرق المعتاد"[5] فـ"الكرامة -للأبرار من عباده جزاء وفاقاً"[6]، وابن

---

[1] ص١٧٩ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف.

[2] ص١٩ جـ٤ روضة الطالبين.

[3] ص٩٧ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[4] ص٦٧ جـ٣ نفسه.

[5] ص١٢٤ جـ٢ الكبريت الأحمر. ص٣٤٤جـ٤ ف٥٥٩ الفتوحات المكية.

[6] ص١٠٥ جـ٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر. ص٣٧٠ جـ٢، ف١٨٤ الفتوحات المكية.

عجيبة يقول: "حب الله -. أصل جامع لجميع الكرامات"[1]. والشعراني يقول: "فلا تقع كرامة لولي إلا إن كان صحيح الحال"[2] "والكرامات هنا - كما يقول الشاذلي دليل على الكرامات في الآخرة"[3]، والدقاق يقول: "إن الاستقامة توجب إدامة الكرامة"[4] وإن الله يجري الكرامة على الولي "ليُظهر بها عظمة عبده وعلو رفعته عنده"[5]، والسكندري يقول: "من أظهرت الكرامة عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله -. وبصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة"[6].

والشاذلي يرى أفضلية التصوف وأهله على الفقهاء والمحدثين واصحاب التفاسير بما يجريه الله على أيديهم من الخوارق قائلاً: "من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على ايديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيء من ذلك لفقيه إلا إن سلك مسلكهم كما هو مشاهد"[7] أما الشعراني فقد نسب هذا القول إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام[8] تارة أخرى.. وابن عجيبة يقول عن مذهب التصوف إن صح التعبير مقارنة بغيره من المذاهب الإسلامية: إن الله عز وجل "شرفه باعتبار ظهور ثمراته -. أو بما ظهر

---

[1]-ص١٦٦ جـ١ إيقاظ الهمم.

[2]-ص١٠٤ جـ٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر.

[3]-ص٩ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[4]-ص٩٥ الرسالة القشيرية.

[5]-ص١٠٥ قلادة الجواهر.

[6]-ص٧٠ لطائف المنن.

[7]-ص١٤ جـ١ الطبقات الكبرى.

[8]-ص٤٩ جـ١ الأنوار القدسية.

عليهم من الكرامات الحسية والمعنوية"[1]، وابن البنا يتغنى بنوعي الكرامة هذين شهادة وحجة لأفضلية التصوف على غيره قائلا:

ثم بشيئين تقوم الحجة   وانه قطعاً على المحجة.

فالخوارق الصوفية التي سعى القوم لتحصيلها بالسحر والرياضات هذه الخوارق التي لا وطن لها بإيمان وأوثان قد أصبحت الميزان للدلالة على صحة طريق وعقائد من كانت له، وأنى ظَهَرَتْ فهي الشهادة لقرب صاحبها من الله عز وجل. ولكن تعميمهم هذا لا بد يدينهم لأنه لو صح لتناسبت غزارة الكرامات عكساً مع بعدها عن الصدر الأول للإسلام بينما نرى عكس هذا مع التصوف.

فهل أدركت أيها المريد اللغز وراء حرص أهل التصوف على الرياضات التي بها يتم تحصيلهم للخوارق التي هي أبعد ما يمكن عما تعنيه الكرامة الالهية. فالصوفي في رياضاته يسعى لامتلاك القدرات التي بها فعل الخوارق، أو ليكون على مناسبة مع الكائنات الأخرى حتى تكون فاعلة فيه ومن خلاله، وعندها متى شاء أكل النيران، ومتى شاء ضرب السيخ في شدقيه، ومتى شاء عرف الأسرار، فهو الفاعل، وبقواه على اختلاف انواعها يفعل، واين هذا من الكرامة الالهية المنسوبة إلى فعل الله عز وجل "فالخوارق لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقول. بل قد تصدر من الكشف وغيره، عن الكفار والسحرة بمواخاتهم للشياطين"[2]. وغير ذلك كثير يعرفه من له إلمام ببحوث الباراسيكولوجيا، ومن له معرفة بما يقوله الوسطاء الروحيون، ومن له علم بما تؤديه رياضات الهندوس المؤمنون

---

[1]-ص٩٧ جـ١ الفتوحات الالهية.

[2]-ص٧٥ تاريخ التصوف الاسلامي.

بتعدد الآلهة. فاحذر أيها المريد، فمصيدة الخوارق لن تنال منك إلا وأنت على الدهشة التي تساوي ما بين الخوارق والكرامات أو الكرامات والمعجزات. أو الاستقامة بالخوارق، فاحذر من ذلك يرحمك الله.

-الكرامة والتكاليف:

لقد رأينا أن رياضات تحصيل الخوارق غير ملتزمة بما تعنيه مع الشرع، حتى أصبح شعار خرق المعتاد شرطاً لتحصيل الخوارق بإطلاق. وإن كنت معتاداً على إقامة التكاليف مثلاً، فلا بد من خرق هذه العادة وابن عجيبة يقول: "وكتب شيخ شيخنا رضي الله عنه إلى بعض الاخوان: أما بعد فإن أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم رضية فقللوا من العوائد فإنها تمنع الفوائد، وسمعته رضي الله عنه يقول: من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل"[1] فخرق ما اعتاد عليه الانسان كالتحلي بالفضائل الخلقية، وخرق ما اعتاد عليه من القيام بالنوافل لا بد منه لتزكية النفس وتحصيل الفوائد أو الخوارق سواء كانت حسية أو معنوية معرفية.

فالكرامة الصوفية ليست مشروطة بالفضائل والنوافل، وإنما بأسبابها من جوع وسهر وحرمان وخلوة وقهر وفاقه، ولهذا رأينا رابعة العدوية قد انتصرت على ابن ادهم لا بكثرة النوافل وإنما بالفاقة.

ومرة صحب أحد المسلمين أبا يزيد البسطامي في طريقه الصوفي وظن المسكين انه سيصل إلى الخوارق بكثرة قيامه بالتكاليف والنوافل وإلى ما هنالك، وبقي معه "ثلاثين سنة فلم يذق شيئاً "من الكرامات" فقال له "ابو يزيد": لو صليت ثلاثمائة سنة لمن تذق شيئاً لأنك محجوب بنفسك ثم قال له: اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس واتزر بعباءة وعلّق في عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك: يا صبيان من يصفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وانت على هذه الحالة

---

[1] -ص٨جـ٢ إيقاظ الهمم.

حتى ينظر إليك كل من عرفك ، ثم قال له : فـلا مطمع لأحد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق لك العوائد وتظهر لك الفوائد"[1].

فقهر النفس إذن هو المشرِّع، هو الشرع، لتحصيل الخوارق، فمن خرق ما اعتادت عليه نفسه من القيام بالتكاليف، ومن خرق ما ما اعتادت عليه من فضائل اسلامية، ستكون لـه الخوارق، وسيكون مخدوماً بالفعل، عندها سيخرج من حضيرة العوام ليكون عارفاً صوفياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. وها هي الشخصية التي رسمها أبو يزيد ليست بالقطع الشخصية التي يرضى الإسلام عنها، فقد أمره بحلق لحيته التي هي من السنة، وأمره بكشف رأسه ليبحث عمن يقوم باذلاله وإهانته، بل وأمره بترك ما اعتادت عليه العامة أو عموم المسلمين في أدائهم للتكاليف. وهكذا وبعد أن خرق الرجل كرامته، وبعد أن خرق أوامر الله، وبعد أن خرق سنة رسوله ص. كان له الخوارق ومعرفة الغيب أو الكرامات، ولكن لا من الله قطعاً.

ولكن هل لاحظت أيها المريد كيف اصطاد أبو يزيد مريده لما أدرك ولعه في تحصيل الكرامات التي جعلها بين يديه بمجرد خروجه عن المألوف الإسلامي. فاحذر هكذا فخ، واعلم أن هذا الفخ مبني أصولاً على جعل النفس أو قهرها مصدر التشريع، بغض النظر عما يقوله الشرع ليصبح قهر النفس مساوياً خرق المعتاد على التعميم ومهما يكن ذلك المعتاد، وهذه القاعدة تعتبر بالفعل من أهم قواعدهم الترويضية. واعلم بأن أي تقويم للنفس بغير الفضائل الاسلامية فهو مرفوض، فالجوع مثلاً غير الملتزم بما يعنيه الصيام مرفوض وإن كان

---

[1]- ص٨ جـ٢ إيقاظ الهمم.

سبباً في الخوارق، أما إن فضلته على الصيام بما يعطيه من خوارق، عندها تكون قد وقعت في فخ الترويض. فاحذر، وهذا هو المنطق الذي تعتمد عليه فلسفة الخوارق في ألف ياء التصوف كله.

الخوارق كما يقول أهل التصوف برهان لاستقامة الذي تجري بين يديه مع ربه، إلا أن منطق الكرامة الصوفية يقف كبرهان صلب لتأييد حتى الذي لا يراعي التكاليف من حيث هي عمل بالجوارح، أو من حيث لا يراها كافية لتأديب النفس. فمثلاً شك جماعة بأن الشيخ تاج الدين كما أشيع عنه لم يكن يتوضأ في صلواته فأرادوا مراقبته، ولما غرقوا بالمركب الذي يحملهم قال: "الحمد لله"[1]. أي أن الله أكرمه بقتلهم!! والشيخ ذو النون المصري أغرق أيضاً: زورق الفقهاء المنكرين عليه خروجه عن الدين[2] والشيخ "ابراهيم الرقي يقول: قصدت أبا الخير التيناتي المشهور – بكراماته الكثيرة –. مسلّماً. فصلى المغرب فما قرأ الفاتحة مستوياً. فقلت في نفسي: ضـ' سفرتي. فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعا - إليه وقلت له: إن الأسد قصدني. فخرج وصاح عليه، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني، فتنحى الأسد ومضيت أنا وتطهرت. فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد"[3]، فالمقصود إذن من هذه الحكاية المتقنة، أن العبادة ليست بالبحث عن شروط الصلاة، فالتكاليف على الحقيقة للباطن إنها للقلب، ومن كانت له هذه العبادة فهو الذي يخصه الله بالكرامات

---

[1]-ص١٢٩ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2]-ص١٥ جـ١ نفسه.

[3]-ص١٠٩ جـ١ الطبقات الكبرى. ص١٦٣ الرسالة القشيريه.

دون غيره. وكأنه لا صلة اسلامياً بين تقويم الباطن أو القلب وأعمال الجوارح، وانصرف المسلم المسكين مع قناعته بأن البحث عن شروط الصلاة لا علاقة له بالعبادة الصحيحة، وانطلت عليه ألعوبة التخييل. والحلاج شتم المؤذن مرة وكذبه، فهرع إليه الخلق، وهرب منهم فأغلقوا عليه باب المدرسة حيث اختبأ فيها، ولما جيء بالسلطان للقبض عليه، وجدوه خرج منها وهي مغلقة، ثم راح يكبر ويكبر حتى لم يسعه موضع، عندها تركوه، وهكذا نجّت الكرامات من كذّب المسلمين فيما يعتقدون به[1]، لأنه على الأقل على استقامة مع ربه الذي هو حتماً ليس برب المسلمين. وابن عربي أيضاً جعل من كرامات صاحب الأحوال الصحيحة "أن يحمي نفسه من متولي الحدود فتيبس يده مثلاً فلا يستطيع أن يحركها نحوه"[2] فالمجدِّف على الله ورسوله إذن والخارج عن أوامر الشرع ونواهيه ستحميه كراماته من متولي الحدوث أو العقاب. ولكن أية كرامات هذه التي تستخدم سلاحاً للنجاة من العقاب؟! أهكذا هي الكرامة بالمعنى الاسلامي؟! والشيخ عبد القادر الجيلاني استطاع بخوارقه كما يزعم أن يمحو العلم من قلوب مائة فقيه جاءوا لاختبار سلامة ايمانه وعقائده[3] "وكان الشيخ يوسف الهمداني يتكلم على الناس. فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت، فإنما أنت مبتدع. فقال لهما: اسكتا لا عشتما فماتا مكانهما"[4] وهكذا انتصرت البدعة بالكرامة. والشيخ محمد بن أبي حمزة يقول: "رأيت فقيهاً انكر

[1]-ص٢٦٢ الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم.

[2]-ص٢٦ جـ١ ف٤ اليواقيت والجواهر.

[3]-ص٤-٥ الفتح الرباني.

[4]-ص١٣٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

على فقير "اي صوفي" صنعة الخيال مع المحيطين. فأخرج الفقير للفقيه باباً من الخيال، واجلس الفقيه على مكان، وجاء الفيل فلفه بزلومته وضرب به الأرض فمات"[1] وهكذا كان الموت للفقيه الذي اعترض على الصوفي في تعامله بالسحر والتخيل، وبالسحر قتله، وهكذا دوِّنت هذه الكرامة ككرامة للأولياء لا للسحرة.

أما الشيخ حسين الجاكي المتهم بلحنه في القرآن، شكاه الفقهاء إلى السلطان فمنعه من الوعض، فاشتكى هو إلى شيخه الشيخ أيوب. وبينما كان السلطان في بيت الخلاء "إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط والمكنسة على كتفه في صورة أسد عظيم وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان فارتعد السلطان ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق قال له: ارسل للشيخ حسين يعظ وإلا أهلكتك، ثم دخل من الحائط"[2].

فهلا أدركت أيها المريد طبيعة الكرامة الصوفية؟ وهل تعرفت إلى ولوغهم بالسحر حتى القعر؟ فكراماتهم تخييل وقوى نفس، ولا شيء غير ذلك. ومحال للكرامة الالهية أن تكون عن معصية أو للمعصية وتعطيل الشرع إلا أن تكون شيطانية الطبيعة والمصدر، وإلا فأين هي الاستقامة مع الكتاب والسنة، واين هي التكاليف والنوافل، اين، اين-.

---

[1]-ص١٦٠ جـ١ نفسه.

[2]-ص٢ جـ٢ نفسه.

- **كرامات غير خلقية:**

أحد أهل التصوف يبيع الحشيش بباب اللوق بمصر، ولما سئل الشيخ أبو بكر الدقدوسي عن أمره "قال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي، إنما هو جالس يتوِّب الناس في صورة بيع الحشيش، فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبداً"[1].

فبيع الصوفي للحشيش إذن كرامة إلهية، وماذا لو راح الصوف يبيع الخمور ويتاجر بالمومسات بحجة تتويب الخلق عن هذه الرذائل؟ والحق أن التصوف لا يصلح إلا للمجانين، هذا إن أحسنا الظن بمقصاده التي تسعى بالأصل لتعطيل الشرع والأحكام الشرعية، وربما أن الرجل جلس يخرق المعتاد ليخرق له المعتاد؟!.

والشيخ أبو السعود الجارحي كان "إذا غلب عليه الحال نزع ثيابه وصار عرياناً ليس في وسطه شيء"[2] وبالطبع يريدون منا أن نصدق بأن أحواله هذه الهية وذات مصدر شريف!!. أما الشيخ ابو الحجاج الأقصري فقد أتى بكراماته بالجارية الحسناء من بلدها البعيدة رغماً عنها إلى خلوته![3] بل وحتى الحيوانات لا تنجو هي الأخرى من شرور كرامات الصوفي، فمرة "خرج ممشاذ من باب الدار، فنبح عليه كلب، فقال له ممشاذ "لا إله إلا الله. فمات الكلب مكانه"[4] عقاباً له لقلة أدبه مع الولي الصوفي. فسبحان الله! أما الشيخ أبا مدين المغربي فقد اجتمعت عليه الطيور تضرب بأجنحتها وتصفق لتنال بركة علومه

---

[1] -ص١٠٥ جـ٢ الطبقات الكبرى.

[2] -ص١٣٠ جـ٢ نفسه.

[3] -ص٩٥ سير الأولياء.

[4] -ص٣١٧ طبقات الصوفية.

"حتى مات منها طائفة، ومات رجل من الحاضرين"[1] ولكن ما ذنب المسكين حتى مات بهذه الكرامة؟!.

والشيخ أحمد السطيحة كان كسيحاً، ولما دخلت عليه أم زوجه ذات مرة ورأته منتصباً على أحسن هيئة للشباب "زجرها فخرست وتكسحت وعميت إلى أن ماتت"[2] ومن كراماته أيضا انه قتل واحداً من المنكرين عليه بحسكة من السمك الذي كان يأكله. كما انه عاقب الفتاة التي رفضت خطبته بالفالج حتى ماتت[3]. والشيخ علي بن عثمان الرفاعي "كان قوياً في الله متمكناً بأمر الله ما خالف أمره أحد إلا قتله الله"[4]، فسبحان الله! فإن الله أصبح يده التي يبطش بها، إلا أن محمداً(ص)بقي سنين طويلة والمشركون يضطهدونه، وما كان له أمثال هذه الأفعال التي يمارسها الصوفي على المسلمين، فسبحان الله!!.

وأحد أولياء التصوف حسبما يرويه الشعراني وتيمناً بمعجزة موسى عليه السلام، جعل من نفسه أميراً على القمل، فقد "كان كل من تشوش منه يقول: يا قمل إذهب إلى فلان فتمتليء ثياب ذلك الشخص قملاً حتى يكاد يهلك. فبلغ سيدي محمداً رضي الله عنه ذلك-. فقال له: أنت ما عرفت من طريق الله إلا القمل"[5]، والشيخ ابراهيم المتبولي كان إذا "تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في

---

[1]-ص١٥٦ جـ١ الطبقات الكبرى.

[2]-ص١٣٦ جـ٢ نفسه.

[3]-ص١٣٧ نفسه.

[4]-ص٣٢٤ قلادة الجواهر.

[5]-ص١١٨ جـ٢ الطبقات الكبرى.

ليلته"[١] فبمجرد أن يتشوش أو يغضب يقتل! لا ، بل أن الله هو القاتل لاعدائه الذين يتشوش منهم. والشيخ محمد الزعبي صرخ في والي الرقة صرخة "قال له فيها: مت فمات في الوقت"[٢]، ولما كان العباس الدينوري حسب رواية القشيري يعظ صاحت امرأة تواجداً "فقال لها: موتي-. ووقعت ميتة"[٣]، ولما جاء الوارد الالهي للشيخ عبد القادر الجيلاني، ولما قال: لا تسقني وحدي، اضطرب الحاضرون "ومات في المجلس واحد وقيل إثنان"[٤] فالواردات الالهية تقتل! ولكن لم طلب شيخناً أن يشربوها معه وهو العالم بما ستفعله بهم؟!! لكن لا سؤال في التصوف، وسلمّ وقل سبحانه الله.

أما عن القتلى في مجالس السماع بفعل الواردات والوجد فما أكثرها فهي بالجملة. فقد "قال أبو طارق : شهدت ثلاثين رجلاً أتو إلى مجلس الذكر صحاحاً فتصعدت قلوبهم من خشية الله فماتوا كلهم في مجلس واحد"[٥] ، فمن خشية الله ماتوا إذن، وهم المجتمعون لذكر الله ولكن لا بالقرآن وإنما بالغناء والدف!.

وحسب رواية القشيري أيضاً كان هناك بالمغرب شيخان صوفيان احدهما اسمه جبلة والآخر اسمه رزيق. وبينما كان بعض مريدي جبلة في مجلس سماع لرزيق صاح أحد مريدي رزيق فمات أحد مريدي جبلة "فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق أين الذي قرأ بالأمس فليقرأ فقرأ آية فصاح جبلة فمات القارىء. فقال جبلة واحد بواحد

---

[١]-ص٨٥ نفسه.

[٢]-ص٥٧ سير الأولياء.

[٣]-ص٩٧ الرسالة القشيرية.

[٤]-ص٤٥٧ قلادة الجواهر.

[٥]-ص٤٠٩ قلادة الجواهر.

والبادي أظلم"[١]. والشعراني يقول عن هذا القتل أو عن القتل بالهمة بأنه إرث محمدي "خاص بأهل الاسلام-. فأهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال إلا بعد المبالغة في اتباع الشريعة"[٢].

فالمسألة إذن بهذه الأحوال ليست أحوال شيطانية، وإنما هي أحوال رحمانية وكرامات إلهية أي من باب "كنت يده".

أما الوجه الآخر للكرامة غير الخلقية في التصوف فيمثله الدباغ أحسن تمثيل. فعندما أراد ابن المبارك الزواج باحداهن استشار شيخه الدباغ وبعدها قال: "فذكر لي فيها أموراً لا يعلمها إلا الله، ثم لما عزمت على الدخول قال لي: أنا ليلة الدخول أكون عندكم"[٣] وكانت علامة إنجازه ما وعد به أن ضرب زوجة ابن المبارك على أنفها حتى خرج منه الدم. وذات مرة علم الدباغ بحديث دار بين ابن المبارك وزوجه وكأنه ثالث اثنين[٤] ومرة أخرى أخبر الدباغ مريده هذا بنظره إلى عورة زوجه عمداً فنهاه أن يعود لمثلها تارة أخرى[٥] ومرة ثالثة أخبره بما فعل من الجمع بين زوجتيه سهواً[٦] إلا أن زوجة ابن المبارك كانت تحب الدباغ "تحبه حباً شديداً، وكذلك هو يحبها حباً شديداً"[٧] وأخيراً بشّره بغلام حملت به زوجه، وطلب منه أن يسميه باسمه، ولما

---

[١]-ص١٥٥ الرسالة القشيرية.

[٢]-ص١٠٤ جـ٢ م٥٠ اليواقيت والجواهر.

[٣]-ص٨٦ جـ١ الابريز.

[٤]-ص٧٣ نفسه.

[٥]-ص٨٤ نفسه.

[٦]-ص٨٥ نفسه.

[٧]-ص٧٣ جـ١ نفسه.

ولد قال ابن المبارك: "وهو أشبه الناس به بشرة"[١] أي بشـيخه الدبـاغ. فسبحان ا لله!. أما المريد "علي" فيقول عن شيخه الدباغ مفتخراً: فقـد "وصف لي زوجتي من رأسها إلى قدمها، عضواً عضوا، مـا ظهـر منهـا وما خفي، وكانت كما وصفها لم يزد ولم ينقص، حتى لو كُلفت أنـا بوصفها ما وصفتها كما وصف"[٢]، سـبحان ا لله! "فمـن عـرف ا لله لا يخفى عليه شيء"!!. وكان الدباغ يـرى مريـده هـذا وهـو يطـأ زوجـه وهو جاهل به أو بوجوده وها هو الدباغ يقول: "إن فلاناً كلما قدمت عليه عند طلوع الفجر أجده إما نائمـاً، وإمـا أن يطـأ زوجتـه في ذلـك الوقت"[٣]. فلله در مشايخ التصوف ما اعظم اهتمامهم بالمريدين، وفعلاً من لا شيخ صوفي لـه فشـيخه الشيطان. وكذلـك ذكـر الدبـاغ أمـام المريدين ما يفعله مريده هذا بزوجه من مداعبات مختلفة[٤] وكذلك أخبر مريده عبـد التـازي برؤيتـه مجامعـاً لزوجـه بعلامـة وضعـه لولـده على الوسـادة ثـم سـأله قـائلاً: "أو مـا علمـت أنـي حـاضر معـك"[٥] انهـا الكرامات، فسبحان ا لله! إلا أن ابـن عربـي يقـول رغـم مسـاواته بـين السحر والكرامة: إن مكاشفة عورات الناس تعـود بأصلهـا إلى كشـف شيطاني، فالشياطين على حـد تعبـيره "اجتمعـوا مـع النـاس في كشـف عورات الناس التي لا ينبغي للعاقل أن يطلع عليها"[٦].

---

[١]-ص٨٣ جـ١ نفسه.

[٢]-ص٩٤ جـ١ الابريز.

[٣]-ص٩٤ نفسه.

[٤]-ص٩٥ نفسه.

[٥]-ص٩٨ نفسه.

[٦]-ص٢٧٣ جـ١ ف٥١ الفتوحات المكية.

فالدباغ إذن يا شيخ ابراهيم هذا الذي زعم القطبية والولاية، والخوارق التي لا تحصى، هذا الذي شك في القرآن، لزعمه الوصول لقرآن اللوح المحفوظ هو بحكم كبيركم من أولياء الشيطان، والشياطين هي التي تخدمه في كشف عورات مريديه.

أما أنت ايها المريد فاهرب من القوم، فها هي الحقائق بين يديك، ليسلم لك دينك وشرفك، قبل أن يعبث السحرة بك وأنت على بلاهة التسليم وسذاجة الظن، ومن لم يتعظ بغيره يرحمك الله فآفته حتماً بعقله عافانا الله وإياك.

وأخيراً فما الذي ستقوله يا شيخ ابراهيم؟ أم ما زلت تخلط بين الكرامة الالهية والخوارق الصوفية؟ ولكن احذر من استخدام حديث النوافل وفراسة عثمان رضي الله عنه لتبرير هكذا مخاريق، وإلا فأنت المسفّه لنفسه والطاعن بعقله، أم انه المدسوس؟! وانصحك ألا تهرع للتأويل لأن الشمس لا تحجبها الغرابيل. أما عن مميزات الخوارق الصوفية مقارنة بالكرامة الالهية فاعلم أنها الآتي:

١- الخوارق الصوفية دوماً عن رياضات غير مشروطة بالشرع.

٢- الرياضات الصوفية تسعى لامتلاك القدرات التي بها تحصيل الخوارق، بينما الكرامة الالهية عن فعل إلهي أو بما معناه.

٣- الخوار ق الصوفية غير خلقية، غير اجتماعية، غير دينية.

٤- الخوارق الصوفية تعتمد على القوى النفسية وعلى السحر والتخييل بما للسحر من دروب شيطانية.

٥- الخوارق الصوفية تسعى لتعطيل العقل وإعاقة العلم بكل أصنافه وشؤونه تقديساً للخرافة بكل مالها من أبعاد مظلمة.

٦- الخوارق ذات منطق برهاني للأغراض التالية:

آ- الخوارق الصوفية تستخدم للمحافظة على موارد الرزق السهلة.

ب-تستخدم لصراع أعداء التصوف، كما تستخدم سلاحاً في صراع الأولياء وتنافسهم.

جـ-تستخدم لاستدراج المريدين.

د-تستخدم لتعطيل الحدود والشعائر والأحكام الشرعية.

هـ-تستخدم لمضاهأة الأنبياء والحط من شأنهم أو من شأن معجزاتهم. وما هكذا بالطبع الكرامة الالهية.

ولكن لا تغضب يا شيخ ابراهيم، ولا تحقد. واعلم أن كل الفرق بيننا أنني احترم العقل الذي كرمه الله بقرآنه أكثر من الخرافة التي لا سند لها إلا بزوال العقل وطرده وفق التسليم الخنوع وحسن الظن الأبله، ولهذا لم تكن أحكامي كما رأيت إلا عن استقراء وثائقي لما قاله القوم بأنفسهم، ولا أراه عاقلاً من يحقد على المبضع وقد أدرك ما به من مرض معدٍ وخطير. وحتى لا تحتج عليَّ بنقص الاستقراء، سأستعرض عليك ما تعنيه الكرامة المعنوية أو المعرفية التي جعلها أهل التصوف مميزاً لهم عما تعنيه الكرامات الحسية التي شاركهم بها الآخرين فقهاء كانوا أو كفرة.

- العلم والمعرفة الصوفية:

لقد قلنا بمعرض حديثنا عن علاقة العقل بالخبر النبوي وفق تجربة الإيمان: إن العقل بعد أن يثق بالخبر المقرون بالطبيعة ينطلق وهو آمن للتسليم بصدق الخبر عما فوقها وهو ما يسمى بالإيمان. وهذا الميزان سنستخدمه لامتحان خبريات الصوفي اللدنية وعندها إن صدقت أنباؤه عن العالم، فلا بد من أن نسلّم بصحة أنبائه عما وراءه، وإلا فكيف نثق بأخباره عما لم يُدْرَكْ وهو الجهول بالعالم المدرك.

فمثلاً لو قال محمد(ص) على أرضية اقتطاع المجموعة الشمسية أن الشمس هي التي تدور حول الأرض. وقال العلم ومن نفس الاقتطاع وباليقين العقلي المُدْرَكْ للجميع بأن الأرض هي التي تدور حول الشمس لكان محمداً(ص) مخطئ إما بوهم الإدراك وإما بتيار الثقافة وإما بما نُبِيء به كالكائنات التي يجوز في حقها الكذب والخطأ والجهل، وعندها لا يحق له ربط ما جاء به خارجاً عن هذه المصادر وإلا لوجب الاعتقاد لو تم ربطه بالله بأن الجهل صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وعندها مثلاً لامكان ولا مكانة للقرآن أمام العقل وتجربته أو أمام البرهان المستمر لتجربة المستقبل إلا أن العكس قد حدث والمنكر أمسى كأنما المنكر لعقله فسبحان القائل "ولله الحجة البالغة".

والملائكة أيضاً وفق الخبر الالهي غير جائز بحقهم الكذب ولا الخطأ، وإن أتت بخبرٍ ما للبشر فعن أمر إلهي ولا خطأ فيه.. فليس لهم من الأمر شيء "ولا يعصون الله ما أمرهم" وكل خطأ خبري عندها سواء تعلق بالطبيعة أو بما فوقها يستحيل ربطه بالله أو الملائكة. ولو كان الصوفي يقول أن معارفه عن عقله وثقافته البيئية التي عاشها لكان

من السخف محاكمته بما لدينا من معايير علمية، ولكنه هو الزاعم إلى لدنية المعرفة ولا بد أن يُقتل بما زعم، طالما لا وجود عند العقل لحدٍ ثالث ما بين الصواب والخطأ أو الصدق والكذب.

معرفة الطبيعة، معرفة ما وراءها، كل ذلك عند الصوفي عن لدنية إلهية أو ملائكية أو عن كشف وعيان وإلى ما هنالك من دروب محفوظة عن الخطأ والجهل. وإذا ما تحدث الدباغ مثلاً وهو الأمي عن البلدان والجغرافيا، فإنه كما يقول ابن المبارك "يتكلم معك في الأماكن والمواضع، تظن انه سافر إلى الموضع الذي يخبر عنه-. وما هو إلا الكشف الصحيح"[1]، والشعراني يقول: "اعلم أن أهل الحق يشهدون جميع العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي"[2] "فليس في العالم عندنا في نظرنا -كما يقول ابن عربي- شيء إلا ولنا فيه شهود عين"[3] ومعرفة أهل الله للطبيعة وما وراءها كما يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني كائنة عن تجلياته عليهم سبحانه وتعالى فـ "منهم من تجلى الله عليه بالصفة العلمية-. فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون"[4] كل هذا كائن للصوفي عن طريق التجليات الالهية وعندها لا جهل أمامه على الاطلاق "فمن عرف الله عرف كل شيء"[5] واعلم بأن "المعرفة في طريقنا كما يقول أهل الله -. منحصرة في العلم بسبعة

---

[1]-ص٧٨ جـ١ الابريز.

[2]-ص١٠٤ جـ١ الأنوار القدسية.

[3]-ص٢٢٣ جـ١ ف٣٦ الفتوحات المكية.

[4]-ص٣٨ جـ١ ف١٤ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[5]-ص١٩٧ جـ٤ ف٥٥٨ الفتوحات المكية.

أشياء- "آخرها" علم الأدوية والعلل"[1] ولسنا آخذين في علومنا لشيء لا من الفلاسفة ولا من العلماء "ولسنا مما يحكي أقوالهم في أمر ولا أقوال غيرهم وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق"[2] فالعلم برأينا "ما هو إلا العلم با لله خاصة، لا العلم بالحساب والهندسة والنجوم"[3] فمن عرف ا لله كان له كل العلم، أو كل هذه العلوم عن طريق الخير الالهي. أتطلبون علم الكيمياء مثلاً؟ وها هو الشيخ العراف أبو العباس المرسي يقول: "ماذا أصنع بالكيمياء؟ وا لله لقد صحبت أقواماً يَعْبرُ أحدهم على الشجرة اليابسة فتثمر رماناً للوقت، فمن صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيمياء؟[4]، وبهذا المنطق نهى أهل التصوف الخلق عن طلب العلم!.ومرة رأى الشيخ علي بندار كتاباً في يد ولده فنهاه عنه قائلاً: "ألم تكن المعرفة في القلوب؟ فقد صارت في الكتب؟!"[5] وبحجة إفراد القصد يقول الغزالي ناصحاً الشباب المسلم: "ايها الولد: أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف "أي الفقه" والطب والدواوين" أو التاريخ" والأشعار والنجوم" أي الأدب والفلك" والعروض والنحو والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال"[6]، فعلى المسلم إن أراد رضى ا لله أن ينظر للمحبرة وكأنما ينظر إلى العورة[7] أو لسواد الحبر كأنما سواد القلب

---

[1]-ص٢٩٩ جـ٢ ف١٧٧ نفسه.

[2]-ص٤٣٢ جـ٢ ف١٩٨ نفسه.

[3]-ص١٧٨ جـ٤ ف٥٣٣ نفسه

[4]-ص٢١ جـ٢ الفتح الرباني.

[5]-ص٥٠٣ طبقات الصوفية.

[6]-ص١٦٤ جـ١ أيها الولد.

[7]-ص٣٢٩ تلبيس أبليس.

على حد تعبير الشبلي. و "النهرجوري يقول: لا يصل العارف إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء العلم، والعمل، والخَلْق"[1] فهل حقاً لا وصول إلى الله إلا بالجهل والتسول وقطع الأرحام؟ هذا صحيح ولكن من حيث لا تصوف بلا جهل مطلق.

[1]-ص٣٨١ طبقات الصوفية.

– الأمراض والمعرفة الصوفية:

موت الفجأة الناتج مثلاً عن احتشاء العضلة القلبية كما هو معروف في الطب أسبابه عند أهل الله عظم الوارد الالهي أو شدة الكشف "وكم من رجل -كما يقول الدباغ- يكون في حانوته يبيع فيها، فيفتح الله عليه فيرى مالا يطيق فيموت من حينه، فيظن الناس أنه مات فجأة من غير سبب، وهو إنما مات من الفتح، وهو مات على الولاية"[1]، فكل من مات على الفجأة إذن فهو ولي من أهل الفتح والكشف، ولا أسباب أبعد من ذلك!!

ولما مات الصياد، ولم يبق من لحمه شيء إثر إصابة بالسرطان أو السُكّر على ما يبدو عدَّ الرفاعيون هذا كرامة له ودليلاً على ولايته فقالوا: لهذا "لم يخرج من الدنيا وعليه شيء من لحمها"[2]، فالسبب هو الكرامة لا المرض بما فيه من أسباب.

وإذا ما صرخ الطفل عند ولادته، يقول الصوفي: إن السبب هو ابليس الموكل بطعن الوليد بقرنيه[3].

الصوفي لا إدراك له بما تعنيه العدوى في بعض الأمراض فقد "كان الرواس يمشي إلى المجذومين ويغسل ثيابهم ويغلي رؤوسهم ولحاهم ويأكل معهم"[4] والرفاعي أيضاً كان يفعل نفس الشيء مع المجذومين[5] وربما ليبرهنا أن كرامتهما أعظم من أن يصابا بعدوى المرض هذا إن افترضنا معرفتهم بالعدوى، إلا أن الرسول أمرنا بالفرار من

---

[1]-ص٢٨٩ جـ٢ الابريز

[2]-ص١٩٤ التصوف بين الحق والخلق.

[3]-ص١١٠ جـ٢ الكبريت الأحمر.

[4]-ص١٩٤ التصوف بين الحق والخلق.

[5]-ص٦٣ قلادة الجواهر.

المجذوم، وقد أيد العلم صواب هذا التحذير النبوي بعد أن كان مأخوذاً على الإيمان، ولا أظنهـا كرامة الهية تلك التي تؤيد المعارض لرسله صلوات الله عليهم أجمعين.

وإذا أراد الصوفي معالجة الأمراض فلا أيسر من ذلك، فالشيخ ابراهيم الأعزب مثلاً نقل مرض الجرب من المريض إلى المريد، ومن المريد إلى الخنزير وهكذا برىء المريض من مرضه[1].

والشيخ أبو حفص كما يروي القشيري حمل المرض هو ومريديه عن المريض، فأصبحوا جميعاً أصحاب فراش وبرىء المريض من مرضه[2].

أما الغزالي فيستخدم علمه بالحروف والطلاسم لتسريع الولادة فبعد أن رسم الشكل المطلوب لهذا الغرض قال: "يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنظر إليهما الحامل بعينها وتضعها تحت قدميها فيسرع الولد في الحال إلى الخروج"[3].

ولكن هل أدركت أيها المريد المغزى الاقتصادي من وراء ربط الأولياء بالشفاء وبهذه الوسائل السحرية؟ وما أكثرها لمن تتبع دروبها!!

---

[1]-ص٣٣٥ قلادة الجواهر.

[2]-ص١٠٥ الرسالة القشيرية.

[3]-ص٥٠ المنقذ من الضلال.

-الجنين يتغذى بدم الحيض:

لقد قال ابن عربي بمعرض برهانه على إيمان فرعون: "وأنا إن شاء الله أسرد منها "أي من قصة موسى" في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الالهي في خاطري"[1] وبهذه المعرفة الالهية قال: إن موسى "تغذى بدم طمثها"[2]، أي من طمث أمه لما كانت حاملة به، فليت شعري! أما الغزالي فيقول هو الآخر: إن الجنين يتألف "من المني ودم الحيض"[3]، بل ويقول أن الأمكنة والفجوات التي في الرحم هي المسؤولة عن تحديد الذكور والاناث، وابن عجيبة يقول: سبحانه فقد "قلب الحق تعالى عرق دم الحيض مدداً لك في رحم أمك"[4] فهو الذي "غذاك بدم الحيض في رحم الأم"[5].

ومن جهليات ابن عربي الكشفية أيضاً قوله: "الكبد الذي هو بيت الدم"[6] والكبد برايه هو الذي "يعطي الدم للقلب"[7]، وبالطبع فهو يقصد كبد البشر لا كبد الملائكة، وعن اللحم البشري يقول: "اللحم دم جامد"[8] وعن الاستحاضة يقول: "الاستحاضة مرض"[9]. وما هو المني حسب رأيه؟ يقول: المني "دم مقصور قصرته المثانة فتغير عن

---

[1]-ص١٩٧ جـ١ فصوص الحكم.

[2]-ص٢٠٢ جـ١ نفسه.

[3]-ص١١١جـ٤ إحياء علوم الدين.

[4]-ص٢١٢ جـ١ الفتوحات الالهية.

[5]-ص١٤٦-١٤٧ جـ١ إيقاظ الهمم.

[6]-ص٦١٠ جـ١ ف٧١ الفتوحات المكية.

[7]-ص٦١٠ جـ١ ف٧١ الفتوحات المكية.

[8]-ص٣٧٩ جـ١ ف٦٨ نفسه.

[9]-ص٣٦٢ جـ١ ف ٦٨ نفسه.

الدمية"[1]. والغزالي أيضاً يرى أن المني خلاصة الدم الذي قامت المثانة بتنقيته، وها هو يشرح ذلك بقوله: "فتنزع القوة المركبة في كل حيوان صفوة الدم -. فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها في المرأة"[2]. فاللقاح إذن هو التقاء مني الرجل بمني المرأة!!.

[1]-ص,٣٨٢ جـ١ فـ٦٨ نفسه.

[2]-ص٨٩ المضنون به على غير أهله.

-أصل الحيوانات:

يقول الغزالي: اعلم ان "السداب -. أصله من خرء الذباب"[١] والذباب "يتولد في الصيف من العفونات"[٢]، و"تتولد العقارب من الباذروخ ولباب الخبز، والحيات من العسل، والنحل من العجل المنخنقة المنكسرة عظامه، والبق من الخل، وسام أبرص من القرنبيط، والخنافس من البعرة، ومن نوى النبق العقرب الجرارة، ومن الشعر الحيات، ومن الطين والمدر الفأر"[٣].

وما قولك إن كانت نظرياته هذه لم يقلها إلا لتكون برهاناً على صدق أنبائه الكشفية!!

أما ابن عربي فيقول بوجود جبال في السماء إذا أصابها العفن "كون الله في ذلك العفن حيوانات هوائية جوية على صور حيات بيض، وحيوانات للاستدارة. أما هذه المستديرة فرأيناها، وأما الحيات البيض فرأينا من رآها-. وأن البزاة البنسية إذا علت في الجو-. نزلت بها على مرأى من أصحابها وممن رآها والدي"[٤].

جبال سماوية، حيات من السماء. والواقع لا وجود لشيء من هذا وكل ما في الأمر أن البازي قد يأتي بتلك الحيات وحيوانات الاستدارة إما من البحر أو الجبال فظنها ابن عربي بكشفياته انها من السماء. بل وزعم أيضاً "أن في مركز الأرض يوجد حيوان في فمه ورقة خضراء وهي خرافة قديمة"[٥]

---

[١]-ص٧٨ سر العالمين.

[٢]-ص١٠٧،٨١ جـ٢ المضنون به على غير أهله.

[٣]-ص٧٤-٧٦ نفسه.

[٤]-ص٤٥٢ جـ٢ ف١٩٨ الفتوحات المكية.

[٥]-ص٤٤٢ الروحية عند محيي الدين ابن عربي.

- **البصر يقطع مسافة:**

من الطريف أن الصوفي الذي يحدثنا عن إدراكه للملأ الأعلى والأدنى بالبصيرة والكشف والأنوار والأخبار نراه جهولاً بكيف يكون إدراك العين التي في وجهه، فالرؤية عند الغزالي مثلاً تحدث بخروج شعاع من العين! وما علم المسكين أن رؤية العين لا تكون إلا بملامسة الشعاع أو الضوء المنبعث من الأشياء لشبكية العين، فليس للعين نور ولا أشعة تقذفها لرؤية هذا الكوكب أو ذاك الشيء.

يقول الغزالي انطلاقاً من رأيه هذا: إنه من أجل الرؤية "يتعلق نور العين بالمرئي"[١] وبهذه الرؤية أو بهذه النظرية علل انعدام الرؤية عند الخفاش بقوله: "الخفاش: إن نور عينه ضعيف، والأعمش ضعيف نور البصر"[٢] وقوله هذا يشير أيضاً إلى جهله بكيفية إدراك الخفاش للأشياء، حيث أصبح من المعلوم أن الخفاش يدرك عن طريق الذبذبة لا عن الرؤية أو العين الضعيفة النور على حد تعبير الغزالي.

وابن عربي يشاركه هو الآخر في جهلياته قائلاً: "وما ثم أسرع حركة من البصر في الحواس، زمان لمح البصر زمان تعلقه بالكواكب الثابتة فما فوقها، وبينها من البعد في المسافة مالا يقطع في آلاف السنين المعلومة عندنا بحركة الأرجل"[٣]. "وقوة السمع دون ذلك"[٤] "فأين مسافة ما يقطعه البصر من مسافة ما يقطعه اللمس"[٥].

١-ص٧٩ جـ٤ القصور العوالي.

٢-ص٤٥-٤٦ مشكاة الأنوار.

٣-ص٤٣١ جـ٤ ف٥٥٩ الفتوحات المكية.

٤-ص٤٠٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي.

٥-ص٥٣جـ٣ ف٣١٤ الفتوحات المكية.

ولكن هلا علم أن العين والأذن في الأدراك سواء، فحيث وصل الشعاع إلى شبكة العين كانت الرؤية، وحيث وصلت الذبذبة لطبلة الأذن كان السمع، فليست العين أسرع ولا الأذن ابطأ وكلاهما لا إدراك لهما إلا عن طريق اللمس، أما من حيث أن الضوء هو الأسرع في قطع المسافة ليمس الشبكية قبل الذبذبة فهذا هو الصحيح ولا علاقة حينئذ للأذن أو العين بالسرعة.

ومن الأخطاء التي ترتبت على نظرية ابن عربي هذه إن صح التعبير ظنه أن الضوء لا يقطع مسافة حيث يقول عن البرق:

"فزمان إضاءة البرق-. عين زمان إدراك الأبصار فسبحان من ضرب الأمثال ونصب الأشكال، ليقول القائل-. ما ثم إلا الله"[1].

أي أن لحظية الضوء حسب رأيه تُعَدُّ دليلاً كافياً على صدور الكون بالفيض عن الله، حيث عندها لا عدم إلا بمعنى انعدام الزمن وعندها ما ثم إلا الله أولا موجود إلا الله، ولكنه بخطئه بالمقدمات المدركة من حيث أن للضوء زمن يستحيل عندها تصديقه بوحدة الوجود التي لها بالفيض ضم الخالق والمخلوق إلا من قبيل الظن المبني على الخطأ.

[1]-ص٧٠٣ جـ١ ف٧٢ نفسه.

-الأرض ثابتة ومسطحة:

يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني: لكل شيء روح، وقد "رأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد"[1] فـ "أهل الكشف -كما يقول- يعرفون اسم كل نجم ويخاطبونه باسمه ويسألونه عن سيره فيجيبهم ويخبرهم بما يقتضيه في فلكه"[2] وعند حديثه عن الفلك الثامن عشر أو الأرض يقول: "الفلك الثامن عشر فلك التراب والبحر المحيط الذي فيه البهموت وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه"[3]، "وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: وما تحت الثرى"[4]. ولكن إن كان الله لا يخطيء والملائكة لا تكذب فمن أين إذن كان كشفه، ومن أين هي تلك الأرواح التي زودته بهذه المعارف الخاطئة التي تقول أن الأرض تعوم على البحر بواسطة هذا الحوت الذي يمنعها من الغرق؟!.

أما ابن عربي فيقول عن الأرض "الكشف يعطي أنها هي التي خلقت أولاً-. وقبل السموات وما فيها"[5]، وإلا فعلى أي شيء ستستند السموات؟ وكشفياته الفلكية أيضاً تقول: "بأن الأرض هي مركز الكون"[6]. أما عن جغرافية الكون فيقول: "لما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له، ولذلك مادت ولو

---

[1]-ص٦٠ جـ٢ ف٦٢ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

[2]-ص٦٦ جـ٢ ف ٦٢ نفسه.

[3]-ص٦٧ جـ٢ ف٦٢ نفسه.

[4]-ص٧٢ جـ٢ ف٦٢ نفسه.

[5]-ص٤١٩ الروحية عند محي الدين ابن عربي.

[6]-ص٤٤٠ نفسه.

بقيت كرة ما مادت، فخلق الله الجبال-. وأدار بالماء المحيط بها جبلاً جعله لها كالمنطقة "أو الطوق" وجعل أطراف قبه السماء عليها"[١].

فالأرض إذن بسطها الله ولم يتركها كرة كما كانت قبل خلق السموات، ثم أقام سبحانه جبلاً اسمه "قاف" وهو "جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض"[٢]. وعلى هذا الجبل استندت أكر السموات تماماً كاستناد غطاء القدر على القدر.

إن هذه النظرية الكونية التي تقول بأن الأرض المسطحة تطفو على البحر المحاط بجبل قاف الذي تستند السماء عليه لا مجال لتكذيبها من حيث اليقين الكشفي الذي تتمتع به، وما أكثر رحالة الكشف الذين حملوا إلى جبل قاف أمثال موسى السدراني وموسى الأزهري العجمي[٣] وعبد الرحمن المغربي[٤] حيث رأوا هناك على الشاطيء الذي بين البحر والجبل الحية الناطقة التي تارة تزكي الشيخ ابو مدين[٥] وتارة أخرى ترسل الدرر كهدايا مع الشيخ الرحالة "مجرد الأكبر" للشيخ احمد الرفاعي[٦].

الأرض عند ابن عربي ثابتة ومن براهينه الكشفية على عدم حركة الأرض أنه رأى الأرض على سمت البيت المعمور الذي لا حركة فيه، بل ورأى أن "أجرام السموات أجرام شفافة"[٧].

---

[١]-ص٦٢ جـ٢ الكبريت الأحمر.

[٢]-ص٢٠٠ جـ٣ ف١٣٠ الفتوحات المكية.

[٣]-ص٨٣ سير الأولياء.

[٤]-ص١١١ نفسه.

[٥]-ص٢٠٠ جـ٣ ف١٣٠ الفتوحات المكية.

[٦]-ص٤٢٨ - ٤٢٩ قلادة الجواهر.

[٧]-ص٤٤٣ جـ٢ ف١٩٨ الفتوحات المكية.

أما عن زرقة السماء فيقول: "وأما الزرقة التي ينسبها الناس إلى السماء فإنما هي لبعد السماء عن البصر، كما ترى الجبال إذا بعُدت تصبح سوداء وزرقاء وهي بيض"[1] فالسماء وأجرامها حسب كشفه شفافة كالبلور والزرقة التي نراها ليس إلا لبعدها عنا. والغزالي يقول أيضاً: "الكواكب أجسام مشفة"[2].

أما عن معلومات الغزالي الكشفية بمنبع نهر النيل فيقول موثقاً:

اعلم ان "زعيم بن بلعام: قد أراد أن ينظر من أين منبع النيل فلم يزل يسير حتى وجد الخضر فقال له: ستدخل مواضع، ثم أعطاه علائمها فوصل إلى جبل وفيه قبة من ياقوت على أربعة أعمدة والنيل يخرج منها-. "وهناك قال: وكنت شيخاً أبيض الشعر فهب علي نسيم سود شعري وأعاد شبابي"[3].

فمنبع النيل إذن حسبما كُشف للغزالي من أخبار من قبة الياقوت، والخضر هو الدليل إلى هذه المعرفة التي أدت إلى إعادة الكهل شاباً في مقتبل العمر. ولكن هل للخضر الوقوع في هكذا خطأ إن كان هو حقاً خضر موسى؟!.

ومن الطرائف الكشفية أن الشيخ السدراني صاحب الرحلات الشهيرة إلى جبل قاف، دخل أرضاً ذات مرة فـ "رأى النمل فيها على قدر المعز عجيبة الخلقة، ولقي عجوزاً خرسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيها"[4].

---

[1]-ص٦٢ جـ٢ الكبريت الأحمر.

[2]-ص٣١ كتاب الاملاء في إشكالات الاحياء.

[3]-ص١١٠ - ١١١ سر العالمين.

[4]-ص٧٥ روح القدس في محاسبة النفس.

ولكن لا إنكار، وكل المطلوب أن تسلك دروبهم، عندها ستدرك يقين حقائقهم.

ومن العلوم الرياضية للدباغ، وبالحساب الدقيق استنتج أن للملَكْ "الف وخمسمائة لسان وخمسة وسبعين لساناً"[1]، وعن أسباب الزلازل يقول: ان "سبب زلزلة الأرض تجلي الحق سبحانه لها"[2] بل وقال ان نور الشمس ليس من ذاتها "إنما هو من نور الأرواح المؤمنة"[3] "الذي هو من نوره (ص)" [4] ولهذا كله قال أصحابه: "فرضي الله عن الشيخ ما أعرفه بالأمور"[5].

ولكن ألا يجب القول أيضاً: لا رضي الله عنه ما أجهله إن اخطأ؟!!.

ومن علميات ابن عربي بالزراعة التي تصلح نموذجاً للتفسيرات الاحيائية قوله: "فإذا نكح الجو الأرض وأنزل الماء ودبرته في رحمها آثار الأنوار الفلكية ضحكت الأرض بالأزهار وأنبتت من كل زوج بهيج"[6].

وعلى كل حال فإني أرى أخيراً أن هذه النبذة اليسيرة من بحر الأخطاء الكشفية عند أهل التصوف قد تكفي العاقل لنبذ مزاعمهم فيما تعلق بأنبائهم عما وراء العالم. فلا يقين لديهم ولا حقائق يملكونها، وبالميزان نقول: من أخطأ مثلاً في التعرُّف على طبيعة

---

[1]-ص٤٠١ جـ١ الابريز.

[2]-ص٣٨٨ جـ١ نفسه.

[3]-ص٣١٩ جـ٢ نفسه.

[4]-ص٢٠٤ جـ٢ نفسه.

[5]-ص٣٨٩ جـ١ نفسه.

[6]-ص٥١٧ جـ٣ ف٣٨٢ الفتوحات المكية.

الكواكب كيف لنا أن نصدقه بإحضار أرواحها أو الاتصال بها، وإن أخطأت هذه الأرواح بمعرفة أجسامها فكيف نجعلها مصدراً للمعارف؟ فلا أرواح للكواكب، ولا الكواكب شفافة وأثيرية، وإنما هي الشياطين حسب المصطلح الاسلامي أو الأرواح حسب مصطلح الوسطاء أو الآلهة حسب الهندوس هي التي زعمت لهم تلك الدعاوي فصدقوها حتى كانوا بوقها الناطق بكل ما تحتاج إليه من معتقدات يتساوى فيها العاصي والمطيع أو الطاهر والنجس، ولهذا رضي أهل التصوف عن ابليس وجعلوه من أهل النعيم، كما رضي عنهم حتى كان خادمهم في كل ما يحتاجونه من الخوارق، وهكذا استمتع بعضهم ببعض وأعوذ با لله من الخذلان.

فهل يعقل أيها المريد أن يكون الصوفي جاهلاً بطعامه وهو جنين، جاهلاً بعينيه وهما في وجهه، جاهلاً بقلبه الذي بين جنبيه، جاهلاً باسباب المرض والعلاج والعدوى، جاهلاً بالكواكب وطبيعتها، جاهلاً بجغرافية الأرض وما عليها من أنهار وآثار، جاهلاً بحركة الأرض ودورانها حول الشمس. ومن ثم يكون عارفاً في الأبعد، عارفاً بما وراء العالم، عارفاً بحقائق القرآن، عارفاً باللوح المحفوظ، عارفاً با لله وذاته، وأسماءه، عارفاً بالتوحيد الصح، عارفاً بحقائق النبوة. لا وا لله، فمن كان جاهلاً بلدنياته مع الأقرب فلا بد أنه الأجهل مع الأبعد، ، وإن انطلت مزاعمه على أقرانه فيما مضى فلا يجب أن تنطلي علينا ونحن الأعلم، أو ونحن قادرون على إخضاعه لمعايير الصدق والكذب بما لدينا من علوم كان يجهلها الذين خدعوا به. بل ومن العار على المسلمين ونحن في القرن العشرين يا شيخ ابراهيم الرضا بابتهال المؤذن كل صباح بقوله: "سبحان من بسط الأرض على ماء جمد" لأنها

الشهادة على تمسكنا بالجهليات الكشفية للصوفي تلك التي زعمها عن جغرافية الكون، أما إن كنت راضياً بما تعنيه تلك العبارة فالطامة عندها أدهى وأمر.

العارف الصوفي لم يقل "أنتم أعلم بشؤون دنياكم" بل تحدى كل الخلق وكل المناهج المعرفية بما لديه من منهج لدني، وبما يعطيه هذا المنهج من يقين معرفي، سواء كان موضوعه الطبيعة أو ما وراءها. ومن أجل هذا المنهج حارب العلم والعلماء احتكاراً لليقين، وبه حارب الكتاب والمحبرة والقلم. واين هذا أخيراً من منهج الاسلام الذي وفق بين العقل والايمان الذي ساوى بين مداد العلماء ودماء الشهداء، واين هذا من المنهج الالهي الذي أمرنا بالتفكر في آلائه تعالى عبر البحث عن الأسباب وتسخير الطبيعة.

– التصوف وتوحيد لا إله إلا الله:

إن الحديث عن التوحيد الصوفي واسع جداً، وقد كتبنا عنه في غير هذا الكتاب بما فيه الكفاية، وسوف أكتفي هنا بالغزالي حصراً نظراً لأهميته عند أصحاب حيلة الفصل بين التصوف الفلسفي والتصوف الاسلامي. وبذلك يكون الانسجام مع أغراض هذا الكتاب.

لقد قسم الغزالي التوحيد إلى أربعة مراتب:

الأولى: هو التوحيد بـ"لا إله إلا الله" باللسان فقط وهو للمنافقين، وبه عصمتهم من السيف.

الثانية: وهو للمؤمنين بصدق هذا التوحيد الذي فيه حفظهم من عذاب الآخرة، والصوفي أو العارف إن أخذ به "يسمى متكلماً"[1] لا صوفياً.

أما التوحيد الثالث فطريقة الكشف وصاحبه "موحد بمعنى انه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً"[2] وهو المؤمن بتوحيد لا فاعل إلا الله.

والتوحيد الكشفي الآخر أي الرابع صاحبه "موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد" [3] ولكن لا يجب أن تباح لغير أهلها "واسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب"[4] وهذا النوع من التوحيد "فلا يجوز الخوض في بيانه"[5]. ولكن

---

[1]-ص٢٤٦ جـ٤ إحياء علم الدين.

[2]-ص٢٤٦ نفسه.

[3]-ص٢٤٦ نفسه.

[4]-ص٢٤٦ نفسه.

[5]-ص٢٤٧ نفسه.

ومن باب الاشارة اعلم أن "**الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد**-. ليس في الوجود غير الحي القيوم-. فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب"[١] و"كل شيء ما خلا الله باطل-. وهذا مبدأ من مبادىء علم المكاشفة"[٢]، فـ"ليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله"[٣]. فلا فاعل ولا موجود إلا الله. ولا سر أبعد من ذلك.

وبمعرض تبرير الغزالي لأقوال القائل "سبحاني" أو "أنا ربكم" يقول: "إن هذه الحال-. بلسان المجاز اتحاداً، وبلسان الحقيقة توحيداً، ووراء هذه الحقائق أسراراً لا يجوز الخوض فيها"[٤] فالاتحاد بين الخالق والمخلوق برأيه من التوحيد على طريق المجاز أو الاشارة لأن التوحيد الحقيقي أو الكامل يجب أن يكون على التعميم بتعميم الاتحاد بين الله وكل الوجود وصولاً لتوحيد لا موجود إلا الله. و"من هنا-كما يقول الغزالي- يترقى العارفون من خفيض المجاز إلى ذروة الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله"[٥]. وهذا معناه حسبما يقول أن "عالم الشهادة -أو العالم المادي- أثر من آثار ذلك العالم عالم الملكوت يجري منه مجرى الظل بالإضافة إلى الشخص"[٦]. حيث لا عدم والكل متصل ومحال الفصل بين الشخص وظله و"اعلم أن العالم عالمان روحاني وجسماني-. والكل

---

[١]-ص٨٦ جـ٤ نفسه .

[٢]-ص٢٨٣ جـ١ نفسه.

[٣]-ص٣٢٨ جـ٤ نفسه.

[٤]-ص٧٥-٧٦ مشكاة الأنوار.

[٥]-ص٦٩ نفسه.

[٦]-ص٦٣ نفسه.

متقارب"[1]، أي متصل. "وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه-. فإذاً لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص"[2]. "فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره"[3] أي لشدة ظهوره بالمظهر المادي المشار إليه أنى اتجهت الاشارة، ولا حقيقة كشفية أعظم من ذلك و "العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق"[4] "ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم، فلكل علم رجال وكل مُيَّسر لما خلق له"[5].

ومن الملحوظ على هذه الأقوال الغزالية وغيرها كثير ما يلي:

١- التمييز الواضح بين التوحيد الخبري توحيد لا إله إلا الله والتوحيد الكشفي أو الصوفي القائل لا فاعل ولا موجود إلا الله.

٢- القول بحلول الله في الانسان، أو اتحاد الانسان بالله تعبير مجازي أو كمقدمة برهانية للقول بتعميم الاتحاد وصولاً لتوحيد "لا موجود إلا الله".

٣- القول بالوجود المتصل وصدور الوجود بالفيض النافي للخلق من العدم مبدأ كشفي متفق عليه عند كل أهل التصوف.

---

[1] -ص٨٨-٨٩ نفسه.

[2] -ص٧٩ نفسه.

[3] -ص٨٥ نفسه.

[4] -ص٧٢ نفسه.

[5] -ص٨٥ نفسه.

٤- توحيد الوجود والأفعال من أسرار أهل التصوف التي لا تباح لأي أحد، أو للمسلمين خاصة لأن فيه إبطال الربوبية وإبطال النبوة والرسالة وإبطال الوعد والوعيد. ولهذا أجمع القوم على وجوب التقية في كل شؤونهم وكتمانها عن غير أهلها.

٥- براهين الغزالي لاستصواب توحيد لا فاعل ولا موجود إلا الله كلها متهافتة وإليك بيانها:

لقد قال الغزالي عن الرتبة الثالثة للتوحيد: إنها تخص "المقربين" الذين لهم ادراك هذا التوحيد أو مشاهدته بـ "نور الحق"[١] كما استخدم فكرة "خلق الأفعال" لمساواتها بـ "لا فاعل إلا الله"[٢].

وعن الرتبة الرابعة، أي توحيد- لا موجود إلا الله استخدم مصطلح "الصديقين" كما استخدم "الفناء" الذي قمته الفناء في الذات[٣] كما استخدم علاقة اللب والقشر في الجوزة برهاناً على قمة هذا التوحيد[٤]، كما استخدم فكرة التمييز بين القائم بنفسه والقائم بغيره من حيث أن كل ما سواه يعتبر كظله المتصل به سبحانه[٥] كما استخدم الاجماع الصوفي على المبدأ الكشفي القائل باتصال الوجود[٦] وأخيراً قال كمثال يقصد به الانتقال من الكشف أو الفناء اللحظي إلى التعميم

---

[١]-ص٢٤٥ جـ٤ إحياء علوم الدين.

[٢]-ص٢٥٦ نفسه.

[٣]-ص٢٤٥ جـ٤ نفسه.

[٤]-ص٢٤٦ نفسه.

[٥]-ص٨٦ نفسه.

[٦]-ص٢٨٣ جـ١ نفسه.

يدركه الموت في مكـان غير طاهر"[1]. أي أن استبدالهم الذكر بلفظة "ا لله" عن "لا إله إلا ا لله" يشبه ويماثل الاسراع بقطع وادي الشياطين حتى لا يُقبض وهو فيه.

وابن عربي يقول أيضاً: أنه من أجل الحياء "عدلت "عن لا إله إلا ا لله" إلى ذكر الجلالة "ا لله" إذ ليس لي مشهود سواه، فمن كان هذا حاله فلا بد أن يستحي في قوله لا إله إلا ا لله-. فما جئنا بالحياء إلا من أجل تركه"[2]. إذن من كان له توحيد ما ثم إلا ا لله أو لا موجود إلا ا لله فلا بد له من ترك توحيد لا إله إلا ا لله لأنه سيستحي به إن أخذه ولهذا كما يقول عبد الغني النابلسي "قال تعالى :﴿فاعلم انه لا إله إلا ا لله واستغفر لذنبك﴾ [3]، أي إن قلت بهذا التوحيد فاستغفر ا لله لتنطلق إلى ما بعده.

أما عن قولة المسلمين "ا لله أكبر" فقد ذكرنا من قبل كيف أن أهل التصوف يأنفون منها حتى ولو في الآذان لأنها قائمة على فرق النداء الذي لا يصلح برأيهم لأهل الجمع وأبو يزيد كمثال للذكرى اعتبرها إهانة لله من باب حدّه بالمقارنة مع غيره قائلاً ومحتجاً على من يرددها: "أو كان معه شيء فيكون أكبر منه؟"[4] فهي إذن تعارض توحيد ما ثمَّ إلا ا لله، لأنه برأيه لا وجود لسواه طالما "كل ما خلا ا لله باطل" لا وجود له إلا مع الوهم.

---

[1] -ص١١٠ جـ٢ ف٧٣ الفتوحات المكية. ص٤٩٧ جـ٤ ف ٥٦٠ نفسه.

[2] -ص٢٢٥ جـ٢ ف١٣٨ نفسه.

[3] -ص١٧٢ شروح رسالة الشيخ ارسلان.

[4] -ص١١٥ النور من كلمات أبي طيفور.

إلا أن المتأمل بتوحيد "لا إله إلا الله" سيراه يعني الحكم المطلق بتكذيب الزاعمين للألوهية بشراً كانوا أو كائنات أخرى. والمتأمل بما تعنيه "محمد رسول الله" مع التوحيد سيراها كتصريح إلهي بتكذيب كل الزاعمين للأنباء الماورائية عن طريق لدني تشريعية كانت أو عقائدية معرفية، ولهذا فلا أشد من وطأة هذا التوحيد على أهل التصوف الساعين للأنباء، الساعين للألوهية بحجة الجمع والفناء الذي له بزعمهم تبادل الأدوار بين الصوفي والإله وكأمثلة لزعمهم للألوهية قول أبي يزيد "سبحاني ما أعظم شأني" وقول الدسوقي مخاطباً ربه بقوله: "أنا أنت"[1]، وابن الفارض يقول: "أنا الحق اليقين"[2]،وابن سبعين يزعم انه "عين الحق"[3]. والنابلسي يقول: "أنا صاحب الأمر الالهي"[4]. والشبلي زعم انه "النقطة التي تحت الباء"[5]، والشيخ احمد الرفاعي الذي أراد أن يكون ذَنَباً أمام الخَلْق "احمد بن الرفاعي "هذا"-. صارت السموات السبع في رجله كالخلخال"[6]، والشيخ عبد الكريم الجيلاني أصبح مع الله "كشخص له اسمان والذات واحد"[7]، بل وقال:

---

[1]-ص١٨٢ جـ١ الطبقات الكبرى.

[2]-ص٣٧٥ الصوفية في نظر الإسلام.

[3]-ص٢٩٠ ابن سبعين وفلسفته الصوفية.

[4]-ص٣٧٧ الصوفية في نظر الاسلام.

[5]-ص١٠٤ جـ١ الطبقات الكبرى.

[6]-ص٤٢ قلادة الجواهر.

[7]-ص٣٦ جـ١ فـ١٣ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.

"فألوهيتي لذاتي أصل"[1] وابن عربي يقول: "فالله أكبر والكبير ردائي"[2]، بل ويقول أيضاً:

"لقد أصبحت قبلة كل شيء   وقد أمسيت أُطلب بالسجود"[3]

فهل يعقل لهؤلاء وأمثالهم وهم على أغراضهم هذه ألاّ، يأخذوا بتوحيد "لا إله إلا الله" وهو المكذب لمزاعمهم هذه؟ حتماً لا، ولهذا كان حقدهم على خير كلمة قالتها الأنبياء.

تم بعون الله تعالى في
١٩٩٥/٨/١٠

[1]-ص٢٤ جـ١ فـ٢٤ نفسه.

[2]-ص١٠ جـ١ الفتوحات المكية.

[3]-ص٣٣١ جـ١ فـ٣٣٦ نفسه.

المراجع

١.القرآن الكريم

٢.**إحياء علوم الدين**: تأليف أبي حامد الغزالي.

٣.**أشرف الوسائل**: تأليف محمد أبو الهدى الصيادي. تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط ١٣٨٩هـ. ط١.

٤.**أضواء على مسلك التوحيد**: تأليف سامي المكارم ١٩٦١ .

٥.**إيقاظ الهمم**: تأليف أحمد بن عجيبة ١٩٨٦. ط١.

٦.**أيها الولد**: تأليف أبي حامد الغزالي ج١ القصور العوالي.

٧.**ابن سبعين وفلسفة الصوفية**: تأليف د.أبو الوفا التفتازاني ١٩٧٣. ط١. دار الكتاب اللبناني.

٨.**أصول الفلسفة الاشراقية**: تأليف د،محمد أبو رياض. دار المعرفة الجديدة ط٢.

٩.**الطبقات الكبرى**: تأليف عبد الوهاب الشعراني. دار الفكر.

١٠.**اليواقيت والجواهر**: تأليف عبد الوهاب الشعراني ١٩٥٩. ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١١.**الأنوار القدسية**: تأليف عبد الوهاب الشعراني. هامش الطبقات الكبرى.

١٢.**الفتوحات المكية**: تأليف محي الدين ابن عربي. مكتبة الثقافة.

١٣.**الفتوحات الالهية**:

٤٦.**مدخل إلى التصوف الإسلامي**: تأليف د. أبو الوفا التفتازاني ط٢
٤٧.**مجلة التراث العربي**: ١/١٩٧٩، ٣/١٩٨٠، ٣٥-١٩٨٩/٣٦، ١٩٨١/٤
٤٨.**معارج القدس ومعرفة النفس**: تألي ابن حامد الغزالي. تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ١٩٨١ ط٥
٤٩.**من التراث الصوفي**: تأليف د. محمد جعفر ١٩٧٤ ط١
٥٠.**مرآة الزمان**:
٥١.**مشكاة الأنوار**: تأليف ابن حامد الغزالي. ضبط رياض العبدا لله/١٩٨٦
٥٢.**مواقع النجوم**: تأليف محيي الدين ابن عربي. مطبعة محمد صبيح ١٩٦٥
٥٣.**في التصوف الإسلامي وتاريخه**: تأليف رينولد نيكولون. ترجمة د. أبو العلا عفيفي.
٥٤.**فلسفة التأويل**: تأليف د. حامد أبو زيد ١٩٨٩ ط١
٥٥.**فلسفة التصوف قدرات وطاقات**: د. هاني نصري ١٩٩٠
٥٦.**منصوص الحكم**: تأليف محيي الدين ابن عربي. تحقيق أبو العلا عفيفي. دار الكتاب العربي.
٥٧.**سر العالمين**: تألي ابن حامد الغزاللي. دار الشباب.
٥٨.**سير الأولياء**: تأليف صفي الدين الحسيني. تحقيق مأمون ياسين وعفت حمزة. ط١
٥٩.**شطحات الصوفية**: تأليف د. عبدالرحمن بدوي ١٩٦٧ ط٢
٦٠.**شخصيات قلقة في الإسلام**: تأليف د. عبدالرحمن بدوي

٦١.**شروح رسالة الشيخ أرسلان**: تأليف عبدالغني النابلسي. تحقيق عزة حصرية. مطبعة العلم. دمشق.
٦٢.**شهيدة العشق الالهي رابعة العدوية**: تأليف د. عبدالرحمن بدوي ط٤
٦٣.**نظرية المعرفة الاشراقية**: تأليف د. ابراهيم هلال ١٩٧٧
٦٤.**كتاب الاملاء في اشكالات الإحياء**: تأليف أبي حامد الغزالي «إحياء علوم الدين»
٦٥.**حقائق عن التصوف**: تأليف عبدالقادر عيسى ١٩٧٠ ط٢
٦٦.**روضة الطالبين**: تأليف أبي حامد الغزالي.
٦٧.**روح القدس في محاسبة النفس**: تأليف محيي الدين ابن عربي مكتبة الوكيل.
٦٨.**تلبيس ابليس**: تأليف عبدالرحمن ابن الجوزي ١٣٦٨هـ ط٢
٦٩.**تاريخ التصوف الإسلامي**: تأليف د. عبدالرحمن بدوي ١٩٧٥ ط١
٧٠.**طبقات الصوفية**: تأليف عبدالرحمن السلمي. تحقيق نور الدين شريبة ١٩٨٦ ط٣
٧١.**قلادة الجواهر**: تأليف محمد أبو الهدى الصيادي.
٧٢.**عوارف المعارف**: تأليف شهاب الدين السهروردي «إحياء»
٧٣.**لطائف المنن**: تأليف تاج الدين السكندري ١٩٧٩ ط١ مكتبة القاهرة.
٧٤.**دراسات في التصوف الإسلامي**: تأليف د. محمد جلال شرف دار النهضة العربية ١٩٨٤

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الكرامة في التصوف	-٢٤١-
العلم والمعرفة الصوفية	-٢٨٤-
التصوف وتوحيد لاإله إلاّ الله	-٣٠١-
المراجع	-٣١١-
الفهرس	-٣١٧-

كتب أخرى للمؤلف تحت الطبع

١ – العقل والالحاد.

٢ – الأخلاق بين الفلسفة والقرآن.

٣ – العقل بين الفلسفة والقرآن.

٤ – القرآن ومنهج التأويل «دراسة في فكر الدكتور محمد شحرور».

٥ – الكرامة في الفكر الصوفي.

٦ – الولاية والنبوة في الفكر الصوفي.

٧ – السنة النبوية والحقيقة المحمدية في التصوف.

٨ – نظرة في أسس جدلية الحرف.